صفحات من
التاريخ السياسي والحضاري
لمدينة قسنطينة من العهد النوميدي
إلى عصرنا الحاضر

الأستاذ الدكتور: نصر سلمان

أستاذ الحديث وعلومه ومدير مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
قسنطينة - الجزائر

صفحات من
التاريخ السياسي والحضاري
لمدينة قسنطينة من العهد النوميدي
إلى عصرنا الحاضر

الأستاذ الدكتور: نصر سلمان

استاذ الحديث وعلومه ومدير مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة - الجزائر

الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الكتاب:
صفحات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة قسنطينة من العهد النوميدي إلى عصرنا الحاضر.

اسم المؤلف:
الأستاذ الدكتور: نصر سلمان.

قياس الكتاب:
16 × 24 سم

ردمك:
978-9931-596-35-6

الإيداع القانوني:
السداسي الأول 2016

ISBN : 978-9931-596-35-6

جميع الحقوق محفوظة

دار الشافعي للنشر والتوزيع
الوحدة الجوارية رقم 05 توسيع رقم 285
المدينة الجديدة، الخروب - قسنطينة / الجزائر
031.92.25.71 / 0560.90.57.29
chafi3i-group25@hotmail.com

شكر وتقدير

عملا بقوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فيما أخرجه الإمام الترمذي في سننه : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "، فإني أتقدم بشكر عارم موصول غير مجذوذ للأستاذ الدكتور العالم النحرير : " عمارة علاوة " أستاذ التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية على ما أسداه من نصح، وما أبداه من ملاحظات قيمة حين قراءته لمادة هذا الكتاب، والتي أخذنا بأغلبها، قبل أن ندلف به للطبع، فجزاه عني وعن العلم خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعطاء، آمين، آمين، يارب العالمين

الإهـــداء

إلى الذي بذل الغالي والنفيس من أجل أن تكون مدينة قسنطينة

كعبة للعلم والمعرفة، يؤمها طلبة العلم من كل فج عميق

إلى روح رائد النهضة الجزائرية، الإمام الشيخ المصلح:

" عبد الحميد بن باديس " ـ رحمه الله في الخالدين ـ.

تصدير

انتقلت العناية بالتاريخ المحلي للمدن والأقاليم من مرحلة الذاكرة الجماعية إلى مرحلة التدوين، والثقافة العالمة في فترات متقدمة في التاريخ الإنساني، وعرفت المجالات الإسلامية عناية لافتة بهذا النمط من الكتابات التي ركزت غالبا على تدوين ذاكرة النخب العلمية ،أو الصوفية على غرار ما كتبه الغبريني في "عنوان الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" ،وابن مريم التلمساني في "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" ،أو كتاب "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة" لأحمد بن قاسم البوني، غير أن مدينة بحجم قسنطينة التي حافظت على اسمها الروماني بصيغته المعربة لم ينتشر فيها هذا النوع من الكتابات ،إذا ما استثنينا الكتاب الضائع لابن قنفذ القسنطيني الموسوم بـ : "طبقات علماء قسنطينة". كما كان للاحتلال الفرنسي للمدينة أثره في بداية الاهتمام بتاريخ المدينة في مراحلها السابقة، حيث عمل هذه المرة على كسر القطيعة مع الماضي غير الإسلامي للمدن الجزائرية، الذي ميّز كتابات العصر الوسيط والعصر العثماني.

فكانت البداية مع أوجست شاربونو (Auguste Cherbonneau) الذي نشر في سنة 1857 كتابا عن تاريخ ومعالم قسنطينة تحت عنوان *Constantine et ses antiquités*،حيث كانت هذه المحاولة معاصرة لظهور عدد من الكتابات القسنطينية ،التي كانت تؤرخ في واقع الأمر للعصر العثماني بالمدينة ،وخصوصا فترة حكم صالح باي، والتي نجد من بينها كتابات محمد الصالح بن العنتري "تاريخ قسنطينة ،أو فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة ،واستيلائهم على أوطانها"، و"مجاعات قسنطينة"، وأيضا كتاب ابن العطار الموسوم بـ : " تاريخ بلدة قسنطينة"،إذ أحدثت هذه الكتابات باللغة العربية في واقع الأمر قطيعة معرفية مع الماضي السابق للحقبة العثمانية.

ثم تواصلت الكتابات التي أرخت لمدينة قسنطينة بالتركيز على الماضي الروماني ،والتواجد الفرنسي ، على غرار ما كتبه أرنست مارسيي (Ernest Mercier)، ،الذي تولى رئاسة مجلس المدينة لعهدتين ،ونشر كتابه *Histoire de Constantine*، في سنة 1903، والذي يعد أهم وأعمق ما كتب عن المدينة في العصر الاستعماري.

هذا وقد عرفت الكتابات الخاصة بتاريخ مدينة قسنطينة في مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني تنوعا زمنيا ،ومنهجيا كان فيها للهواة النصيب

الأوفر، ومن بين ما نشر نشير فقط إلى "أم الحواضر في الماضي والحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة" لمحمد المهدي شغيب (1981)، و"نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار" لسليمان الصيد، و"تاريخ مدينة قسنطينة" لعبد العزيز فيلالي... والقائمة طويلة، إذ المتمعن في مجمل هذه المنشورات، يجدها تعتمد خصوصا على نصوص منشورة ،وكذا بعض المعالم الأثرية مع قلة استغلال للأرصدة الأرشيفية ،مما يجعل معظمها يعطي لنا فكرة عامة عن المراحل التاريخية المطروقة ،ومن زاوية واحدة في الغالب.

وهنا يأتي كتاب "صفحات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة قسنطينة من العصر النوميدي إلى العصر الحاضر" للمحدث والشاعر الدكتور نصر سلمان أستاذ علوم الحديث بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كامتداد لهذا النوع من الكتابات، والذي حاول فيه – رغم عدم تخصصه في التاريخ– جمع وحوصلة ما كتب عن المدينة من بداية عصورها التاريخية إلى عصرنا الحاضر. بالإضافة إلى عودته لعدد من النصوص المصدرية عن مدينة قسنطينة في مراحلها الإسلامية الوسيطة، فقد جمع معلومات الكتاب من دراسات سابقيه المنشورة باللغة العربية، كما تحصل على عدد من التقارير والوثائق بخصوص جامع الأمير عبد القادر والمدارس القرآنية بمدينة قسنطينة حيث كسر هذا النوع من الكتابات على غرار سابقاتها من مرحلة ما بعد الاستقلال القطيعة مع الماضي غير الإسلامي للمدينة، وجعلها في مصاف

حواضر التي تفتخر بأنفيتها الثالثة ، هذا وقد ختم المؤلف دراسته بقصيدة رصينة وجميلة تصور مراحل تاريخ قسنطينة وجمال معالمها.

الأستاذ الدكتور : عمارة علاوة

أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله، فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أمّا بعد : فإن الحديث عن قسنطينة باعتبارها عروسا للدنى ،وأما للحواضر،تطلب منا الغوص في تاريخها ،المتلاطمة أمواجه ،المرغدة أزباده المزمجرة عواصفه، فرحنا نعرضه في مقدمة ،وخمسة فصول ،وخاتمة .

حيث خصصنا المقدمة للتعريف بصنيعنا في الموضوع .

أما الفصل الأول ، فعنوناه بقسنطينة معالم وأعلام ،وقد تطرقنا فيه للمعالم الكبرى لمدينة قسنطينة ، وكذا الترجمة لبعض أعلامها الناهين والمبرزين في صنوف العلم والمعرفة .

أما الفصل الثاني : فعقدناه لقسنطينة في العصر القديم،متطرقين فيه لتاريخ قسنطينة في عهد كل من النوميديين ،والرومان،والوندال ، والبيزنطيين .

وأما الفصل الثالث : فخصصناه لقسنطينة في العصر الإسلامي ، مبرزين فيه قسنطينة أيام الفتح الإسلامي ، والأغالبة ، والفاطميين ، والزيريين

والحماديين، والموحدين، والحفصيين، خاتمين ذلك ببيان الحملة المرينية على قسنطينة.

وأما الفصل الرابع، فعقدناه لقسنطينة في عهدي العثمانيين، والفرنسيين

وأما الفصل الخامس والأخير، فخصصناه للحديث عن المراكز العلمية والثقافية والإعلامية بقسنطينة، وقد تناولنا فيه مساجدها، و زواياها ومدارسها الأثرية، ونواديها، والجرائد الصادرة بها .

أما الخاتمة: فاحتوت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أرفع أكف الضراعة إلى الله عز وجل ،سائلا إياه بأسمائه الحسنى ،وصفاته العليا،أن ينفع بهذا العمل ،وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، إذ به الاستعانة وعليه التكلان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وأزواجه، وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول قسنطينة معالم وأعلام

وسنتناوله من خلال المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول

المعالم الكبرى لقسنطينة

وسنتناوله من خلال النقاط الآتية:

أولا ـ موقع مدينة قسنطينة

تقع مدينة قسنطينة فلكيا على خط عرض 23 و 36 شمالا، و خط طول 35 و 7 شرقا، مما يجعلها تحتل منطقة متميزة بالنسبة لشرق دولة الجزائر.[1] حيث تتوسط إقليم شرق الجزائر،إذ تبعد بمسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، وحوالي 437 كلم عن الجزائر العاصمة غرباً و86 كلم عن سكيكدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، و235 كلم عن بسكرة في الصحراء جنوبا [2].

---

[1] محمد الهادي العروق: مدينة قسنطينة – دراسة في جغرافية العمران، 14.

[2] المرجع نفسه 16.

كما تقع في وسط تل أطلس على الحافة الشمالية للوادي ،وتبعد عن الساحل حوالي 80 كلم ، وتنقسم المدينة إلى جزأين عبر الوادي العميق على ارتفاع حوالي 200 م ،والمسمى بوادي الرمال .[3]

وهي تتربع على صخرة جيولوجية تتألف من مجموع ركام صخري من أصل كلسي، يظهر على نحو ثلاثمائة متر من الأعلى و يحتوي من أسفله إلى أعلاه على المواد الآتية:

- 70 مترا من ركام الجص الأشهب.
- 70 مترا من ركام الجص الأبيض.
- 60 مترا من ركام الجص الأغبر المثقوب من أصل ذي مواد عضوية و تسميه العامة الحجرة الزرقاء.
- 100 متر ركام الجص الأشهب اللامع.

و يبلغ ارتفاع قمة – كاف شكارة – 534 مترا في أقصى شمالها. هذا الركام الصخري العظيم الذي تقوم عليه المدينة يمثل شكلا هندسيا مأخوذا من قاعدة شبه المتفاوت الأضلاع Trapédoidal، و قد أحدث جريان السيل عمقا بالجزء الجنوبي الشرقي، بينما توجد معظم منحدراته الوعرة بالجزأين الشمالي الغربي، و الجنوبي الغربي من الوادي و هناك يمتد برزخ على طول ثلاثمائة متر بالسفح الموالي لكدية عاتي.

---

[3] عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني " القسم الإفريقي " 295.

و قد عملت يد الإنسان في الجبل الصخري فأزالت منه نحو ستين مترا عرضا، و ما يقرب من كلم واحد طولا عبر الصخور لفتح الطرق و إقامة جسر سيدي راشد[4].

وهي مدينة كبيرة ترجع في نشأتها إلى أصل ليبي قديم، كما أن موقعها هضبي، و نهري معا، إذ أن الرحالة لاحظوا أنها محاطة بثلاثة أنهار تمتد من عيون أشقار – (السود) و تصب في خندق عظيم بعيد الهوى حتى كان الماء يرى فيه، و كأنه كوكب صغير.

والأنهار الثلاثة،وهي الوادي الكبير ،المعروف بواد الرمال [5] ، الذي يقول عنه الأستاذ جوليد أحد الباحثين بكلية العلوم بباريس: «اشتهر موقع وادي قسنطينة في سائر البلاد الجزائرية بروعة منظر مجراه الطبيعي، في أعماق الشقوق الصخرية، كما اشتهر بدوره التاريخي، الذي لا تعرف له بداية»[6] ووادي بومرزوق، و السمندو .

و هي كذلك في مظهرها لا يقع النفاذ إليها إلا من مسلك واحد في الغرب (La Brèche) و موقعها دون شك هو سر حصانتها ،التي

---

[4] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 22.

[5] موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري " 11 م " 148 .

[6] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 9.

غدت مضرب الأمثال ،و سببا في متاعب الغزاة، منذ عهد الرومان، إلى الاحتلال الفرنسي و عرفت بقسنطينة الهواء[7].

ولكونها تقع على قمة جبل عال ،لقبوها بـ : " **عش النسر** "[8] .

ثانيا ـ أصل تسمية قسنطينة

قُسنطينة بضم أوله و فتح ثانيه ثم نون، و كسر الطاء، و ياء مثناة من تحت و نون أخرى بعدها ياء خفيفة و هاء، مدينة و قلعة يقال لها قسنطينة الهواء[9]، كما أطلق عليها الفينيقيون اسم: «كرطة» أو «كرثن» و هي لفظة سامية كنعانية معناها القلعة، أو المدينة[10] و قيل بأن قسطنطين كانت له أخت تدعى بهذا الاسم فسمى المدينة باسمها[11] و قيل سميت قسنطينة اشتقاقا من اسم الامبراطور قسطنطين الكبير الذي رمم أسوارها و أعاد بناءها بعد خرابها و ذلك سنة 313م[12] أو «قرطة» أي القلعة الحصينة[13]، هذا و قد جاء في دائرة المعارف الإسلامية: «سميت في

---

(7) موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري " 11 م " 148 .

(8) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر ـ تاريخ مدينة قسنطينة ـ ، 20.

(9) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 397/4.

(10) فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة – تاريخ – معالم – حضارة، 14.

(11) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 9.

(12) محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية، 70-71.

(13) محمد العربي مهري: محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة.

القرون الأولى: «سيرتة»[14] و قد كان ذلك في أحداث نهاية القرن الثالث ق.م التي جرت بين سيفاقس و غايا و ابنه ماسينيسا[15]، و هو الاسم الذي حرّفه اللاتينيون و حوّلوه من «كرطة» إلى سيرتا.».[16]

يقول الباحث في الآثار الأستاذ الدكتور: محمد الصغير غانم:

«وجد اسمها مكتوبا على عملة نوميدية بأحرف بونية جديدة، مكونة من أربعة حروف (ك.ر.ط.ن) يتصدر وجه تلك العملة رأس امرأة متوج تعلوه بريجات عُدَّت بمثابة القلاع تشير إلى قوة دفاع المدينة.».[17]

كما أطلق عليها إضافة لما سبق بلد الهوى، مستعمرة ستيوس الحصن الإفريقي ،وقصر طينة ،وهو اسم مركب من كلمتين — قصر، و طينة – فامتزجت الكلمتان و صارت بحكم النطق المتغير و التطور الزمني قسنطينة بتبديل الصاد سينا و الراء نونا. هذا وإن اسم قسنطينة المستقر لها في الحاضر،والذي ينسب لقسطنطين بناء على قول بعض المؤرخين و بالأخص الفرنسيين منهم ،فهو حسب قول الشيخ سليمان الصيد غير صحيح وذلك لأن الذين قالوا به ،هم في الحقيقة يحاولون لغاية في نفوسهم يريدونها، جعل كل شيء يخص الجزائر هو راجع في أصله إلى الرومان أو الروم ، أولهم أن هؤلاء المؤرخين صاروا يكتبون بأن اسم قسنطينة يرجع

---

[14] دائرة المعارف الإسلامية، 885/1.

[15] محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية – النشأة و التطور، 62.

[16] فيلالي: مدينة قسنطينة، تاريخ – معالم – حضارة، 14.

[17] سيرتا النوميدية – النشأة و التطور، 61.

تاريخيا إلى الملك قسطنطين الأكبر[18] الذي سميت المدينة باسمه (توفي سنة 337م) و هو الذي جددها بعد خرابها.[19] و **الملك قسطنطين هذا هو** الذي نصبه الفرنسيون ،حيث يوجد تمثاله إلى هذا التاريخ في ساحة محطة السكة الحديدية بقسنطينة.

يقول الأستاذ سليمان الصيد: «لكن بعد بحث طويل عن اسم مدينة قسنطينة التي يسميها المغاربة (المغرب الأقصى) في كتبهم التاريخية و غيرها – قسم طينة (قسمطينة) تبين أن المدينة اسمها في الأعصر الماضية – حص – طينة.».[20]

و قال أيضا: «و على حسب ما تقدم فاسم مدينة قسنطينة هو مأخوذ من – قصر طينة –، إذ يعتقد بأنه قصر لملكة تدعى طينة كانت تحكم قسنطينة،[21] و أن نسبتها إلى قسطنطين فمن باب التشابه و السطو على الأسماء و أن إلصاق اسم قسطنطين بها ذريعة أوجدتها إدارة الاحتلال و المؤرخون الفرنسيون الذين سموها قسطنطين (Constantine لأن قسطنطين عندهم هو مجددها فكأنما هذا الشخص هو الذي أحدث مدينة

---

[18] و يسمى أيضا بالمؤمن لأنه اعتنق الديانة المسيحية.

[19] سليمان الصيد: تاريخ الجزائر القديم، 24، طبعة 1966/2م، مطبعة البعث، قسنطينة، والثابت في تسميتها: تركطن، وسيرتا، وقسنطينة، وما عدا ذلك فهو لا يعدو أن يكون مجرد أساطير لا سند يعضدها تاريخيا.

[20] نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 9.

[21] محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية – النشأة و التطور، 71–72.

قسنطينة في التاريخ من الأول، و الادعاء هذا غير صحيح. لأن المؤرخين و العلماء المسلمين و بالأخص أبناء مدينة قسنطينة منهم لا ينسبونها إلى قسطنطين و إنما إلى – حص طينة – و الغالب و الأكثر إلى – قصر طينة – و لعل المستقبل إن شاء الله سيكشف حقيقة اسم هذه المدينة بصورة أدق متى وجد أشخاص يهتمون بذلك. غايتهم البحث و التنقيب عن التراث الثقافي للوطن.»[22].

و هناك من قال سميت بقصر التينة بالتاء بدل الطاء، و ذلك لأن تينها كان محبوبا من قبل النصارى، فسميت المدينة «قصر التينة» نسبة لتينها.[23]

ثالثا ـ رموز شعارات مدينة قسنطينة[24]

هي شعارات بعضها يرمز إلى ذوات محسوسة، مثل الحوت و الفرس و القلعة، و بعضها إلى حوادث ذات أثر بارز في تاريخ المدينة، و بعضها إلى ظواهر طبيعية. و سنوردها على النحو الآتي:

1 ـ: رسم القلعة: يرمز إلى حصانة المدينة و مناعتها الطبيعية، و تمكن أهلها من دحر الغزاة.

---

[22] نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 17.

[23] محمد الصغير غانم: سيرتا النوميدية – للنشأة و التطور، 72.

[24] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر، 461-463.

2 ـ : **رسم الحوت:** و أما الحوت فهو يرمز إلى شجاعة أهل المدينة و فتكهم بأعدائهم كما يفتك حوت القرش الذي كان موجودا بمياه قسنطينة بجميع أعدائه، إذ هو في الماء بمثابة السد في البر.

3 ـ: **الفرس:** و أما الفرس ذات اللون الرملي المصفر، فهي إشارة إلى واقعة حربية جرت بقسنطينة في عام 1112هـ الموافق 1700م. قامت فيها هذه الفرس و راكبها بعمل بطولي عظيم أدى إلى النصر و هزيمة الغزاة المعتدين، و هي فرس الباش سيار بن زكري، حين ركبها و توجه خفية، على جناح السرعة، إلى الجزائر للإتيان بالنجدة العسكرية التي فكت الحصار الذي ضربه الجيش التونسي على المدينة في أيام علي خوجة باي قسنطينة يومئذ.

و أمّا هذه الفرس، فكان الناس يسمّونها «حليليفة» إعجابا بها و براكبها.

4 ـ: **اللون البنفسجي:** و هو رمز المناخ الطيب، و اعتدال الجو و ما لهما من تأثير على حياة الجهة و أهلها.

5 ـ :**رسم الخطين المقترنين:** يمثل التقاء الوادين: وادي بومرزوق، و وادي بوالبراغث و هما يمدان بمائهما المدينة و ضواحيها ذلك الماء الغزير الذي هو مادة الحياة و رغد العيش.

رابعا ـ أبواب قسنطينة

وسوف نوردها على النحو الآتي :

1 ـ باب الرواح: يقول عنه أحمد بن المبارك: [25]

«و بها سور آخر الجبل أعلى الماء الحار من ناحية الجوف [أي الشمال] يعرف بباب الرواح بقي اليوم أثره[26]، و به بعض كوات للمكاحل [أي البنادق] و هو – و الله أعلم – من بقايا الملوك الحفصيين لأنّ الأوّل ليس يعرفون المكاحل و المدافع، و إنما آلة حربهم السيف و الرمح و النبل لا غير».[27]،وباب الرواح هو المؤدي إلى منابع سيدي ميمون[28].

2 ـ باب الوادي:ويقال إن حكماء الأولين العارفين بموضع الطلاسم و علم النجوم جعلوا بباب الوادي رصدا لا يدخلها عدو، و قد وجدت مقيدا على كتاب: غزيت ثمانين مرة فلم يدخلها عدو، و لا نال منها شيئا لرصد بها من عمل الحكماء[29] و هذا الرصد – و الله أعلم – سور كان

---

[25] أحمد بن المبارك ابن العطار: مؤرخ جزائري، من أهل قسنطينة. له «تاريخ قسنطينة ،توفي سنة: 1287هـ/1870م .

الزركلي: الأعلام 1 / 202.

[26] أي إلى عهد أحمد بن المبارك بن العطار الذي ولد بقسنطينة 1790م و توفي بها سنة 1870م.

رابح بونار: قسم الدراسة من كتاب تاريخ قسنطينة لأحمد بن المبارك

[27] تاريخ قسنطينة، 37.

[28] محمد العربي مهري : محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة .

[29] قال رابح بونار محقق كتاب تاريخ قسنطينة لأحمد بن المبارك معلقا على ذلك: «يبدو أن أسطورة الرصد الذي عللت حصانة المدينة به في القديم كانت مختلفة، و قد اخترعها المؤرخون لتفسير عجز الغزاة السابقين عن احتلالها، و الحقيقة أن عجز الغزاة السابقين إنما يعود إلى ضعف الوسائل الحربية لديهم و قد توفرت لدى الفرنسيين فاستطاعوا أن يحتلوها بعد كفاح مرير.».

داخل باب الوادي، هدمه ابن عيسى[30] بأمر الحاج أحمد باي بعد أن ذهب الجند الفرانصاوي الذي أتى به الجنرال يوسف[31] حين كتب الله دخول الجندي الفرانصاوي المرة الأخيرة .

---

(30) **علي بن عيسى باشا حامية لأحمد باي** : من كبار قواد أحمد باي، إذ يعد أحد الأذرع العسكرية الصامدة في الدفاع عن قسنطينة ضد محاولة الاستدمار الفرنسي السيطرة عليها، إذ كان قائدا للفيلق الثابت المتشكل من 2.400 جندي في الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة سنة 1836م، و قد أبلى بلاء حسنا، و كبّد فرنسا خسائر معتبرة، بينما كان أحمد باي شخصيا يقود الفيلق المتحرك بنفسه و الذي قوامه: 5.000 فارس، و 1.500 من المشاة، كما كلف علي بن عيسى في الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة بحماية المدينة على رأس 3.000 مقاتل، دعموا فيما بعد بألفي مقاتل، يساعده في ذلك قايد الدار محمد بلبجاوي .

يقول صالح نور: «باش حمبة وظيفة ابتكرها الحاج أحمد باي نقلا عن تونس، و قد أسندها إلى أحد [رجال] القبائل يسمى علي بن عيسى، و كان بمثابة الوزير الأوّل، يقوم مقام الباي في كل الأمور الإدارية، و المالية، و الجمركية، و هو الذي يشرف على فرقة الفرسان الزواوة، و يضرب السكة و يراقبها، و علي بن عيسى من المقربين لدى الباي، و ساعده الأيمن ...» .

عبد الكريم بحاجة: معركة قسنطينة 1836-1837. ص 10، 16، 27 ، وتاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1837م، 318. من كلام المحقق.

(31) **يوسف** : ولد بإيطاليا من أبوين يهوديين، و كان يدّعي الإسلام ليخدع المسلمين، و يستميلهم إليه، بل كان يدّعي أنّه أخو أحمد باي المملوك باي قسنطينة لفترتين الأولى من (1818-1819م) و الثانية من (1820-1822م)، و هذا ادّعاء غير صحيح، و قد كان في نية فرنسا أن تعلنه بايا لقسنطينة خلفا لأحمد باي، و قد استعمل خاتما كتب عليه (يوسف باي بن السيد حسين خوجة) و نظرا لمعاملته القاسية للسكان، و التي انقلبت سلبا على فرنسا، إذ نفّرتهم و لم تجلبهم إليها تخلّت فرنسا عن فكرة تعيين يوسف بايا على قسنطينة

.صالح نور: هامش رقم 177 من كتاب أوجين فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1837م. ص 322-323 .

و الحاصل أن البلد كانت في غاية التحصين الذي لا يقدر عليها بسببه عدو، و إنما اندثر ذلك لعدم اعتناء الملوك الإسلاميين بالتحصين و البناء مع أنها في بلد البرابر، و فسادهم مشهور في الوطن الإفريقي.[32]

ويسمّى باب ميلة؛ كان يؤدّي لمنطقة الكدية، وقد شُيّد مكانه قصر العدالة[33].

3 ـ باب الجابية: وهو الباب المؤدّي إلى منابع سيدي راشد.،منفتحا على الطريق الممتد إلى سيدي راشد ويقع على ارتفاع 510م.[34]

4 ـ باب الحنانشة: ويقع شمال غرب المدينة، حيث يسمح بالخروج من شمال المدينة عبر وادي الرمال، ويؤدي إلى الينابيع التي تصب في أحواض مسبح سيدي مسيد.[35]

5 ـ باب الجديد :يقع شمال ساحة أول نوفمبر، وقد هدم سنة 1925.[36]

---

[32] أحمد بن المبارك: تاريخ قسنطينة، 37-38.

[33] محمد العربي مهري : محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة.

[34] http://ar.wikipedia.org/wiki

[35] محمد العربي مهري : محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة

و http://ar.wikipedia.org/wiki

[36] http://ar.wikipedia.org/wiki ، و محمد العربي مهري : محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة.

6 ـ باب القنطرة: لقد جدد بناءه الأتراك سنة 1792م،على أنقاذ بقاياه الومانية ، ثم جدّد الاستدمار الفرنسيّ بناءه مرة أخرى سنة 1860م.[37]

ولقد كان لهذه الأبواب دور كبير في تأمين مدينة قسنطينة من الدخلاء والغزاة والمجرمين ، ثم اندثرت تدريجيا ،لا سيما بعد سقوط قسنطينة في يد الاحتلال الفرنسي ،حيث حطم ما تبقى منها إلى أن محيت آثارها بالكلية.

خامسا ـ وصف قسنطينة

نقل الأستاذ محمد المهدي بن علي شغيب قول الأستاذ جوليد الباحث بكلية العلوم بباريس في وصف قسنطينة: «إن قسنطينة ذات الوضعية الفطرية البديعة، كانت مثار إلهام الشعراء و الكتاب و صدور الكثير من الأمثال الشعبية، و الأقوال المأثورة عنها في وصفها»[38].

و قال فيها الشيخ عمر الوزان شارحا تسميتها ببلدة الهوى و الهواء قائلا في رسالته التي بعث بها إلى حسن آغا والي الجزائر و التي موضوعها خطر منصب القضاء: «فالبلدة هذه المسماة ببلدة الهوى، حسّي و معنوي، فهواؤها الحسي لا يزيد و لا ينقص في مرآة البصر، و هواها المعنوي يزيد و ينمو بحسب الليالي و الأيام، كما هو مشاهد لكل ذي بصيرة»[39].

---

[37] محمد العربي مهري : محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة.

[38] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 9.

[39] المرجع نفسه، 9–10.

سادسا ـ قناطر قسنطينة

كان بها سبع قناطر، كلها انهدمت و اندثرت إلى زمان صالح باي و لم يجدد منها إلا قنطرة باب القنطرة الموجودة اليوم، و اختلف في سبب هدم هذه القنطرة، فقيل انهدمت بسبب طول الزمان و استيلاء الخراب على المدينة، و قيل بل هدمها البربر في زمن كاهنة البرابر.[40]

بعد هذا التقديم الموجز نورد جملة من قناطر وجسور قسنطينة على النحو الآتي:

1 ـ جسر القنطرة: إن من الإنجازات الخيرة لصالح باي و التي كانت بالنسبة لسكان قسنطينة ذات فائدة لا مثيل لها تجديد بناء الجسر المسمى جسر القنطرة بعد انهياره، و الذي تألم لعدم إقامه بنفسه.

إننا نعلم أن قسنطينة تشكل بموقعها الجوي مجموعة منازل لا ترتبط باليابسة إلا بواسطة لسان من الأرض أصبح اليوم بالتعقيق واسعًا جدًا، و هو يمتد من باب فالي إلى كدية متى نقطة الاتصال الحالية لكل الطرق التي تؤدي إلى قسنطينة سواء لمن يأتي من سكيكدة أو من ميلة، أو من سطيف، أو باتنة أو من قالمة. و في عهد الرومان كان الدخول إلى المدينة يتم بقطع خمسة جسور و اندثرت أربعة نهما تمامًا، و لم يبق إلاّ واحد مصونًا، و هو الذي يستند في الأصل على حافة القوس الأول من الأقواس الثلاثة الطبيعية التي ينزلق فيها وادي الرمال قبل أن يصل إلى الضلالات. و في الوقت الذي زار

---

[40] أحمد بن المبارك: تاريخ قسنطينة، 35.

فيه بايسونال (Peysonnel) المقاطعة كان هذا الجسر ذاته غير صالح للاستعمال منذ زمن طويل. و قد قال بايسونال: في منتصف المدينة نجد جسرًا صنع صنعًا جميلاً للغاية و له ثلاثة صفوف من الأقواس، و يبلغ علوه 250 قدمًا، إلاّ أنه ضيق ... و سقط منه عقدان[41] و حسب الرسم الذي خلفه، يمكننا أن نرى العقدين الذين سقطاهما القرويان من المدينة.

و بعد ستين سنة، و في آخر سبتمبر 1785م زار مسافر فرنسي آخر هو عالم الطبيعة دي فونتين نفس الأماكن، و هذا هو الوصف الذي خلفه لنا عن هذا الجسر في ذلك العصر: نرى إنقاض جسر قديم شيد بشجاعة كبيرة و بمتانة قوية، و يتكون من أربعة عقود كبيرة مرتفعة جدًا. عقدان كانا عاليين، و لا يزال أحد العقدين السفليين موجودًا، و الدعامات التي تسانده مربعة و غليظة جدًا، و الأحجار مربعة أو مستطيلة و وسطها غير متساو، و يوجد عقدان صغيران بجانب الأولين مرتبان على الصخرة كزافرة (للدعم)، و العقدان الكبيران مرتفعان جدًا و يبلغ علوهما 45 قدمًا على الأقل و على الوجه المتوسط من الجهة العليا، نشاهد فيلين بالنقش الضئيل، كما نشاهد فوق الحجرتين الكبيرتين فوق الفيلين امرأة لبست تنورة مرفوعة إلى الركبتين، و على رأسها صدفة، و هذا العمل ليس بجيّد، و فوق الصفين من العقود صف آخر، كما توجد دعامات أخرى و عدد قليل من الأقواس. تلك هي حالة الجسر عندما شرع صالح باي في سنة

---

[41] سفر بيسونيل، ص 302.

1792م في إعادته. و كان قد استقدم لهذا الغرض من ماهون المهندس دون برتولوميو الذي كان قد أعاد بناء الجزء العلوي، لأن القوسين السفليين و الأعمدة الثلاثة التي ترتكز عليها كانت في حالة بعيدة كما رأينا ذلك من قبل في كلام دي فونتين و قال السيد بربروجر: إن عمل إعادة البناء كان قد تم بحجارة جيء بها من الباليار.و لكن حمولة واحدة قد وصلت إلى ستورة نظرًا إلى أن الباي قد وجد أن مواد البناء قد كلفته أثمانًا باهضة، و قرر بأن يقلع الحجر من عين المكان في سطح المنصورة بالقرب من الحصن العتيق المسمى المدفعية التونسية كما استعمل حجارة قوس النصر الموجود في الجهة الأخرى من الجسر و الذي يسميه العرب قصر الغولة و لكن هذا العمل كان أكثر نفعًا و فائدة من كل ما جاءت به عبقرية صالح باي و لقد تسبب ذلك في هلاكه إذ كان حجة لحاسديه و مغتابيه تذرعوا بها للوشاية به لدى باشا الجزائر لإشباع ضغائنهم و أحقادهم مخبرين إياه كذبا بأنه يريد الانفصال بقسنطينة.[42] هذا و لما عاجلت المنية صالح باي الذي مات مقتولا سنة 1792هـ لم يكتب للجسر أن يرى النور في عهده، إلى أن جاء عصر حسن باي بن حسن باي بوحنك الذي كان بايا لقسنطينة من 1 سبتمبر 1792م لغاية جانفي 1795م و قد كان له الفضل في إتمام

[42] أوجين فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي من 1792 إلى 1937م، ص 56-59.

الجسر الذي يسمى القنطرة.[43] ،والذي جدّد الاستدمار بناءه سنة 1860م.

2 ـ **جسر سيدي مسيد:** بناه و قام بتصميمه المهندس الفرنسي فرديناند أرنودان عام 1912 ،ويسمى أيضا بالجسر المعلق، يقدر ارتفاعه بـ175م وطوله 168، وهو أعلى جسور المدينة، والأعلى في أفريقيا ،وقد تم ترميمه سنتي : 1982 م ،و2000 م من طرف الشركة الجزائرية للجسور والأشغال الفنية [44].

3 ـ **جسر سيدي راشد:** قام بتصميمه المهندس الفرنسي أوبين إيرو، ويحمله 27 قوسا، يبلغ قطر أكبرها 70م، ويقدر علوه بـ105م، وطوله بـ : 447م وعرضه بـ : 12م، بدأت حركة المرور به سنة 1912،و هو أعلى جسر حجري في العالم في تلك الفترة ، أي في سنة 1912 م [45].

---

[43] المرجع نفسه ص 89-91.

[44] http://ar.wikipedia.org/wiki

[45] محمد العربي مهري : محاضرةمخطوطة حول قسنطينة و http://ar.wikipedia.org/wiki.

4ـ جسر ملاّح سليمان: يبلغ طوله: 125 م، وعرضه مترين ونصف بني بين سنة 1917 و 1925 ، وهو عبارة عن ممرّ حديديّ خصّص للرّاجلين يربط بين محطّة السّكّة الحديديّة ووسط المدينة [46].

5 ـ جسر الشّلاّلات: وسمّي بذلك لكون مياه وادي الرّمال الّتي تمرّ تحته تكوّن شلاّلات يتراوح علوّها بين 421 و 477 م، وقد تمّ بناؤه سنة 1928م.

6 ـ جسر الشّيطان: يربط بين ضفتي وادي الرمال ، وسمّي بذلك لأنّ نابليون لما زار قسنطينة سنة 1865م ووجدها على صخرة وأنّ الوصول إليها صعب، فقال: هذه مدينة الشّياطين؛ فسمّي الجسر الّذي دخل قسنطينة من خلاله بجسر الشّيطان. [47]

7ـ جسر مجازن الغنم :هو امتداد لشارع رحماني عاشور، ونظرا لضيقه فهو أحادي الاتجاه في وقته ،أما الآن فقد صار خرابا [48]

---

[46] نفسه .

[47] محمد العربي مهري : محاضرةمخطوطة حول قسنطينة ،والحقيقة أن ما ذكره محمد العربي مهري مجرد أسطورة فقط ،إذ الجسر موجود بهذا الاسم قبل زيارة نابليون لقسنطينة في ماي 1865 م .
و http://ar.wikipedia.org/wiki.

[48] http://ar.wikipedia.org/wiki.

8 ـ جسر صالح باي : وهو بطول 1150م وبعرض 25م ،وعلى ارتفاع أكثر من 100م ويمتد من مرتفعات "حي المنصورة" وصولا إلى "حي جنان الزيتون" ،وقد دخل الشطر الأول منه الخدمة سنة 2014 م [49].

سابعا ـ الآثار التاريخية بقسنطينة

لقد حفلت قسنطينة بجملة من الآثار التي تروي بصدق و بحق تاريخ من عمروها في فترة من فترات تاريخها المجيد، و هذه بعض النماذج الشاهدة على ذلك.[50]

1– كهف الدببة : سمي بذلك لكونه كان ملجأ لحيوان الدب و هو يقع على بعد 2 كلم شمال مركز مدينة قسنطينة من الناحية الشمالية المطلة على نفق السكّة الحديديّة المؤدّية إلى "سكيكدة" ، و هو عبارة عن مغارة واسعة يبلغ طولها حوالي (60م) و عرضها (6 أمتار)، و لها ارتفاع معتبر. توجد بها فتحتان رئيسيتان،و يسمى عند السكان المحليّين بغار "الزهار" أي الكهف الذي يردد صدى الصوت منها [51] . و قد قال عنها الأستاذ جوليود المذكور – يبدو أنها كانت مأوى إنسان ما قبل التاريخ، اختارها

---

(49) http://ar.wikipedia.org/wiki.

(50) استقينا جل هذه المعلومات الغزيرة من الأستاذ الدكتور المؤرخ: محمد الصغير غانم، و مساهمة أ. زينب بلعابد، و مساعدة: أ. عبد المالك سلاطنية: سيرتا النوميدية – النشأة و التطور –، ص 17، 26، 28، 44، 46، 82–83، 100، 105 .

(51) المرجع نفسه .

لسكناه لوجود الماء بها ،كما يطلق عليها مغارة – الهدرة و يقال لها أيضا – غار السحار [52]..

2– كهف الأروي : يتميّز كهف الأروي الأثري عن كهف الدببة بوجود هيكل عظمي لإنسان يعود إلى الحقبة النيوليتية مع بعض الأدوات الحجرية و البقايا العظمية و سمي بذلك نسبة لحيوان الأروى، الذي هو من فصيلة الغزلان إذ وجدت عظامه متحجرة في هذا الكهف فسمي به [53]وموقعه بجبل المسيد ، فوق باب النفق الثاني لسكة الحديد المتجهة من قسنطينة نحو سكيكدة و عنابة [54].

3– كهف الحمام : يوجد موقع "كهف الحمام الأثري"– جمع حمامة – في الناحية الشمالية الغربية لمنحدر القصبة، حيث يتمركز على حافة قمّة عالية. و قد وردت في الكتابات التاريخية بعض الأساطير التي كتبت حول معالم كهف الحمام، منها أنه كان يستعمل لعبادة الإله "ميثرا" « Mithra » [55].

و قد قام الأستاذ دبروج بفحص ما وجد في هذه الكهوف من أصداف و عظام حيوانات، فوجدها ترجع إلى العصر الحجري الأوسط، و أوائل

---

[52] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 24.

[53] محمد الصغير غانم، : سوتا النوميدية – النشأة و التطور –، ص 17، 26، 28، 44، 46 82-83، 100، 105.

[54] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 24.

[55] محمد الصغير غانم : المرجع السابق .

العصر الحجري الثاني – و هو عهد قدماء الموريطانيين – و إلى هذه الفترة من التاريخ القديم يرجع أيضا تاريخ ما وجد في هذه المغارات من عظام الحيوانات القديمة مثل الكركدن – وحيد القرن – و الفرا – الحمار الوحشي – و الأيل، و الغزال، و الأروى، و الحلوف، و أنواع الأبقار الوحشية[56].

4– المقابر الدولمينية برأس العين (بومرزوق):لقد تميزت بأنها إهليجية الشكل مغطاة ببلاطات صخرية تتراوح أبعادها ما بين 4،40م و 2،5م و قد يصل قطر تلك القبور أحيانا إلى 2،80م تحيطها الأسوار المقدسة و مزودة بممر يؤدي إلى الغرفة الجنائزية.

5– المقابر الدولمينية بتيديس: احتلت تلك المقابر المنطقة الشمالية المرتفعة التي تعرف بـ "رأس الدار"، و تتصف بأنها قبور مستديرة مشكلة شبه مصاقل تتكون قاعدتها من حجارة صلبة ضخمة.

6– المقبرة الميغاليتية لبونوارة : تعد من بين أحسن النماذج الدولمينية و البازيناسية في منطقة الفضاء السيرتي، هي تلك الدلامين التي عثر عليها في جبل مازيلا بمنطقة بونوارة.

وهي على بعد 32 كلم عن قسنطينة، وعلى الطريق الوطني رقم 20 المؤدي باتجاه قالمة تقع المقبرة الميغاليتية لبونوارة على المنحدرات الجنوبية الغربية لجبل "مازلة" على بعد 2 كلم شمال قرية بونوارة.

---

(56) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 24.

وتتكون هذه الدولمانات "dolments" من طبقات كلسية متماسكة تعود إلى عصر ما قبل التاريخ، ويبدو أن عددا كبيرا منها قد تعرض للتلف والاندثار.

مع التنبيه إلى أن النموذج العام لهذه المعالم التاريخية يكون على شكل منضدة متكونة من أربع كتل صخرية عمودية وطاولة، مشكلين بدورهم غرفة مثلثة الشكل ،كما أنه عادة ما يكون الدولمان محاطا بدائرة من حجارة واحدة وفي بعض الأحيان من دائرتين أو ثلاث أو أربع، وقد كان سكان المنطقة القدامى يستعملونها لدفن موتاهم بهذه الطريقة المحصنة التي يبدو أنها قد استمرت إلى القرن الثالث ق.م. (57)

7- مقبرة الغيران: تقع مقبرة الغيران في شمال بلدية الحامة بوزيان، يحدها من الجنوب الشرقي قناة مائية تدعى (عين السخون)، و من الناحية الشمالية هضبة كلسية ذات قمة مخروطية تعرف لدى السكان المحليين بـ (تادرارت) أو (تاذرارت) التي تعني في اللغة الليبية القديمة الجبل أو الهضبة المرتفعة، حيث يصل مستوى الارتفاع الذي توجد فيه المقبرة إلى حوالي (545م) على مستوى سطح البحر.

و الغريب أن تلك القبور قد سميت بالحوانيت مفردها (حانوت)، و قد أطلق عليها اسم (دار الحجر) أو (بيت الغولة أو الجهالة) ،هذا ويلاحظ أن

(57) www.marefa.org/index.php

مقبرة الغيران تتشابه إلى حد كبير مع ما عثر عليه من مقابر في أعالي صخور منطقة بكيرة التي اكتشفت سنة 1888 بأعالي (سيدي مسيد) و قد كانت قبورها هي الأخرى محفورة في الصخر.

8 ـ سور المدينة : لا تزال بقايا هذا السور موجودة بداخل القلعة العسكرية التي تمثل جدرانها جزء من سور المدينة القديم، و نلاحظ أن طريقة بناء السور القديم قد تمت على طريقة أشلر Opus Quadratum ذات نتوءات في الوسط و مستوية من الحواف و هي ما يعرف باسم Bosses و هو طراز من الأحجار المستطيلة ظهر في القرن الأول الميلادي و استمر استخدامه حتى العصور البيزنطية[58].

9- ضريح الصومعة بالخروب: يقع ضريح الصومعة بأعالي الخروب و يعتبر من أهم المعالم العمرانية العائدة للفترة النوميدية، و قد عُرفتْ المدينة التي شيدت بالقرب منه باسم الخروب مفردها (خِرْبة) و جمعها (خِربٌ) و ذلك نسبة إلى بناء الصومعة الذي لحقه التهديم.

10- معبد الحفره: El-HO fra يقع معبد الحفرة على هضبة مرتفعة في الجنوب الغربي لمدينة قسنطينة، و ذلك في مدخل باب المدينة الجنوبي و تمتد الهضبة المشار إليها على طول محور يبلغ حوالي 400م، يحدها من

---

[58] عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني و الروماني (القسم الإفريقي) 297.

اليسار ضفة وادي الريمال [59]، و بدا الحفر في المنطقة في عام 1875 حيث اكتشفت في هذا المكان أكثر من 130 شاهد قبر ترجع إلى الفترة البونية. و في عام 1950 تم اكتشاف أكثر من 700 شاهد قبر ترجع لفترات مختلفة. و من ضمن هذه الاكتشافات كان هناك حوالي 278 شاهد قبر تحمل نقوشًا، فمنها 244 شاهد عليها نقوش بونية، 32 شاهد تحمل نقوشًا إلى الفترة البونية الحديثة، و اثنان من العصر النوبي، 18 شاهد ذات نقوش يونانية و ثلاثة شواهد تحمل نقوشًا لاتينية.

و قد كرس هذا المعبد (رقم A) الذي يقع أمام أبواب كيرتا للإلهين البونيين بعل هامون Baal Hammon و الإلهة تانيت (تنيت) Tanit. و قد عبد النوميديون و الإغريق و الرومان هذا الإله بعل هامون و عُرف عند الرومان باسم كرونوس أو ساتورن.

و في النقوش اللاتينية عُرفت الإلهة تانيت باسم Tanit Caelestis و قد بدأت قصة هذا المعبد في أواخر القرن الثالث ق.م و ازدهرت عبادة هذين الإلهين خلال القرن الثاني ق.م حيث توضح شواهد القبور أن التقدمات كانت كلها تختص بالإله بعل هامون و تانيت و التي قدمها السكان البونيين و النوميديين، و بعد هذه الفترة ظهرت التقدمات بلغات يونانية و لاتينية.

---

(59) محمد الصغير غانم: المرجع السابق والصفحات نفسها.

و يبدو أن المعبد فقد أهميته في القرن الأول حيث ظهر معبد روماني (رقم D) ظل مستخدمًا حتى العصر الإمبراطوري المتأخر، مما يفسر وجود مئات من شواهد القبور مدفونة في الأرض بين معبد بعل هامون و المعبد الروماني[60].

11 ـ باب سيرتا :وهو معلم أثري يوجد بمركز سوق بومزو ،ويرجح أنه كان معبدا، حيث يعود تاريخ اكتشافه إلى شهر جوان من عام 1935 كما أنه حسب بعض الدراسات فإن هذا المعبد قد بني حوالي سنة 363م[61] .

12 ـ قبور الصومعة Es Soumâa : تمتلك منطقة كيرتا إحدى الجبانات القديمة الغنية في محتوياتها حيث اكتشفت بها العديد من الأطباق الفضية و أشهرها الطبق الذي يمثل الإله بوسيدون و هو يحمل الشوكة الثلاثية و الإناء المقدس و الذي يرجع إلى القرن الثاني ق.م. و كذلك أواني كبيرة فضية ترجع إلى القرن الرابع ق.م و كانت تستخدم للأغراض الدينية و كذلك العديد من جوانب الأسرة من الفضة التي تؤرخ في نهاية القرن

---

(60) عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني و الروماني (القسم الإفريقي) 296-297.

(61) www.marefa.org/index.php

الثاني ق.م. هذا فضلاً عن العديد من الأسلحة المعدنية مثل الخوذات العسكرية و السيوف[62].

13 ـ **ضريح ماسينيسا بالخروب** :ويقع على بعد 16 كلم جنوب شرق قسنطينة ، وهو عبارة عن برج مربع، تم بناؤه على شكل مدرجات به ثلاثة صفوف من الحجارة ،وهي منحوتة بطريقة مستوحاة من الأسلوب الإغريقي- البونيقي.[63]

كما توجد مقابر أخرى بمنطقة "الخروب" بالمواقع المسماة "خلوة سيدي بو حجر" قشقاش، وكاف تاسنغة ببنوارة ، إذ تعود كلها إلى مرحلة ما قبل التاريخ[64] .

14 ـ **ضريح لوليوس** : يقع ضريح لوليوس في جبل شواية بالمكان المسمى "الهري" على بعد حوالي 25 كلم شمال غرب قسنطينة، غير بعيد عن "تيديس" له شكل أسطواني، بني من حجارة منحوتة وشيدّ من طرف "لوليوس إبريكيس " حاكم روما آنذاك تخليدا لعائلته ،فسمي باسمه.[65]

---

(62) عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني و الروماني (القسم الإفريقي) 298.

(63) www.marefa.org/index.php

(64) http://constantine-sara.blogspot.com

(65) www.marefa.org/index.php

15- **برج العسوس**: قال فيه أحمد بن المبارك العطار : «و كان من جهة الغرب برج بقيت منه بقية إلى اليوم و يعرف ببرج العسوس، قالوا: كان في غاية العلو و الارتفاع في جو السماء، فإذا صعدوا إلى أعلاه بفنار[66] ينظره أهل بجاية»[67]،ولم يعد موجودا لأنه تم تهديمه سنة 1867 م[68]

ثامنا ـ الحمامات بقسنطينة

لا تزال حمامات مدينة قسنطينة التي يعود تاريخ بنائها إلى العهد العثماني محافظة على شكلها وهندستها ووظيفتها، ويبلغ عددها حوالي 20 حماماً ما زال سكان المدينة يقصدونها ويفضلونها على الحمامات العصرية ،ومن بينها:

1 ـ حمام الثلاثة : وهو أول حمام بناه الأتراك بحي الشط، كما يطلق عليه أيضا اسم حمام "لهوا" وذلك لكونه بني فوق المنحدر ،أما سبب تسميته بحمام "ثلاثة" ،فلأنه كان الوحيد الذي حدد سعره بثلاثة "صوردي" ،بينما حدد في الحمامات الأخرى بخمسة صورديات .

2 ـ حمام دقوج: وسمي بذلك لوجد ضريح سيد دقوج قرب غرفة الاستراحة الخاصة بالحمام ،وهو من أقدم الحمامات.

---

[66] كلمة عامية يراد بها المصباح الذي يستخدم للإضاءة و المصالح الحربية.

[67] تاريخ قسنطينة، ص 36-37.

[68] أمدنا بهذه المعلومة الأستاذ الفاضل : علاوة عمارة أستاذ التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،فجزاه الله خيرا.

3 ـ حمام بولبزايم : ويوجد بشارع الأربعين شريفا.

4 ـ حمام بن حاج مصطفى : ويوجد بالشط .

5 ـ حمام بن شريف: ويوجد بالشط.

6 ـ **حمام أولاد سيدي الشيخ : ويقع بالبطحاء** [69].

7 ـ حمام سيدي مير للمياه الساخنة [70] .

تاسعا ـ البساتين والحدائق بقسنطينة

يطلق الشعراء على قسنطينة اسم مدينة "الهوى والهواء" وهذا نظرا للطافة جوها، ورقة طباع أهلها، وانتشار البساتين والأشجار في كل أرجائها وبذلك تتوفر المدينة على عدة حدائق عمومية تعمل على تلطيف الجو داخلها ولعل أهم هذه الحدائق والتي ما زالت تحافظ على رونقها وجمالها:

1 ـ حديقة بن ناصر: والتي يطلق عليها "جنان الأغنياء" وتتوسط شارع باب الواد.

---

[69] www.marefa.org/index.php

[70] http://aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions

2 ـ **حديقة حي سيدي مبروك** :وتوجد بالمنطقة العليا من الحي . والأخرى بالمنطقة السفلى.

3 ـ **حديقة حي سيدي مبروك** : وتوجد بالمنطقة السفلى من الحي .

4 ـ **حديقة حي المنظر الجميل** : وتحمل اسم "قرفي عبد الحميد"

5 ـ **حديقة قصر "أحمد باي"** : حيث يتوفر على حديقة رائعة الجمال تذكر بعض الروايات أن الباي نفسه كان يشرف عليها.

6 ـ **حديقة، قسوم محمد**:و (التي تدعى سكوار قامبيطة) سابقا.

7 ـ **الحديقة الكائنة خلف شارع بلوزداد** : وهي من بين حدائق قسنطينة التي كتب عنها بعض المؤرخين والرحالة"،والتي ما فتئت تستقطب الكثير من الناس لجمالها وكثافة أشجارها ،كما يوجد بها تمثال للنحات "لوست" L . Hoest

8 ـ**الحديقة الواقعة تحت جسر باب القنطرة** : حيث توجد حديقجة رائعة الجمال، ونظرا لموقعها في المنحدر، فهي تفتن الأنظار من بعيد[71] .

عاشرا ـ أسواق قسنطينة

1 ـ **سوق العصر** :كان يسمى سابقا سوق الجمعة ،وهو سوق يقصده معظم سكان قسنطينة ، وذلك لأنه عادة ما تكون الأسعار فيه معتدلة

(71) www.marefa.org/index.php

مقارنة مع الأسواق الأخرى،ويشتهر بتنوع الخضر، والفواكه، واللحوم والأقمشة.

2 ـ **سوق بومزو** : يقع وسط المدينة بمحاذاة ساحة نوفمبر ، مقابل لمجلس قضاء قسنطينة، حيث يعود تاريخ بنائه إلى عهد وجود الاستعمار الفرنسي وهو من أهم الأسواق الموجودة بقسنطينة، حيث يعرف كل يوم حركة نشطية للغاية من الباعة والمتسوقين.

3 ـ **سوق بن بطو** : يقع بشارع بلوزداد، وهو من أقدم الأسواق ويستقطب الكثير من الزبائن بسبب جودة بضائعه.

4 ـ **سوق الخروب الوطني** : يقع بدائرة الخروب على بعد 16 كلم من مدينة قسنطينة ،وهو سوق أسبوعي وطني ، يقام يوم الجمعة ،ويتربع على مساحة كبيرة ،تباع فيه كل أنواع السلع من ألبسة، وأدوات كهرومنزلية وفواكه وخضر، وقطع غيار السيارات.

5 ـ وهناك مجموعة من الأسواق ارتبطت بحرفة ، أو تجارة معينة ،منها :سوق الصاغة ، وسوق الخرازين ، وسوق العطارين ، وسوق الصباغين وسوق الجزارين ،وسوق الحدادين، وسوق الغزل، وغيرها.

6 ـ الأسواق الصغيرة الخاصة بكل حي من أحياء المدينة : وتسمى السويقة، وهي عبارة عن سوق صغير ينشأ لسد حاجيات أصحاب الحي وما يزال ليوم الناس هذا يوجد حي بالمدينة القديمة يسمى "السويقة" [72]

حادي عشر ـ الرحبات التجارية بقسنطينة

تعتبر الرحبة ذلك المكان الواسع الذي تحوط بها المنازل،والذي يستعمل لأغراض تجارية، حيث تباع في الرحبة مختلف السلع والبضائع كالملابس والأقمشة وغيرها، وقدعرفت قسنطينة قديما عدة رحبات منها الذي ما يزال قائما حتى اليوم ،ومنها ما تحول إلى مبان وطرقات مثل :

1 ـ رحبة الصوف : والتي تحولت اليوم إلى سوق لبيع الخضر والفواكه والأواني ،وبعض الأغراض المنزلية.

2 ـ رحبة الجمال : يشهد لها التاريخ أنها كانت مبركا للقوافل التي تأتي من مختلف الأنحاء محملة بالبضائع لكنها تحولت اليوم إلى سوق لبيع الملابس ومكانا مفضلا للمطاعم الشعبية.

3ـ رحبة الزرع : والتي كان محلها بوسط المدينة حيث تقام فيها عدة نشاطات تجارية كبيع الحبوب، والتمور والزيوت .

---

(72) http://www.newscirta.com/content

4 ـ رحبة البشرلين [73] .

ثاني عشر ـ مراكز تجارية بقسنطينة

1 ـ سوق الرتاج :من أهم المراكز التجارية **للتسوق بقسنطينة** يقع بحي علي منجلي بالمدينة الجديدة قسنطينة مبني بطريقة **عصرية يحتوي على** طابق أرضي ، وطابق الأول ،خصص الأرضي منهما

لبيع الخضر والفواكه، واللحوم الحمراء والبيضاء، والأسماك ، كما ألحق به مقهى، ومطعم، ومحل لبيع الحلويات والمرطبات، وسوبيرات لبيع المواد الغذائية.

وأما الطابق الأول: فخصص لبيع الملابس النسائية، وملابس الأطفال وملابس الرجال، والأحذية، والعطور ومواد التجميل، والأواني المنزلية والأقمشة، مع مكتبة، ومحلات لبيع المجوهرات، والهواتف النقالة، والأجهزة الكهرومنزلية.

2 ـ المركز التجاري الدقسي :وهو أقدم مركز بهذا الحي شيد سنة 2000 يضم حوالي 50 محلا .

---

[73] http:///www.newsciata.com/content

3 ـ المركز التجاري: Sans Visa : يقع بعلي منجلي المدينة الجديدة قسنطينة،وهو واسع جميل ونظيف يسهل للمواطن التسوق على راحته، يحتوي المركز على ثلاثة طوابق ،تباع فيه ألبسة غير محلية مستوردة من الخارج لهذا سمي بSans Visa

4 ـ المركز التجاري : Capital :يقع بشارع العربي بن مهيدي المعروف بالطريق الجديدة ،وهو يعتبر من أقدم المراكز التجارية بقسنطينة يحتوي على طابقين أرضيين ،وطابقين علويين ،تباع فيه الألبسة النسائية غير المحلية ،كما يوجد به محلات لبيع الأكسسورات.

5 ـ المركز التجاري : Harrem center يقع بشارع عبان رمضان تباع فيه ملابس الأطفال والنساء، والأحذية ، والملابس الداخلية للنساء.

6 ـ المركز التجاري الجديد بعلي منجلي la coupole : افتتح المركز التجاري الجديد la coupole بالمدينة الجديدة علي منجلي يوم 16 ماي 2014 ،حيث يتوفر على محلات تلبي كل متطلبات الزبون من ألبسة وأفرشة،و مطاعم في ديكور رائع و هندسة معمارية حديثة ،كما يحتوي في طابقه الرابع على مطاعم ،و أماكن ترفيهية للأطفال ، هذا و يتم التنقل فيه من طابق إلى آخر بواسطة سلم كهربائي جد متطور يضمن الراحة لزوار المركز التجاري[74] .

---

[74] http://www.cne.com/4/2015/01_post-blog/html33.

كما توجد عدة مراكز تجارية أخرى بقسنطينة مثل : المركز التجاري Jennaبالخروب، والمركز التجاري Zara بحي سيدي مبروك، وسوق الرفاهية علي منجلي بالمدينة الجديدة، والمركز التجاري صالح باي بعلي منجلي بالمدينة الجديدة، والمركز التجاري Sara بسيدي مبروك [75].

ثالث عشر ـ أشياء تميزت بها قسنطينة

1 ـ الشخشوخة القسنطينية :وهي طبق الأفراح والمناسبات الدينية المميز تنتشر في الكثير من مناطق الشرق الجزائري غير أنها تحمل خصوصية كل منطقة و هو الحال بالنسبة للشخشوخة القسنطينية ،إذ هناك نوعان رئيسان للشخشوخة القسنطينة وهما : شخشوخة الظفر ، وشخشوخة السيار كما يسميها القسنطينيون [76].

2 ـ قندورة الفرقاني : تمثل اللباس التقليدي لمدينة قسنطينة العريقة بالشرق الجزائري ،هذه القندورة التي تصنع من قماش خاص يدعى القطيفة ،وتطرز يدويا بخيوط ذهبية ،تسمى الفتلة ،عن طريق حرفيين توارثوا خياطتها وتطريزها أبا عن جد ،تلبسها العروس القسنطينية يوم الحنة ،كما تلبس في شتى المناسبات،مع الحلي الذهبية ،كالمحزمة ،والسخاب ،فتزداد بذلك المرأة القسنطينية أناقة ،وجمالا،وبهاء [77] .

---

(75) http://www.newscirta.com/content

(76) http://newscirta.com/content

(77) http://www.fma-alhorof.com/vb/showthread

3 ـ **البقلاوة القسنطينية** : وهي نوع من الحلويات الموجودة في العديد من المطابخ العربية والآسيوية، كالمطابخ الشامية والمغاربيةوالتركية والجنوب آسيوية ،حيث تصنع من عجين خاص " عجينة الفيلو" ، وتحشى بالجوز واللوز ويتم تحليتها بالعسل (78) .

4 ـ المالوف القسنطيني : هو أحد أنواع موسيقى الطرب الأندلسي،وهو مصطلح يطلق على الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي بقسميه الدنيوي والديني المتصل بمدائح الطرق الصوفية. نشأ بالأندلس وارتبط في بعض الأحيان بالمدائح، وهو لا يتقيد في الصياغة بالأوزان والقوافي، ولم يمتد هذا اللون إلى مصر وبلاد الشام، لكنه استقر ببلاد المغرب العربي.

ويعتبر البعض قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري رائدة في هذا النوع الموسيقي (المالوف) بفنانيها وفرقها المعروفة، كما أن المالوف القسنطيني يتفرع بدوره في هذه المدينة لعدة طبوع منها العيساوة وكذلك ما يعرف بالفقيرات والوصفان.

ومن أشهر فناني المالوف القسنطيني : الشيخ حسونة ، والشيخ براشي والشيخ التومي ،و الشيخ الدرسوني ،ومحمد الطاهر الفرقاني ،وسليم الفرقاني ، وجمال بن سمار ،وعبد الحميد فرقاني ،ومراد فيلالي ،ويزيد

(78) http://ar.wikipedia.org/wiki

خرواطو ،ومحمد ضرباني بن ثابت ،ومبارك دخلة عنابة ،وأحمد عوابدية قسنطينة ،والعربي بوعمران عبد القادر ،وطارق معلم[79].

5 ـ الحرف القسنطينية :تعد الصناعات و الحرف التقليدية رافدا هاما يربط قسنطينة بموروثها الثقافي والحضاري و تضم الشبكة الحرفية في الولاية أزيد من مائة نشاط. في حين يبلغ عدد الحرفيين بها نحو 8218 حرفي، كما تتوفر الولاية على سبعة عشر 17 صناعة تقليدية منها: صناعة الحلي الذهبية و الفضية، والنقش على الخشب، وصناعة الخزف والنفخ على الزجاج. والاواني النحاسية ، والنقش على الجبس، والرسم على الحرير، وصناعة الألبسة المطرزة – الحرج، والفتلة- والخياطة، والحلويات التقليدية و غيرها (80) .

---

[79] http://ar.wikipedia.org/wiki

[80] http://constantine-sara.blogspot.com

المبحث الثاني

تراجم لبعض أعلام قسنطينة

وهذه تراجم لبعض المبرزين من أعلام مدينة قسنطينة نوردهم على النحو الآتي :

1 ـ رضيّ الدين القسنطيني : بضم القاف و فتح السين المهملة و سكون النون نسبة إلى قسنطينة أبو بكر بن عمر بن عليّ بن سالم الإمام رضيّ الدين القسنطيني النحوي الشافعي .

قال الصّلاح الصّفديّ: ولد سنة سبع و ستمائة، و نشأ بالقُدْس

و اخذ العربيّة عن ابن معطٍ و ابن الحاجب، و تزوّج ابنة معطٍ، و كان من كبار أئمّة العربيّة بالقاهرة.

سمع الحديث من ابن عَوْفٍ الزهريّ و جماعة، و كان له معرفة تامّة بالفقه و مشاركة في الحديث، صالحًا خيّرًا ديّنًا متواضعا ساكنا ناسكا. سمع من جماعة كثيرة، كأبي علي الأوقي و ابن المقير و تصدر للأشغال مدة و أضرّ بآخر عمره، و مات سنة خمس و تسعين و ستمائة في رابع عشر ذي الحجة و له ثمان و ثمانون سنة.[81]

أخذ عنه أبو حيّان، و مدحه بقصيدة طويلة، و ذكر في النُّضار أنّه قرأ كتاب سيبويه على ابن أبي الفضل المرْسي.[82]

2 ـ أبو العباس الزواوي : أحمد بن محمد بن علي مقري بقسنطينة، قرأ على إبراهيم بن احمد الغافقي و على بن سليمان بن احمد و مالك بن المرحل، روى القراءة عنه أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي لقيه سنة ثمان و أربعين و سبعمائة بقسنطينة.[83]

كما روى عن أبي جعفر بن الزبير و أبي عبد الله بن رشيد و جماعة و عمل فهرسة مقروءاته و مروياته في مجلدة سمعها منه أبو عبد الله محمد بن محمد السلاوي سنة 750.[84]

---

(81) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 434/5.

(82) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، 470/1-471.

(83) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، 125/1.

(84) ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 170/1.

3 ـ أحمد العوكلي القسنطيني: أحمد بن يحيى بن عيسى بن عياش بن إبراهيم العوكلي القسنطيني نزيل مكة و شيخ رباط الموفى، كان ماهرًا في آلات التجارة. مات بها في ربيع الآخر سنة ستين وسبعمائة .[85]

4 ـ أحمد الحميري القسنطيني : أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن بن يعلى بن مدافع ابن خطاب بن علي الشهاب الحميري القسنطيني المغربي المالكي نزيل الحرمين و يعرف بابن يونس. ولد في سنة ثلاث عشرة و ثمانمائة بقسنطينة، و نشأ بها فحفظ القرآن و الرسالة، و تفقه بمحمد بن محمد بن عيسى الزلدوي و أبي القسم البرزلي و ابن غلام الله القسنطيني و قاسم بن عبد الله الهزبري، و عن الأول أخذ الحديث و العربية و الأصلين و البيان و المنطق و الطب و غيرها من العلوم العقلية و النقلية و به انتفع و غير ذلك، و سمع الموطأ على ثانيهم رواه له عن أبي عبد الله ابن مرزوق الكبير عن الزبير بن علي المهلي و أخذ شرح البردة و غيرها عن مؤلفها أبي عبد الله حفيد ابن مرزوق حين قدومه عليهم و تلا بالسبع على بلديه يحيى و ارتحل للحج في سنة سبع و ثلاثين فأخذ عن البساطي شيئا من العقليات و غيرها و عن شيخنا و العز عبد السلام القدسي و العيني و ابن الديري و آخرين؛ و رجع إلى بلده فأقام على طريقته في الاشتغال إلى أن حج أيضًا بعد الأربعين و جاور بمكة.[86]

---

[85] السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 243/2.

[86] السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 252/2.

حسن بن خلف الله بن باديس القيسي القسنطيني: حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني ، ولد في حدود سبعة و سبعمائة روى عن ابن غريون و غيره و أخذ عن ابن عبد السلام و غيره و توفي و هو قاضٍ بقسنطينة سنة أربع و ثمانين و سبعمائة.[87]

حسن بن أبي القاسم بن باديس: الفقيه القاضي الشهير المحدّث أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس روى عن ناصر الدين المشدالي و ابن غريون البجائي و ابن عبد الرفيع القاضي و غيرهم. و في الأخير عن صلاح الدين العلائي المقدسي و خليل المكي و ابن هشام النحوي صاحب «المغني». و أخبر عن ابن هشام هذا أنه قال: ختمتُ عليه ألفيّة ابن مالك ألف ، و كانت ولادته سنة إحدى و سبعمائة، **قال ابن قنفذ القسنطيني** في كتابه الوفيات: «و أدرك في حداثة سنه من المعارف العلمية ما لم يدركه غيره في كبر سنه، و لغلبة الانقباض عليه قلّ النفع به لمن أدرك حياته» ، توفي سنة سبع و ثمانين و سبعمائة،موافق سنة 1385 هـ [88]

---

[87] ابن قنفذ: الوفيات، 376.

[88] ابن قنفذ: الوفيات، 376-377.

له «شرح» لكتاب «أوجز السير لخير البشر» لأحمد بن فارس القزويني الرازي، و «النفحات القدسية» و «تقاييد». و هو شيخ ابن قنفذ صاحب «الوفيات».[89]

ابن الخطيب القسنطيني : حسن بن علي الخطيب والد ابن قنفذ و من أشياخه الشيخ أبو علي ناصر الدين البجائي و ابن غريون و أبو حيان النحوي و شمس الدين الأصبهاني و أبو علي بن حسين البجائي و بسبب فتنة الطاعون هذا الوباء الفتاك ، و اختلاف طلبته في الفرار ممن مرض به ألّف كتابًا فيه سماه «المسنون في أحكام الطاعون» و له «المسائل المسطرة في النوازل الفقهية». مات سنة 787 هـ[90]

ـ أبو علي حسن بن الفكون – أول القرن السابع الهجري: الشيخ الفقيه، الكاتب الأديب البارع، أبو علي حسن بن الفكون من الأدباء الدين تستظرف أخبارهم، و تروق أشعارهم. غزير النظم و النثر، و كأنهما أنوار الزهر. رحل إلى مراكش و امتدح خليفة بني عبد المؤمن و كانت جائزته عنده من أحسن الجوائز.

---

[89] ابن قنفذ:الوفيات 376 ـ 377. و التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 108،والحفناوي : تعريف الخلف،1 / 382

[90] ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، 355-356.

و له «رحلة» نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراكش، و وافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي رضي الله عنه فنظم في ذلك. و له ديوان شعر، و هو موجود بين أيدي الناس و محبوب عندهم.

و هو من الفضلاء النبهاء، و كان مرفع المقدار، و من له الحضوة و الاعتبار. و كان الأدب له من باب الزينة و الكمال، و لم يكن يحترف به إقامة أود أو إصلاح حال. واصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها، و من كريم أروماتها. و تواشيحه مستحسنة و من مليح شعره:

دع العراق و بغداد و شامها ... فالناصرية[91] ما إن مثلها بلدُ

بر و بحر و موج للعيون به ... مسارح بان عنها الهم و النكدُ

حيث الهوى و الهواء الطلق مجتمع ... حيث الغنى و المنى و العيشة الرغدُ

و النهر كالصِّلِّ و الجنات مشرفة ... و النهر و البحر كالمرآة و هو يَدُ

فحيثما نظرت راقت و كل نوا ... حي الدار للفكر للإبصار تتقدُ

أن تنظر البر فالأزهار يانعة ... أو تنظر البحر فالأمواج تطّردُ

يا طالبًا وصفها إن كنت ذا نصف ... قل جنة الخلد فيها الأهل و الوَلدُ

و من نظمه رحمه الله، هذه القصيدة القافية، و القطعة الميمية التي تذكر بعدها، نظمها في بعض سادات بني عبد المؤمن رحمهم الله تعالى. قال في سياق ذكره و قد ذكروا جمال قصر الربيع:

عشونا إلى نار الربيع و إنما ... عشونا إلى نار الندى و المحلِّقِ

---

(91) يقصد مدينة بجاية.

ركبنا بواديه جياد زوارق ... نزلنا إليها عن ضوامر سُبَّقِ

و خضنا حشاه و الأصيل كأنه ... بصفحته تبدّي مروّق زَنْبَقِ

و سيدنا قد سار فيه لأنه ... بزورقه إنسان مقلة أزرقِ

فقلت و طرفي يجتلي كل عبرة ... و زورقه يهوى به ثم يرتقي

أيا عجبًا للبحر عبّ عبابه ... تجمّع حتى صار في بطن زورقِ

و لما نزلنا ساحة القصر راعنا ... بكل جمالٍ مبهج الطرف مُرْتَقِ

فما شئت من ظلٍّ و ريفٍ و جدولٍ ... و روضٍ متى تلمّم به الريح يعبقِ

و شادى مغاني الحسن في نغماته ... يطارحه هَذْر الحمام المطوّقِ

فيا حسن ذاك القصر لا زال آهلا ... و يا طيب ريا نشره المتنشّقِ

رتعنا به في روضة الأنس بعدما ... هصرنا به غصن المسرة مُورِقِ

و يضحكنا طول الوصا و ربما ... يمر على الأوهام ذكر التفرقِ

فتضحى موصونات الدموع هَدَالة ... و نحن على طرف من الدهر أبلقِ

لمثلما من منزهٍ و نزاهةٍ ... يجرر ذيل الذيل كل موفقِ

فلله ساعاتٌ مضين صوالحٌ ... عليهنّ من زيّ الصبّا أي رَونقِ

خلعنا عليها النسك إلا أقله ... و إن عاودت، نخلع عليها الذي بقي

و لما نضب ماء الأصيل، و رق نسيمه العليل، و همّ العشيّ بانصرام، و ودع النهار بسلام، و أرخى الليل فوقنا سدوله، و جرّر على الأفق ذيوله، عدنا إلى زورقنا ذلك، و محيا الجو غير محتجب، و وجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام و لا منتقب، و قد تشكلت الكواكب في الماء

فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء، فأمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة فبادرتهم بهذه العجالة:

و ليل مسرّةٍ ما زلت منها ... أمرُّ على صراطٍ مستقيمِ
لبست ثيابه عزا إلى أن ... تحدّرت الرجومُ من النجومِ
فنهر كالسجلجل قد تراءت ... على شطيه جنات النعيمِ
يسر النفس في نظر وشيمِ ... من المرأى الوسيم أو النسيمِ
تشكلت الكواكب فيه حتى ... جرت في قعره شهب الرجومِ
و أشكل منظرًا علوًا و سفلاً ... من الفلك الأثير إلى التخومِ
فما تمتاز أرض من سماء ... و حُوّت الماء من حُوتْ النجومِ

رضي الله وله أيضا قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب، و هي من درّ النظام، و حُرّ الكلام، و قد ضمّنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش، و أوّلها:

ألا قُلْ للسَّرِيّ ابْنِ السَّرِيِّ ... أبي البَدرِ الجوادِ الأرْبَحِيّ

و منها:

و كنتُ أظنّ أنَّ الناسَ طُرًّا ... سوى زَيدٍ و عمرو غَير شَيّ
فلمّا جئتُ مَيْلَة خير دار ... أمالَتْني بكلّ رشا أبيّ
و كَمْ أورت ظباء بني وارٍ ... أُوَارَ الشّوق بالريقِ الشَّهيّ
و جئتُ بجايةً فَجَلتْ بدورًا ... يَضِيقُ بوصفها حرفُ الرويّ
و في أرض الجزائر هامَ قَلْبي ... بمَعْسُولِ المراشف كوثريّ

و في مِلْيانةٍ قَدْ ذبتُ شوقًا بلينِ العطْفِ و القَلْبِ القَسيِّ

و في تَنَسٍ نسيتُ جميلَ صبري و هِمْتُ بكلِّ ذي وجه وضيِّ

و في مازونةٍ ما زلت صَبًّا بوسنانِ المحاجرِ لوذعيِّ

و في وَهْرَانَ قد أمسيتُ رهنًا بظامي الخصر ذي ردفٍ رَوِيِّ

و أبدَتْ لي تِلِمْسانٌ بدورًا جلبنَ الشّوقَ للقلبِ الخليِّ

و لما جئتُ وَجْدة هِمْتُ وجدًا بمنخنثِ المعاطفِ معنويِّ

و حلَّ رشا الرباطِ رِشا رباطي و تيّمني بطرفٍ بابليِّ

و أطلعَ قطرُ فاسٍ لي شموسًا مَغاربُهنَّ في قلبِ الشجيِّ

و ما مكناسة إلاَّ كناسٌ لأحْوى الطرف ذي حُسنٍ سنيِّ

و إن تسأل عَن ارض سلا ففيها ظباءٌ كاسِراتٌ للكَمِيِّ

و في مراكشٍ يا ويح قَلْبي أتى الوادي فَطَمَّ على القَرِيِّ

بدورٌ بلْ شموسٌ بلْ صباحٌ بَهِيٌّ في بهيٍّ في بهيِّ

أبحنَ مصارعَ العشّاقِ لما سَعَيْن به فكم مَيْتٍ وَ حِيِّ

بقامةِ كلّ أسمرَ سَمْهَرِيٍّ و مقلةِ كلِّ أبيضَ مشرفيِّ

إذا أنْسَيْنني حُسنًا فإنّي أنَسّيهِمْ هوي غَيْلانِ مَيِّ

فها أنا قد تخذتُ الغرب دارًا و أُدعَى اليوم بالمرّاكشيِّ

على أنَّ اشتياقي نحوَ زيدٍ كشوقِكَ نحوَ عمرو بالسويِّ

تقسَّمي الهوى شرقًا و غربًا فيَا للمَشْرقيِّ المغْربيِّ

فلي قلبٌ بأرضِ الشرقِ عان و جسمٌ حلَّ بالغَرب القصيِّ

فهذا بالغُدوّ يهيمُ غربًا و ذاكَ يهيمُ شرقًا بالعشيّ

فلولا الله متُّ هوى و شَوْقًا و كَمْ لله من لطفٍ خفيّ.[92]

سيدي طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني : الشيخ الفقيه الولي الصالح الصوفي العارف بالله نزيل المدينة المشرفة أخذ عن الإمام القطب العارف بالله سيدي أحمد زروق و عن ولده الشيخ أحمد زروق الصغير و انتفع بهما و له تآليف في التصوف منها نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد في ثلاثة كراريس و رسالة القصد إلى الله في كراسين وقفت عليهما و توفي بعد 940 هـ / 1533 م. [93]

عبد الله بن محمد بن عبد الغفار بليغ الدين أبو محمد القسنطينيّ النّحويّ العَروضيّ : كذا ذكره الصّفديّ، و قال: كان موجودًا في عشر الستمائة. و له قصيدة خاليّة، ذكرناها في الطبقات الكبرى، و مطلعها:

أيا راكبَ الوَجْناءِ في السَّبْسَب الخالي

إذا جئتَ نَجْداعُجْ على دِمَن الخالِ.[94]

---

[92] المقّري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/483-484،والغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، 334-336.

[93] ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، 116وكحالة: معجم المؤلفين 35/5، و التنبكتي: نيل الابتهاج، 130 .

[94] السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، 58/2.

أبو الحسن التميمي المغربي القسنطيني : عليّ بن أبي القاسم محمد أبو الحسن التميمي المغربي القسنطيني المتكلم الأشعري، قدم دمشق و سمع بها صحيح البخاري من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي و خرج إلى العراق و قرأ على أبي عبد الله محمد بن عتيق القيرواني و لقي الأئمة ثم عاد إلى دمشق و أكرمه رئيسها أبو داود المضرّج بن الصوفي، و ما أظنه روى شيئًا من الحديث لكن قرأ عليه بعض كُتُب الأصول، و كان يُذكر عنه أنه كان يعمل كيمياء الفضّة، له تصنيفًا في الأصول سماه كتاب تنزيه الإله و كشف فضائح المشبهة الحشوية، و توفي بدمشق ثامن عشر رمضان سنة 519هـ / 1125 م. [95]

(قاسم) الهلالي الهزبري القسنطيني : (قاسم) بن عبد الله بن منصور بن عيسى بن مهدي الهلالي الهزبري – بكسر الهاء و فتح الزاي و سكون الموحدة ثم مهملة بطن من هلال بن عامر – القسنطيني المالكي. ولد بها في سنة ثمان و ثمانين و سبعمائة و قرأ بها القرآن لنافع من طريقيه و أخذ الفقه عن عبد الرحمن الباز و محمد الزلدوي قاضي قسنطينة و محمد بن مرزوق و رحل إلى تونس فأخذه عن قاضيها عيسى الغبريني و أبوي القاسم

---

[95] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 397/4 ،والبغدادي: إيضاح المكنون، 328/1، و هدية العارفين 695/1، و كحالة: معجم المؤلفين، 187/7.

البرزلي[96] و العبدوسي و سمع من لفظه البخاري؛ و قدم علينا حاجًا في سنه تسع و أربعين فلقيته بالميدان في جماعة و أجاز لنا. و ممن أخذ عنه أحمد بن يونس الماضي. مات.[97]

(قاسم) بن محمد بن قاسم القسنطيني المالكي نزيل المدينة، ممن سمع من الإمام السخاوي بها.[98]

أبو عبد الله) القسَنطينيّ المعروف بابن الشُّمُنِّي :محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد التميميّ القسَنطينيّ (المعروف بابن الشُّمُنِّي أبو عبد الله)

قال ابن مكتوم: ذو فنون، حسن المذاكرة، و كان أحدَ المتصدّرين في جامع عمرو لإقراء الفقه و الأدب، و أحد الشهود المعدّلين بها. روى عنه الرّشيد العطار، ولد سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بقُسَنْطِينَية و الشُّمُنِّي، بتشديد الشين المعجمة و الميم و تشديد النون، هو الجدُّ الأعلى للشيخ الإمام تقيّ الدين الشُّمُنِّي .[99]

أبو القسم الحميري القسنطيني : (محمد) بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن أبو القسم الحميري الفاسي الأصل القسنطيني التونسي ثم المقدسي المالكي والد أحمد المعروف بالخلوف. جاور بمكة سنة ثلاثين فما بعدها ثم قدم بيت المقدس فقطنه حتى مات في سنة

---

[96] بضم أوله و ثالثه من القيروان.

[97] السخاوي: الضوء اللامع، 182/6.

[98] السخاوي: الضوء اللامع، 190/6.

[99] السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، 101/1.

تسع و خمسين[100] ، و كان بارعا في الفقه متقدما فيه و كتب لصاحب المغرب. أفاده ولده.[101]

(محمد) بن مبارك القسنطيني : (محمد) بن مبارك القسنطيني المغربي المالكي نزيل المدينة النبوية؛ استوطنها مدة و حمده أهلها بحيث رأيتهم كالمتفقين على ولايته و بلغني عنه أحوال صالحة مع تقدمه في العلوم حتى أنه أقرأ الطلبة في الفقه و العربية و غيرهما و انتفعوا به مع أنه لم يشتغل إلا بعد كبره، و من شيوخه محمد بن عيسى، مات سنة ثمان و ستين أو التي تليها بالمدينة[102] رحمه الله و إيانا.[103]

ابن قُنْفُذ القسنطيني : **(740–810هـ/1340–1407م)** :

أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب أبو العباس القسنطيني، ابن قنفذ: باحث، له علم بالتراجم و الحديث و الفلك و الفرائض. من أهل قسنطينة (Constantine) بالجزائر ولي قضاءها، و رحل إلى المغرب الأقصى فأقام 18 عاما. من كتبه «شرح الطالب في أسنى المطالب–خ» تراجم، و «تيسير المطالب في تعديل الكواكب» قال في وصفه: لم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين، و «شرح منظومة ابن أبي الرجال–خ» في الفلك، و «بغية الفارض من الحساب و الفرائض» و «سراج الثقات في

---

(100) أي سنة 859 هـ .

(101) السخاوي: الضوء اللامع، 36/8.

(102) أي سنة 868 هـ ،أو التي بعدها .

(103) السخاوي: الضوء اللامع، 295/8–296.

علم الأوقات» و «الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية-خ» في تاريخ بني حفص ألفه للأمير أبي فارس عبد العزيز المريني، و نسبه إليه؛ و «الوفيات-خ» أخذت عنه، و قيل لي إنه طبع في الجزائر، و هو مختصر ذكر فيه بعض علماء المغرب؛ و «أنس الحبيب عن عجز الطبيب» و «القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية-خ» في دمشق، و «أنس الفقير و عز الحقير-ط» في ترجمة الشيخ أبي مدين و أصحابه، قال صاحب جواهر الكمال: هو شبه رحلة تقصى فيها تنقلاته بالمغرب الأقصى و من لقي من أهل العلم و الصلاح و «تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد» قال في وصفه: و هو غريب.[104]

الضَّرير (739-807هـ/1339-1416م) : محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله ابن أبي زيد المراكشي الضرير: أديب من الفقهاء المفتين العارفين بالحديث. له نظم جيد و أراجيز. ولد كفيفًا في مراكش و سكن قسنطينة و قرأ على علماء بني باديس ، و ورد تونس، و أملى كتبًا، منها «إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم-خ» في دار الكتب (26/5) بخط الشيخ عبد الرزاق البيطار[105] و «ترجيز المصباح» في المعاني و البيان، و شرحه «ضوء الصباح على ترجيز المصباح» و مختصره «ضوء المصباح» و «أرجوزة

---

[104] الزركلي: الأعلام، 117/1،

[105] ابن قنفذ: الوفيات، 381-382.

في المنطق» شرحها ابن قنفذ في سفر سماه «إيضاح المعاني و بيان المباني»[106].

قال التنبكتي: «أخذ عن علماء بني باديس و غيرهم، و ورد تونس و حضر مجلس ابن عرفة و رأى ما يقع هناك من الأبحاث و قام عنهم و نظم بيتين في هجو المجلس فبلغ ذلك ابن عرفة فتغير من ذلك كثيرا».

و من تآليفه «إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم» و هو تأليف حسن في كراريس أملاه سنة 801هـ كما وقفت عليه في نسخة صحيحة منه، و وقع للسخاوي أنه أملاه سنة 810هـ حيث قال : " و ليس كذلك لما تقدم من وفاته لابن الخطيب و هو أعلم به .»[107]

والحقيقة أن السخاوي لم يقل ذلك بل ورد في كتابه الضوء اللامع ما يلي : " ولد في جمادى الآخرة سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة ضريرًا كما قرأته بخطه، و رأيت له عند البدر بن عبد الوارث المالكي مصنفًا ابتدأه في ذي القعدة سنة إحدى و ثمانمائة سماه إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم صدره باختلاف علماء تونس و بجاية فيها سنة ست و عشرين و سبعمائة فمنعه التونسيون و أثبته البجائيون قال و أنا معهم بل هو قول ابن الغماز من علماء تونس و ابن دقيق العيد و أشياخنا بني باديس رحمه الله.[108]

---

[106] ابن قنفذ: الوفيات، 381-382.

[107] «نيل الابتهاج»، ص 284.

[108] الضوء اللامع، 48/8.

توفي ببونة Bône بالجزائر في آخر ذي الحجة تكملة سنة سبع و ثمانمائة. و كانت ولادته سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة.[109] [110]

مصطفى بن الشاوش القسنطيني : العلامة الشيخ أبو الوفا مصطفى بن الشاوش أديب زمانه و فريد أوانه، ذو العلم الجليل و الفضل الشهير، كان متعلقا بمذهب أبي حنيفة متبحرا في العربية بفنونها.

أخذ عن الشيخ صالح بتونس، و رجع لقسنطينة فدرس و أقرأ، و خطب بالجامع الأخضر و أفتى على المذهب النعماني، و عرضت عليه الفتوى بعد موت الشيخ مصطفى باش تارزي فرفض، و مات سنة 1252.[111]

ابن الكمّاد (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي) : إبراهيم بن عبد الكريم ابن الكمّاد: من أعيان قسنطينة في النصف الثاني من المائة الثامنة أي في سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة. ولي الكتابة للسلطان أبي العباس بن الأمير المرحوم أبي عبد الله بن أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ابن الأمراء الراشدين ، أحد كبار ملوك الحفصيين بتونس. **قال ابن قنفذ القسنطيني:** « وقرب من خدامه الواصلين معه إلى الحضرة أربعة الشيخ

---

[109] ابن قنفذ: الوفيات، 381-382.

[110] ابن قنفذ: الوفيات، 381-282، و السخاوي: الضوء اللامع، 48/8، والزركلي: الأعلام 193/6، وديبوز : نهضة الجزائر الحديثة، 134/1.

[111] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف ، 2 /444.

الوزير أبا إسحاق إبراهيم بن الشيخ الوزير أبي الحسن بن أبي هلال الهنتاتي،وشقيقه الشيخ الرئيس الحاج أبا عبد الله محمد ،وكلاهما قسنطينيان بالولادة ، والكاتب العاقل أبا إسحاق إبراهيم ابن الفقيه الحظي ،المشرف المشكور ،أبي محمد عبد الكريم بن الكماد من وجوه بلدنا ،والكاتب الفاضل أبا الحسن علي بن زكرياء من بيتات الأندلس .... » قدم معه إلى تونس من قسنطينة و كان من خواصه» .[112]

القسنطيني (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي) : إبراهيم بن وحّاد الكومي القسنطيني أبو أسحاق ، من فحول الشعراء له في الأمراء الراشدين أمداح مدونة و هو والد أبي زكريا، الذي قال فيه ابن قنفذ :" وأول من كتب علامته بالحضرة الفقيه ،أبو زكريا يحي ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن وحاد الكومي ،القسنطيني ،وطالت في ذلك مدته وحسنت مع الناس مشاركته ،وله في كتابة السر قلم وجيز ،بليغمع حسن الخط والسمت ،وملازمة الصمت ،وكان والده من فحول الشعراء ....." [113]

أبوالعباس (وفاته 1251هـ / 1836) : الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي، أبو العباس فقيه، له مشاركة في علوم البلاغة و البيان و سير الرجال و المنطق و الكلام. من أهل قسنطينة. قال صاحب «تعريف

---

[112] الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، 177 ـ 178 .

[113] الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 178،وعادل نويهض : معجم أعلام الجزائر 14.

الخلف»: «أخذ عن الشيخ أبي محمد سيدي حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة ، وعن غيره ورجع لقسنطينة فكان آية زمنه ،حفظا وإتقانا وتبيانا في علم البلاغة والبيان ،عارفا برجال الحديث وعلله ،له اليد الطولى في فن المنطق والكلام ،والعلوم الإلهية ،عالما بقراءة السبعة ،متمكنا من أدب المناظرة ،ولي النظر على الأوقاف ثم القضاء مرتين والخطابة بسيدي علي بن مخلوف ،ثم بمسجد رحبة الصوف ، له «تقاييد على صحيح مسلم و عدة مؤلفات» ،توفي في 2 جمادى الثانية 1251 هـ[114]

الخلوف (829 – 899هـ / 1425 – 1494م) : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، شهاب الدين، أبو العباس، الخلوف: شاعر، أديب، ناثر أصل عائلته من فاس بالمغرب الأقصى. ولد بقسنطينة، و ذهب به والده صبيًا إلى الحجاز فأقام بها أربع سنين. ثم تحول إلى بيت المقدس فحفظ القرآن و لازم أبا القاسم النويري و أخذ عن شهاب بن رسلان و العز القدسي و غيرهما. و في سنة 859هـ-1455م توفي والده، فانتقل إلى القاهرة و منها إلى المغرب حيث استكتبه المولى المسعود بن عثمان حفيد أبي فارس الحفصي. و دخل القاهرة بعد ذلك غير ما مرّة، منها زيارته لها سنة 877هـ بمناسبة حجه، فاجتمع فيها بالإمام السخاوي صاحب «الضوء اللامع» الذي قال في وصفه: و هو حسن الشكالة و الأبهة ظاهر النعمة

---

(114) الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، 1 / 310 ـ 311 ، ونويهض : معجم أعلام الجزائر 24.

طلق العبارة، بليغًا بارعًا في الأدب و متعلقاته .. الخ، توفي بتونس سنة 899هـ. له «ديوان شعر» طبع في لبنان سنة 1873م و «تحرير الميزان لتصحيح الأوزان» في العروض، و «مواهب البديع» ميمية في علم البديع و «نظم التلخيص» في المعاني و البيان و «عمدة الفارض» أرجوزة في علم الفرائض، و «جامع الأقوال في صيغ الأفعال» أرجوزة في تصريف الأسماء و الأفعال، و «نظم المغني» في النحو، و «شرح مواهب البديع».[115]

محمد الحفصي القسنطيني : الشيخ أبو عبد الله محمد الحفصي ، كان عالما عارفًا بارعًا في المنقول و المعقول، حافظًا الحديث مدركًا لرقائقه و علله و رجاله.

أخذ عن الشيخ صالح الكواشي بتونس، و رجع لقسنطينة فتولى القضاء، و ألّف حاشية عظيمة على «السلّم» في المنطق، و له تقاييد في سائر الفنون توفي في حدود سنة 1226.[116]

القسنطيني (بعد 756هـ / 1355م) : الحسن بن أبي الفضل القسنطيني أبو علي: من كتّاب الدولة الحفصية في عهد الأمير أبي العباس بن الأمير المرحوم أبي عبد الله بن أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ابن الأمراء الراشدين قال ابن قنفذ : "وأول من كتبها له في البيعة الأولى الواقعة في قسنطينة ،في

---

[115] السخاوي : الضوء اللامع، ج2 / 122-123 و 88، ص 45، ترجمة والده و الأعلام للزركلي ج1، ص 221. ونويهض : معجم أعلام الجزائر 39.

[116] الخفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف2/ 204.

شهر شعبان من سنة ست وخمسين وسبعمائة الكاتب أبو علي حسن بن أبي الفضل القسنطيني ،وكان له خط حسن وافق على حسنه كل من وقف عليه كالأمير أبي عنان و غيره ." [117]

حسن بن بلقاسم بن باديس (القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي): حسن بن بلقاسم بن باديس، أبو علي: فاضل، من أهل قسنطينة، لقيه العبدري في أواخر المائة السابعة و ذكره في رحلته فقال: «شيخ من أهل العلم، يذكر فقهًا و مسائل، ذا سمت و هيئة و وقار بقسنطينة .. الخ».[118]

قال العبدري : " سمعته يقول : وقع الكلام بين يدي الإمام أبي الحسن اللخمي في حكم السفر إلى الحج ،مع فساد الطريق ،هل الأولى تركه احتياطا على النفس أو الاستسلام في التوجه إليه ومال اللخمي إلى ترجيح الترك قال وفي المجلس رجل واعظ فقال يا فقيه تسمع ما أقول فقال نعم فأنشده :

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم ÷ فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

فاستحسن كل من حضر منزعه وانفصل المجلس على أن الأولى تحمل الخطر في التوجه والإعراض عن العوائق[119] .

---

[117] الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. 179 .

[118] التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 103-104. وعادل نويهض : معجم أعلام الجزائر 68-69.

[119] الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف . 382 ـ 383 .

ابن سرور القسنطيني (791 – 845هـ / 1389 – 1441م) :

سرور بن عبد الله بن سرور، أبو الوليد: فقيه مالكي، من أهل قسنطينة قال أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي في كتابه «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ و الأقران»: «ولد كما أخبرني به سنة إحدى و تسعين و سبعمائة في قسنطينة ثم قطن الإسكندرية و بقي فيها مسلسلاً في بعض المراكب في آخر سنة أربعين و ثمانمائة، ثم بلغنا في شعبان سنة خمس أنه قتل و اختفى خبره».[120]

القسنطيني (القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي) : عبد الرحمن بن محمد بن الغازي القسنطيني: فقيه، له معرفة بالأنساب و التاريخ، من كتّاب العلامة في الدولة الحفصية. ذكره ابن الأحمر في كتابه «مستودع العلامة» و قال: «الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى، كاتب علامة المنتخب لدين الله يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الموحد ملك بجاية. كاتب علامة في ثلاث دول، و رب المعرفة بأنساب الأواخر و الأول». و يحيى بن إبراهيم هذا ولي الإمارة حوالي سنة 683هـ و توفي في بجاية سنة 700هـ – 1300م، فيكون عبد الرحمن قد ولي كتابة العلامة في هذه المدة من الزمن.[121]

---

(120) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر 74 ، وقارن بـ : التنبكتي :نيل الابتهاج، ص 126

(121) عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر 87-88.

أحمدُ المسبّح أبو العباسِ القسنطيني : الفقيه المدرس أبو العبا[illegible] المدعو حميدة المسبح ، كان من المفتين بقسنطينة و من ذوي بيتاتها [illegible] له معرفة ونباهة و صدق، و ممن له الشورى في النوازل، و يقال: إ[illegible] أخيه أبي محمد عليه في بعض المهمات إلاّ أن أخاه أبا محمد أشهر [illegible] لأجل مخالطته الأمراء[122] توفي رحمه الله تعالى عام 981 أ هـ، [illegible] الشيخ حمدان الونيسي.[123]

الوزّان (توفي 960هـ / 1553م) : عمر بن محمد الكماد الأ[illegible]ري القسنطيني، أبو بكر، المعروف بالوزّان: فقيه، صوفي، له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية. من أهل قسنطينة، أخذ عنه أبو الطيب البسكري و عبد الكريم الفكون. له «البضاعة المزجاة» و «الرد على الشبوبية» ختمه بالتصوف، و «حاشية» على شرح الصغرى للسنوسي، و «فتاوى» في الفقه و الكلام.[124] .

محمد الونيسي القسنطيني : العلامة الإمام أبو عبد الله محمد فتحا ابن الشيخ أبي الحسن الونيسي، نادرة زمانه و خليل أوانه، ولد عام ثلاثة و ثلاثين من القرن الثالث عشر، و مات و عمره سبع و عشرون سنة.

---

(122) ابن الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية 47 ، و الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف1 / 332.

(123)الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف1/ 332

(124) التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 197،والحفناوي : تعريف الخلف، ج1، ص 76-77، الأعلام ج5، ص 225، وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر 125.

له من المؤلفات حاشية على إيساغوجي، و حاشيته على صغرى الإمام السنوسي، و مؤلف في أحكام الختنى، و شرحا على البسملة و نظما في التوحيد، و شرحه شرحين صغيرا و كبيرا، و نظما في التصريف، و حاشية على مختصر السعد، و رسائل في مسائل متفرقة، و تقارير كثيرة على خطب في غالب الكتب المتداولة.[125]

ابن قنفذ (توفي نحو 1015هـ / 1606م) : محمد القسنطيني، أبو عبد الله، الشهير بابن قنفذ: فاضل، له علم في التاريخ، من أهل قسنطينة. رحل إلى المشرق و سكن مدة في دمشق. له «إدريسية النسب في القرى و الأمصار و بلاد العرب» فرغ منه بدمشق سنة 1001هـ. توجد منها مخطوطة بالرباط و أخرى بالقاهرة.[126]

محمد بن الحبيب القسنطيني : العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحبيب ،كان في العلم لا يدرك له غبار، و أخذ عن أجلة من العلماء الأعيان، و غلب عليه الزهد و التصوف بملازمة عبد الرحمن باش تارزي فتحلى بعلم الباطن، و برقت له بارقة من نور الجلال و الجمال، فاتخذ الخلوة مسكنا و الاعتزال وطنا، و لازم مدرسته سيدي الأخضر حتى تودي للرفيق الأعلى سنة 1252.[127]

---

[125] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 342/2.

[126] البغدادي : هدية العارفين 2 / 226 ، وعادل نويهض: معجم أعلام الجزائر 177.

[127] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2/ 195-196.

محمد بن مبارك القسنطيني: فاضل، من أهل قسنطينة، رحل إلى الحجاز و استوطن المدينة المنورة. **قال السخاوي**: و حمده أهلها بحيث رأيتهم كالمتفقين على ولايته، و بلغني عنه أحوال صالحة، مع تقدمه في العلوم، أقرأ الطلبة في الفقه و العربية و غيرهما. مات بالمدينة سنة ثمان وستين وثمانمائة ، الموافق لسنة :أربع وستين وأربعمائة وألف.[128]

مصطفى بن عبد الرحمن القسنطيني باش ترزي : الشيخ مصطفى بن الولي الشهير سيدي عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش باش ترزي كان أعجوبة أوانه علما و حفظا و ورعا و ديانة، حاملا لواء المذهب الحنفي، ممتلئا من علمي المعقول و المنقول، عارفا بالفلك لا يشاركه فيه غيره، شاعرا مجيدا، ولي الفتوى الحنفية، ثم القضاء، ثم الخطابة بجامع سوق الغزل، ثم بجامع القصبة، ثم بسيدي للكتاني.

و له مؤلفات عزيزة منها: «تحرير المقال في جواز الانتقال» و رسالة في الوقف على مذهبه، و شرح منظومة الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن في الحساب، مقتصرا على العمل دون التبيين لكلامه.

توفي عام ثمانين و تسع مئة (980) انتهى من «منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية» للشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفكون القسيطيني.[129] ، وله أيضا : «المنح الربانية في بيان المنظومة

---

[128] الضوء اللامع، 8/ 295-296 ، وعادل نويهض: معجم أعلام الجزائر 177.

[129] الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف: 2 / 444-445.

الرحمانية، شرح منظومة والده ،و قد فرغ منها سنة 1287هـ». ،مما يؤكد أنه كان(حيًا 1287هـ / 1870م) [130].

مُحَمَّد بنُ المسبحِ القسنطيني (من خط الشيخ أحمدان الونيسي القسنطيني كما نص على ذلك الحفناوي) : أبو عبد الله الشيخ العلامة الجليل الأديب الواعظ الخطيب قاضي السادة الحنفية ببلد قسنطينة.

كان رحمه الله أديبًا بليغًا عارفًا بالعربية و اللغة و الحديث مطَّلِعًا على علله مشاركًا في فنون من العلم جليلة، خطيبًا مِصْقَعًا فارس المنابر، رقيق القلب كثير الخشوع، له باع مديد في صناعة الخطابة و الإنشاء، ذو صوت حسن فائق، و تذكير مؤثر رائق، إذا وعظ، ليَّن القلوب، و أزال الكروب، و لم يكن في زمانه و بعده مثله.

أخذ عن الشيخ عبد القادر الراشدي، و شيخ الإسلام أبي الحسن الونيسي و الإمام الحفصي و غيرهم، و كان مالكي المذهب فحوَّله عثمان باي إلى المذهب الحنفي، و ولاه الخطابة بجامع سوق الغزل، و به كان يصلي الأمير، و ولي قضاء الحنفية بقسنطينة مرارًا، و توفي رحمه الله عام 1242. [131]

---

[130] عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر 194.

[131] الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف1 / 203-204.

إبراهيمُ بنُ فائدٍ القسنطيني (796 ـ857 هـ /1394 ـ 53..

إبراهيمُ بنُ فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني شارح «مختصر خليل».

قال السخاوي: ولد في جبل جرجر سنة ست و تسعين و سبع مئة (796)، و أخذ الفقه عن أبي الحسن علي بن عثمان يعني المسناوي فقيه بجاية، قال: ثم رحل لتونس فأخذ الفقه أيضًا و المنطق عن الأبي، و الفقه و التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني، و الفقه وحده عن يعقوب الزغبي، و الأصول عن عبد الواحد الغرباني، ثم رحل لجبال بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراج، ثم دخل قسنطينة فقطنها، و أخذ الأصلين و المنطق عن حافظ المذهب أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالبار و المعاني و البيان عن أبي عبد الله القيسي، و الأصلين و المنطق و المعاني و البيان مع الفقه و غالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله ابن مرزوق حفيد المغرب، لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها ثمانية أشهر، و لم يزل على الاشتغال و الأشغال حتى برع في جميع الفنون، لا سيما الفقه.

و عمل تفسيرًا و «شرح ألفية ابن مالك» و «تلخيص المفتاح» في مجلد و شرح «مختصر خليل» في ثمان مجلدات و سماه «تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل» و شرحًا آخر كمل في مجلدين سماه «الإكليل النيل». و حجَّ مرارًا و جاور و توفي سنة سبع و خمسين و ثمان مئة (857) أ هـ.

قتل: و قد وقف الحفناوي على السفر الثالث من شرحه المسمى «تسهيل السبيل» من القسمة حسن من جهة النقول يستوفيها، يعتمد فيها على ابن عبد السلام و التوضيح و ابن عرفة و غيرهم، و في آخره جامع كبير محتو على فوائد لخصها من «البيان» لابن رشد و غيره، و رأيت في خزانة جامع الشرفاء بمراكش السفر الأول من شرح آخر له على خليل، قدر الثلث إلى الجهاد سماه «تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق» مجلد ضخم.[132]

أبو منصور عمار الشريف القسنطيني : العلامة الشريف أبو منصور عمار الشريف كان من نخبة قسنطينة، و درة أعيانها، فقيها أديبا أصوليا بيانيا مشاركا في جميع الفنون. أخذ عنه الونيس الأصغر، و الميلي، و تقلد نظارة الأوقاف و القضاء مرتين، و الخطابة بجامع رحبة الصوف ، مات رحمه الله سنة 1241.[133]

أحمدُ بنُ محمدٍ المبارك القسنطيني : العلاَّمة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المبارك ،كان وقاد القريحة، بديه الإدراك، واسع الفكر، عريض الفهم و الإدراك، أسنِدت لعُهدته رئاسة الطريقة الشاذلية، فساسها على متون الشريعة، و هذَّبها بنصائحه المفيدة.

---

[132] السخاوي : الضوء اللامع 1 / 116 والحفناوي :تعريف الخلف برجال السلف 1 / 247-248، والزركلي : الأعلام 1 / 57 .

[133] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2 / 114.

درَّس و ألَّف مؤلفات في شمائل الرسول و معجزاته، و له حاشية على شرح الأخضري لـ «جوهرةِ المكنون» مفيدة في بابها، و عارض عدة قصائد في مدح خير البرية.

أخذ عن العباسي و غيره و الأول عمدته، و ولي مفتيًا للمالكية و الخطابة بالجامع الكبير. مات رحمه الله عقب سنة 1265.[134]

أحمدُ بنُ مسعود القسنطيني : أحمد بن مسعود القسنطيني **أبو** العباس الشهير بابن الحاجة الإمام المقرىء المتعبد النحوي المجيد صاحب الأوقات و إمام الحضرة.

أخذ عن ابن برال، و أبي العباس الزواوي و غيرهما، و أخذ عنه البرزلي و أبو الطَّيِّب ابن علوان و غيرهما.[135]

أبو محمدٍ بركاتُ القسنطيني : الفقيه النجيب المشارك أبو محمد بركات، ذو معرفة و دراية، كان مشتغلاً بالقراءة و الإقراء و العكوف على الدرس و التدريس، حريصًا على الانتفاع ،فربما يقال: إنه لا يكتفي مما يقرأ في الدرس حتى يأتي إلى الجد عبد الكريم بن يحيى فيقرأ عليه، و يمسكه في أي موطن جاء، و ربما كان بدكانة سقيفته، رحمهم الله و غفر لهم، و كان و إخوته الثلاثة ممن لهم محبة خالصة في الجد عبد الكريم بن يحيى، يقفون

---

(134) الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف1/ 326-327 ، والزركلي : الأعلام 1 / 246 وقال : " نحو 1270 / 1854 " .

(135) الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف 1 / 331-332.

عند أقواله معتقدين في آرائه، لا يخرجون عن فتواه في نازلة ما ، توفي رحمه الله في زمن الطاعون عام 982.[136]

أبو محمد المسبح القسنطيني : الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرداسي نسبا، كذا بخطه.

كان مفتيا بقسنطينة مرجوعا إليه في وثائق أهلها، و كان الحساب أغلب عليه من غيره، مدرسا في الفقه، صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق، و له شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن بن الصغير الأخضري، طالعناه زمن الشبيبة فرأينا عماده على جمع الكتب و النقل منها فحسب، لا يلم بلفظ المصنف و لا يأوي إليه، و لا ما يستخرج من أبحاث لفظه و مفهوماته و مآخذه، و هو الموجب لشرحنا عنه المسمى «بالدرر في شرح المختصر» .[137]

عبدُ اللَّطيفِ المسبح : الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرداسي نسبًا كذا بخطه، كان مفتيًا بقسنطينة مرجوعًا إليه في وثائق أهلها و كان الحساب أغلب عليه من غيره، مدرسًا في الفقه، صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق.

و له شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن ابن صغير الأخضري، طالعناه زمن الشبيبة، فرأينا عماده على جمع الكتب و النقل

---

[136] ابن الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية 47 .

[137] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف . 2/ 264.

منها فحسب، لا يلم بلفظ المصنف و لا يلوي إليه إلا ما يستخرج من أبحاث لفظه و مفهوماته و مآخذه، و هو الموجب لشرحنا عليه المسمى «بالدرر في شرح المختصر» نبهنا على فوائد فيه لم توجد في المطولات و يذكر لأبي محمد المترجم له شرحًا على «الدرة البيضاء في الحساب» للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الأخضري، و لم أظفر به، نعم رأيت له تكملة لشرح الشيخ على منظومته في الفرائض الذي مات و الله أعلم قبل إكماله فتممه صاحب الترجمة أبو محمد مقتصرًا فيه على العمل دون التبيين لكلامه توفي رحمه الله تعالى عام 980.[138]

أبو منصور عمار بن شريط القسنطيني : العلامة الشهير الشيخ أبو منصور عمار بن شريط الفرد الإمام و القدوة الهمام الحافظ الدراكة، نخبة أهل زمانه فقها و أدبا و علما بالحديث و الأصول، طويل الباع في علم البلاغة من نظراء الحفصي و أمثاله، تولى الفتيا المالكية، ثم نظر الأوقاف ، مات في حدود سنة 1250.[139]

أبو راشد عمار الغربي القسنطيني : العلامة الشيخ أبو راشد عمار الراشد المعروف بالغربي. كان أديبا له الباع الطويل في المعقول و المنقول شاعرا مجيدا، ولي الفتوى المالكية و الخطابة بسيدي علي بن مخلوف، و التدريس

---

[138] ابن الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية 46 والحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2 / 39.

[139] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2 / 113.

بمدرسة سيدي الكتاني، ثم إلى جامع القصبة، ألف حاشية جليلة على الشيخ إبراهيم الشبرخيتي شارح المختصر ، وله نظم ، توفي في جمادى الثانية سنة 1251هـ / 1835 م.[140]

محمد بن أحمد القسنطيني : الشيخ الإمام العالم العلم و الركن الملتزم المستلم، العلامة القدوة المشارك النحرير، ذو البركات الظاهرة و القدر الخطير، أعجوبة الزمان و فريد العصر و الأوان، الدراكة الحافظ المتقن المحقق الضابط الفهامة المدرس المدقق، لفارس المعقول و المنقول، و الآتي في درسه بما يبهر العقول، ملحق الأواخر بالأوائل، و علم السراة القادة الأفاضل الصالح البركة أبو عبد الله سيدي محمد ابن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف عند أهل بلده بالكماد. قدم رحمه الله على فاس، و تصدر للتدريس بها فأفاد و أجاد، و أخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد. و كان آية من آيات الله في الحفظ و الإتقان و التحرير العجيب و عزة الشأن، إمام نظارا مطلعا، و بنفائس العلوم و دقائقها متضلعا، له الملكة في المنطق و علم الكلام، و الحفظ التام في علم حديث خير الأيام، مرجوعا إليه في الفقه و أدواته، مقصودا في حل مشكلاته، كبير الباع تام الاطلاع، أذغن له الكافة من علماء عصره. و عظم صيته لدى الرؤساء و غيرهم من أعيان دهره. و أخبره عن نفسه أنه يحسن اثني عشر علما.

---

(140) الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2 / 114 ، والزركلي :الأعلام 5 / 36 .

أخذ بجبل زواوة عن أبي عبد الله سيدي محمد المقري، و بالجزائر عن سيدي محمد بن سيدي سعيد قدورة، و عن غيرهما، قال في أثناء بعض إجازاته لبعض تلامذته: و قد أخذت «صحيح البخاري» و روايته عن الشيخين الإمامين أبي عبد الله سيدي محمد المقري، و أبي عبد الله سيدي محمد بن الإمام الشهير الذكر الطيب النشر سيدي سعيد قدورة، و دراية لبعضه عن الثاني، و إجازة عن الشيخ العلامة الشريف المنيف سيدي محمد بن محمد بن عبد المؤمن قاضي الجزائر، عن شيخه شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشبراملسي، عن شيخ المحدثين في زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني، عن الإمام أبي النجاة سالم النهوري بقراءته لجمعية عن العلامة رحلة المحدثين نجم الدين القيطي، عن شيخ الإسلام زكرياء الإنصاري .

ثم ارتحل إلى فاس برسم القراءة على مشايخها، يقال: إنه وقف على الدالية لأبي علي اليوسي فاستحسنها و سأل عن ناظمها فأخبره بأنه حي بالمغرب، فأقبل للأخذ عنه، فلما بلغه وجده مشتغلا بزحام الفقراء المتلقين منه، فتصدر بفاس لإقراء «جمع الجوامع» للسبكي فأبدع في إقرائه، و رأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون فأكثروا الازدحام عليه، و توجهت عيون أهل الدولة إليه، فارتفعت مرتبته و أجريت له المرتفقات العالية و شمله درور إحسان السلطان، فمن دونه، و كان مقبلا على ما يعنيه دؤوبا على المطالعة، لا يرى إلا في درسه أو مطالعة كتبه، قليل الكلام كثير الصمت، ذا همة عليه و مآثر سنية، لا يدع التهجد بالليل حضرا و سفرا

و كان يقرأ في زمان الشتاء و يتفغ في زمن المصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء؛ و اجتمعت الكلمة على أنه أحفظ علماء عصره، بل ظهر من حفظه ما بهر العقول.

و ممن أخذ عنه الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام البناني، الأستاذ العلامة سيدي إدريس بن محمد المنجري الحسني، و كان يقول فيه: إنه لم تر عيناي مثله.

قال في النشر: و له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته و اتساع ملكته، قال: و لملازمته في التدريس لم يتفق له التصنيف و إلا فهو أحق به، و لما دخل تطوان في أول قدومه للمغرب وقع بينه و بين قاضيها الفقيه أبي عبد الله بن قريشي وحشة، فكتب له صاحب الترجمة بأبيات على حفظي منها قوله:

لهف نفسي على كسوف شموس ... للعلوم و ذِلة الغرباء

لهف نفسي على زمان عبوس ... قمطرير ذي قسمة ضيزاء

فأنا للعلى سموت و حزت ... رتبة لا تسام بالجوزاء

و ورثت العلوم قدما يقينا ... عن آباء قساور نجباء

فأنا شمسها و نجم سماها ... حافظ العصر سيد النبلاء

و حدث عنه أصحابه قال: بينما أنا جالس بالمشرفة التي بجامع الرين دخل علي رجل فقال لي: في هذا العام بني ربع دارك، فلم أفهم مراده و ظني بباب المشرفة، مغلق فتعاهدته فوجدته كما تركته، فلم أدر من أين

ولج الرجل علي، ثم أتاني في العام المقبل لي: بني في هذا العام نصف دارك ثم أتاني في العام الثالث فقال لي: بني ثلاثة أرباع دارك، ثم من العام المقبل أتاني فقال لي: بنيت دارك فكان يعلم بقرب أجله، فلم يمض إلا يسير فمرض مرض موته، فأغمي عليه ثم أفاق، فقال لي: جاءني ملك فقال لي: تخلق بخلق النبي صلّى الله عليه و سلّم، فقيل له: ما يعني بذلك ؟ فقال: أن أختار الرفيق الأعلى.

و توفي رحمه الله عند غروب شمس يوم الجمعة الرابع من شهر الحرام فاتح سنة ست عشرة و مئة و ألف (1116). و صلى عليه إماما الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي بايصائه بذلك.

قال في «الصفوة»: و دفن قريبا من ضريح سيدي أبي غالب و بنيت عليه قبة أ هـ. و هي ساقطة في هذه الأزمان ليس لها أثر.

ترجم له جماعة منهم تلميذه أبو العلاء المجري في «فهرسته» و صاحبا «الصفوة» و «النشر».[141]

(141) الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2 / 180-183.

محمد العربي القسنطيني : الشيخ العلامة أبي عبد الله محمد العربي بن عيسى القسنطيني كان من أجلة العلماء و أفاضل البلد ، أخذ عن العباسي، و الطلحي، ولي النظر على الأوقاف و القضاء و التدريس بمسجد سيدي الجليس، توفي رحمه الله سنة 1254.[142]

محمد بن علي الطلحي القسنطيني : العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطلحي، كان فقيها نحويا أصوليا لغويا، أخذ عن الراشدي و أبيه و تولى الإمامة بمسجد سيدي مسلم الحراري، و كان ولوعا بالتقرير على هوامش الكتب، و تقاريره لا تخلو عن فائدة، مات رحمه الله سنة 1232.[143]

---

[142] الحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف .2/ 276.

[143] المرجع نفسه . 2/ 336.

الفصل الثاني

قسنطينة في العصر القديم

وسنتناوله من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول

قسنطينة في عهد النوميديين

في القرن الثالث ق.م ظهرت للوجود مملكة نوميديا بقسميها الشرقي بزعامة الملك جايا، و تسمى ماسيليا نسبة لقبائل الماسيل، و الغربي بزعامة سيفاكس، و تدعى ماسيسيليا نسبة لقبائل المازيس، و قد كانت ممتلكتا نوميديا مجاورتين لمدينة قرطاجة التي تأسست سنة 814 ق.م [144] ،مما جعلهما يتأثران بهذا الجوار ،إذ كان النوميديون يتكلمون اللغة البونية ،بل

---

[144] محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ص 18-22.

جعلها ماسينيسا في عهده لغة الدولة والإدارة ،بل بقيت لغة للنوميديين إلى ما بعد خمسمائة سنة من سقوط قرطاجنة ،بل نجد ملوك نوميديا قد سكوا عملاتهم بالبونية ،ليبقى الأمر على حاله إلى أن جاء عهد يوبا الأول حيث فتح المجال لتأثير عهد جديد ،يمثل تأثير لغة جديدة ،وهي اللغة اللاتينية مكان اللغة البونية في البلاد النوميدية[145] كما تركزت سكناهم بسطح المنصورة، حيث اتخذوا من بطن الأرض مخابئ لحفظ زروعهم – مطامير – و اقواتهم، في أماكن صالحة للتخزين، معتدلة الهواء، فهم بذلك يعدون من أسبق الناس بمعرفة فن الاحتفاظ بالزروع و الأقوات لمدد طويلة[146].

هذا و قد كان القرطاجيون يدفعون الضرائب لجيرانهم من القبائل المحلية منذ تأسيس دولتهم إلى منتصف القرن الخامس ق.م، حيث انقطعوا عن دفع هذه الضريبة، و ذلك لإحساسهم بالقوة، و المنعة التي بلغتها دولتهم، غير أن جايا ملك نوميديا الشرقية أعلن الحرب على قرطاجة سنة 220 ق.م و اقتطع أجزاء من دولتها، مما جعلها تذعن له و تحاول استمالته، إلاّ أنّ هذا السلوك لم يعجب سيفاكس ملك نوميديا الغربية، مما جعله يمّم وجهه شطر الرومان[147]، إذ سرعان ما برز الخلاف بينهما إلى السطح، و ذلك

---

(145) أحمد السليماني وآخرون :المكنون الحضاري الفنيقي القرطاجي في نوميديا القديمة " الكائنة في الجزائر الحالية " من خلال الدلالات واللقى الأثرية والأنصاب الندرية ، 191 ـ 193 .

(146) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 25.

(147) محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ص 18-22.

بسبب انحياز قرطاجة إلى جايا ملك نوميديا الشرقية، و والد ماسينيسا، غير أن قرطاجة أدركت خطأها مع سيفاقس الذي بدأت بوادر ميله للرومان تبرز للوجود، فحاولت إرضاءه من جديد، فزوجته بالأميرة القرطاجية صفونيزبة التي صارت تشارك سيفاقس في الحكم، مما جعل منه يميل لقرطاجة من جديد، محاولا التوسط بين الرومان و قرطاجة لفض جميع الخلافات بينهما كما أرجع لقرطاجة جميع الأراضي التي استولى عليها الملك جايا ،هذا و قد استطاع سيفاقس برزانته و حكمته توحيد مملكة نوميديا متخذا عاصمتين و هما سيقا على نهر التافنة و قرطن على وادي الرمال، و لم يعجب ماسينيسا ما فعله سيفاقس من ردّ ما امتلكه أبوه جايا للقرطاجيين، فعمل على أن يتحالف مع الرومان ضد قرطاجة و سيفاقس، و وقعت بينهما معارك طاحنة كمعركة السهول الكبرى و معركة قرطن سنة 203 ق.م التي تم فيها إلقاء القبض على سيفاقس و تسليمه من قبل ماسينيسا لحلفائه من الرومان الذين كانت لهم أطماع خفية في الوصول إلى إفريقيا، فوجدوا في ماسينيسا سندا و معينا لهم على تحقيق مآربهم، و هكذا بعد أسر سيفاقس دخل ماسينيسا سرتا متخذا منها عاصمة لمملكته النوميدية التي باركها الرومان، مما جعل الحرب بينه و بين قرطاجة دائمة الاشتعال إذ كان هدفه في ذلك استرجاع الأطراف الضائعة من مملكة آبائه و أجداده، و قد توسعت مملكة ماسينيسا على حساب القرطاجيين توسعا كبيرا، مما أثار مخاوف الرومان، لاسيما و أن ماسينيسا قد استطاع توحيد المملكة

النوميدية، و بروزها للوجود جنبا إلى جنب مع المملكة القرطاجية، و بعد وفاة ماسينيسا سنة 148ق.م حل مكانه ابنه مسيبسا الذي بقي مواليا للرومان خوفا من تنفيذ نواياهم التوسعية، حيث دام ملكه ثلاثين عاما لم يشاركه فيه غيره خاصة و أن أخويه غلوسة، و مسطنبعل قد شاركاه في الحكم لمدة قصيرة بعد وفاة والدهم ماسينيسا ثم ماتا، إذ لم يعمّرا بعد والدهما إلاّ سنوات قليلة، و قد انصرف مسيبسا خلال ملكه إلى البناء و التشييد إذ كانت عاصمته سرتا تتصف بالجمال الطبيعي، و الازدهار الفكري، مما جعلها قبلة الأدباء و الفلاسفة لاسيما الإغريق و الإيطاليين منهم على وجه الخصوص و في عهده سُكّت النقود، كما شيّد معبد دُوقا تخليدا لذكرى والده ماسينيسا، و بعد وفاة مسيبسا شب نزاع على وراثة العرش النوميدي بين يوغرطة وولدي عمه مسيبسا ، هيمسال، و أدهربعل، انتهى باعتلاء يوغرطة عرش المملكة النوميدية، مع العلم أنّ هذا الصراع أغرى الرومان بتنفيذ مخططاتهم التوسعية، همهم بقاء مملكة نوميديا ممزقة، إلاّ أنّ دهاء يوغرطة جعله يسعى لتوحيد المملكة النوميدية، إلاّ أنّ قتله لابن عمه هيمسال جعل أخاه أدهربعل يشكو يوغرطة للرومان، مما جعلهم يقسمون المملكة بين يوغرطة و أدهربعل، إلاّ أنّ يوغرطة عزم على توحيد مملكة نوميديا و لذلك حاصر قرطن التي تحصن بها أدهربعل بعد إحساسه بالهزيمة، إلى حين استسلامها ليوغرطة سنة 112ق.م، الذي استباح المدينة، ملقيا القبض على ابن عمه أدهربعل حيث أمر بتعذيبه حتى الموت، و ذلك في

صيف 112ق.م، مما جعل الرومان يدخلون في معارك كر وفر مع يوغرطة و مما جعل يوغرطة يدبر مؤامرة قتل ضد ماسيفا أحد أعضاء العائلة الملكية الماسيلية الذي كانت تحضره روما للمطالبة بالعرش، و بعد هذه الواقعة قال يوغرطة مقولته الشهيرة مستخفا بالرومان «روما مدينة للبيع و مصيرها الهلاك إن وجدت من يشتريها»، و قد رأى الرومان خطر يوغرطة فولوا على الجيش القنصل ماريوس صاحب الخبرة العسكرية الذي أجبر يوغرطة على أن ينتزع منه أجزاء من مملكته و من بينها قرطن التي حاول يوغرطا الاستعانة بصهره بوكوس الأول على استرجاعها، و قد تم له ذلك[148]، غير أن دهاء القائد الروماني ماريوس، و خيانة الملك الموريطاني بوكوس لصهره يوغرطة كانتا سببا في إلقاء القبض على يوغرطة في خريف عام 105ق.م بعد حرب الست سنوات (111-105ق.م)، و قتله ليكون عبرة لمن تسوّل له نفسه الوقوف في وجه التوسع بالمنطقة، كما أنّ سياسة «فرّق تسد» التي انتهجها القائد الروماني ماريوس آتت أكلها إذ قسمت المملكة النوميدية لتبرز في ثوب جديد مجزأة إلى ثلاث أقسام، إذ وهب ثلثها الغربي إلى الملك الموريطاني بوكس نظير خيانته، و ثلثها الشرقي نصب عليه غودا شقيق يوغرطة المالك الوحيد للعرش النوميدي و الذي كان صاحب شخصية ضعيفة مهتزة جعلته لعبة في أيدي الرومان، و أما القسم الأوسط، فقد كان

---

(148) محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، ص 58-120، و قارن بـ: محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م ، ص 21-41.

منطقة حرة تفصل بين مملكتي موريطانيا الموسعة، و نوميديا المصغرة خشية قيام نزاع بين المملكتين، و بهذه التجزئة تشتت وحده المملكة النوميدية و خمدت الثورة النوميدية ، كما أنه بعد هذه الأحداث ساد صمت إلى حين منتصف القرن الأول قبل الميلاد لينفجر الوضع السياسي في روما بين القادة العسكريين لتكون من أبرز نتائجه إلغاء مملكة نوميديا الشرقية و التي تعد قرطن إحدى مكوناتها الرئيسة، و إعلانها ولاية رومانية جديد من قبل القائد يوليوس قيصر عام 46ق.م[149].

[149] محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ص 37-41.

المبحث الثاني

قسنطينة في عهد الرومان

إن الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية المتردية التي بلغتها الحياة في روما أيام حركة الإصلاح الكراكية ، وكذا الحقوق اللاتينية للإيطاليين، و فقر الريف الإيطالي من الفلاحين الصغار، إذ جل الأراضي استولى عليها كبار الملاك و صار يفلحها العبيد الذين حصلوا عليهم من خلال الحروب، مما جعل هؤلاء الفلاحين ينزحون إلى المدن، إضافة إلى كثرة العاطلين عن العمل في مدينة، مما حدا بالنواب إلى البحث عن حلّ لهذه المعضلات، و الذي أفضى إلى البحث عن مناطق جديدة لحل هذه المشاكل العويصة[150].

مما جعل الصراع محتدما على أشده بين مملكة قرطاجنة الفينيقية و مملكة روما الرومانية، و سبب ذلك يرجع لتنافس كلا الفريقين على سيادة

---

[150] محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/40م)، 121.

البحر الأبيض المتوسط، و اتساع النفوذ الاقتصادي، و قد شارك ملوك قرطن في هذا الصراع بالتحالف مع القرطاجنيين تارة، و مع الرومان في أطوار عديدة، و بقي الصراع على أشده ،حيث انتهى بسقوط قرطاجنة و تخريبها تخريبا تاما، ليعيد الرومان بناءها بعد ربع قرن من الزمن، و لكون حكام قرطن كانوا يصارعون من أجل البقاء، فإن أغلبهم تحالفوا مع الرومان، يضاف لذلك ضعف الكثير منهم بعد يوغرطة الذي ناصب الرومان العداء، و خيانة بعضهم كما فعل بوكوس مع صهره يوغرطة الذي سلّمه لقمة صائغة للرومان، فإنّ الرومان في ظل هذه التجاذبات قد قسموا إفريقيا إلى قسمين كبيرين قسم أسموه Africa ويشمل الناحية الشمالية من تونس و حكموه بأنفسهم، و قسم ثان يشمل قسنطينة و الجنوب التونسي وقد وزعوه على البربر في شكل مستعمرات رومانية[151] ،وهكذا تحولت قسنطينة إلى مستعمرة رومانية منذ انتصار يوليوس قيصر، إذ تولى أمر قسنطينة و ما حولها مندوب قيصر المغامر سيتيوس، حيث كانت قسنطينة يومها مركزا إداريا هاما في مقاطعة إفريقيا كما بنى حولها العديد من القلاع الرومانية في شمال إفريقيا[152].

---

(151) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 10–13.

(152) عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصر اليوناني و الروماني «القسم الإفريقي» 298–299.

كما أن قيصرا بعد انتصاره في الحرب الإفريقية، وإلغائه مملكة نوميديا و إعلانها ولاية رومانية أطلق عليها اسم africa nova تمييزا لها عن إفريقيا القديمة، التي ظلت تحمل اسم إفريقيا القديمة و قد كان ذلك سنة 46 ق.م، أثناء الاحتفال بالعيد المئوي لهزيمة قرطاجنة سنة 146 ق.م كما منح الجزء الشمالي الغربي من مملكة نوميديا إلى مرتزقة سيتيوس الذي أقام كنفدرالية عاصمتها قرطن الذي تحول إلى سيرتا، و تضم كلا من القل و سكيكدة، و ميلة، ليشرع بعدها سيتيوس بإقامة المستعمرات الفلاحية بمنطقة سيرتا، و بعد مقتل قيصر سنة 44 ق.م، استغل أحد الأمراء النوميديين الذي يدعى أرابيون و هو أحد أبناء ماسينيسا الثاني فرصة تنازع حاكمي إفريقيا الجديدة و القديمة، فانضم أرابيون إلى صف سيكتيوس حاكم إفريقيا الجديدة، و خاض إلى جنبه معارك طاحنة ضد كورنيفيسيوس حاكم إفريقيا القديمة و الموالي لمجلس الشيوخ الروماني الذي أقال حاكم إفريقيا الجديدة من منصبه، و قد أبلى أرابيون بلاء حسنا إذ قتل سيتيوس زعيم المرتزقة، كما أزاح جيش بوكوس عن الجزء الغربي من مملكة نوميديا القديمة، غير أن هذه الانتصارات قد جنت على أرابيون إذ أثارت تخوفات حليفه سيكتيوس من أن يعيد أمجاد ملك النوميديين، فأوعز باغتياله مدّعيا الاشتباه في أمره، و أنه يتعامل سرا مع عدوه فاغون حاكم إفريقيا الجديدة ،والمنصب من قبل مجلس الشيوخ الروماني، كما واصل هجوماته ضد الثوار النوميديين الذين كان يقودهم أرابيون، و الذين استماتوا في مقاومته لتتم له

في النهاية السيطرة على الولايتين، و إعادة المرتزقة إلى سيرتا، و أدخلهم تحت حماية الولاية، كما أرجع القسم الغربي من نوميديا إلى مملكة موريطانيا و تطوى بذلك صفحة ناصعة من صفحات المقاومة النوميدية للغزاة الرومان[153].

هكذا وبعد بسط الرومان يدهم، و القضاء على بؤر المقاومة الوطنية انتهجوا سياسة أداروا بها المنطقة تمثلت في:

1) لامركزية الإدارة، و هذا حتى يتمكنوا من سهولة جمع الضرائب و تحصيل المنتوجات الزراعية و تصديرها إلى روما، و كذا إخضاع العناصر النوميدية، بالإضافة إلى ضيق مساحة الولاية الذي يعدّ عاملا رئيسا في يسر الاطلاع عن كثب عمّا يجري فيها.

2) تقسيم المناطق الخاضعة للنفوذ الروماني إلى مناطق مدنية، و أخرى عسكرية، و كان نصيب سيرتا الحكم العسكري، و ذلك لكونها ما تزال ميدانا لنشاط الحركات النوميدية المناهضة للاستعمار الروماني، إذ يحكمها ضابط عسكري سام يعينها الإمبراطور الروماني مباشرة، حيث يمارسون وظائفهم بوحي من الإمبراطور إذ لا مدخل لمجلس الشيوخ في تسيير مناطقهم العسكرية، خلافا للمناطق الآمنة التي تسير بأحكام إدارية مدنية.

---

(153) محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/40م)، 64-70.

3) اتباع سياسة الإغراء قصد إسكات كثير من الألسن الصارخة، حيث فتح الرومان باب الارتقاء الاجتماعي أمام الأعيان، و الوجهاء المغاربة، كي ينتقلوا من درجة الأجنبي إلى درجة المتمتع بالعضوية اللاتينية أو الرومانية مقابل ولائهم و خدمتهم للمصالح الرومانية، حتى يكونوا قدوة لبني قومهم في هذا المجال[154].

و من اللافت للانتباه أنه في سنة 311 ميلادية وقعت في سيرتا ثورة داخلية عنيفة، في عهد الملك الروماني دومينتيوس أدّت إلى تدميرها إلى أن جدّدها الملك قسطنطين سنة 313م ليشتق اسمها من اسمه و تسمى قسطنطينة بدل سيرتا ، و ظل هذا الاسم إلى يومنا هذا مع قليل من التحريف، و في عهده قد استعادت سيرتا الأولى فازدهر عمرانها، و زال عن أهلها ما كانوا يعانونه من ظلم و فتك، و قتل بسبب اعتناق بعضهم للديانة المسيحية، إذ بمجرد اعتناق قسطنطين للديانة المسيحية سنة 330 ميلادية، وضع بذلك حَدًّا لهذا الاضطهاد، إذ قام بحماية أتباعها، و توفير الجو المناسب لممارسة شعائرها، حتى سمي بقسطنطين المؤمن لاعتناقه للديانة المسيحية[155].

---

(154) محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/40م)، 76-77 و 91.

(155) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 10-15.

هذا و الجدير بالذكر أن قسنطينة في عهد الرومان، كانت بأقاليمها مخزن روما الأول في إنتاج القمح، إذ أصبح القمح بروما قضية محورية تهم الجميع، إذ كل خلل أو تراخ في إنتاجه يهدّد شعب روما بالمجاعة، كما اتجهت روما إلى استغلال أراضي مستعمراتها و من بينها قسنطينة في الزراعة الشجرية، لاسيما غراسة أشجار الزيتون، التي كان زيتها يستغل في صناعة الصابون، و أدوات التنظيف من جهة، و لسهولة، و عدم ارتفاع تكلفة غراستها من جهة ثانية، و قد وجدت آثار لمعاصر زيتون بالمجال القسنطيني على ارتفاع يتجاوز الألف متر بقليل، مما يدلّ على أن شجرة الزيتون قد بلغ بها المزارعون آنذاك هذا المستوى من الارتفاع الذي ينصح علماء النباتات الفلاحية حاليا بعدم الوصول إليه، أي عدم تجاوز 800م[156].

كما كانت سيرتا تحتل مكانة سامقة في عهد الرومان، و لأدلّ على ذلك من كونها تتبعها، و تخضع لها عدة حواضر، و هي لمبيس (تازولت) و هيبون (عنابة)، و تيفيسة (تبسة) [157]

---

[156] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، 90-95.

[157] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 16.

المبحث الثالث

قسنطينة في عهد الوندال

بعد إخضاع الجيوش الوندالية الجرمانية لبعض أقطار أوروبا، و بسط نفوذها عليها في أوائل القرن الخامس الميلادي، أي عام 429 م ، قرر ملكهم جنسريق غزو إفريقيا[158]،وقدساعده على تحقيق ذلك عدة أسباب منها ،الخلاف الحاد بين الوالي العام الكونت بونيفاس وحكومته الرومانية بعد عزله من منصبه من قبل الامبراطورة ،مما اضطره إلى الاستنجاد بالوندال نكاية في حكومته ،يضاف لذلك اطمئنان البربر للوندال ، قصد القضاء على الرومان الذين عاثوا في الأرض فسادا ،هذا مع عبقرية الملك الوندالي

(158) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 16-17.

سنجريق وحسن سيرته ،إذ استخدم سياسة اللين مع البربر ،مقنعا إياهم أن هدفه هو دحر العدو المشترك المتمثل في الرومان ،فمد له أهل شمال افريقيا اليدان ، [159]فزحف بقواته عليها منطلقا من إسبانيا ماحيا بذلك الوجود الروماني بها [160]، بل في سنة 455 ميلادية استولى على روما نفسها بعد استيلائه من قبل على قرطاجنة، و قد ساعده في ذلك سياسته الرشيدة التي انتهجها مع سكانها من البربر، إذ سلك معهم طريق اللطف، و المجاملة و اللين في المعاملة، خلافا لمسلك الرومان معهم القائم على العنف و الشدة و الإهانة لهم، مما ولّد في نفوسهم أحقادا و ضغينة عليهم، إذ كانوا ينتظرون الفرصة المواتية للانتقام من الرومان و الانقضاض عليهم، إذ بمجرد ظهور الملك الوندالي جنسريق وضع السكان المحليون أيديهم في يده ضد الرومان، و فتحوا له قلوبهم، و قلعتهم الحصينة سرتا ليدخلها دخول الفاتحين دون

---

(159) سليمان الصيد : تاريخ الجزائر القديم ، 115 ـ 116 .

(160) بمجرد استيلاء جنسريق على شمال افريقيا صار الحكم فيها ملكيا وراثيا،متخذا من قرطاجنة عاصمة له ، مقسما إياها إلى ست ولايات هي :1 ـ تراب قرطاجنة الأصلي ، 2 ـ زوكيتانيا شمال البلاد التونسية ، 3 ـ البيزاسين وسط البلاد التونسية ، 4 ـ نوميديا غرب البلاد التونسية وعمالة قسنطينة ، 5 ـ لابريتانيا شرقي مدينة تبسة ، بقية بلاد المغرب الأوسط والأقصى ، حيث بقي ملك الوندال 94 سنة توارثه ستة ملوك من آل سنجريق ، وهم : جنسريق من سنة : 439 إلى 477 م ، ابنه : هنريق من 477 إلى 484 م ،تونثاموند : تولى مكان عمه من 484 إلى 496 م ،ثراسيموند : تولى مكان أخيه من سنة :496 إلى 523 م ،هيلدريق : وهوحفيد جنسريق ،أي ابن هنريق من 523 إلى 531 م جاليمار من 431 إلى 434 م ، حيث سقط الحكم الوندالي في عهده في أيدي البيزنطيين . سليمان الصيد : تاريخ الجزائر القديم ، 119 ـ 120 .

حاجة لاستخدام القوة، ليمكث الوندال بقسنطينة حوالي قرن من الزمان لحين استرجاعها من قبل الرومان البيزنطيين سنة 534 ميلادية، غير أنه لم يهدأ للرومان بال، و لم تغمض لهم عين و ذلك بسبب المناوشات التي قام بها البربر ضدهم، بسبب ما يكنونه للرومان من حقد و غل دفينين، و بقي الأمر على حاله كرّ و فرّ و مناوشات بين البربر و الرومان لحين وصول الفتح الإسلامي سنة 645 ميلادية[161].

[161] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة، 16-17.

المبحث الرابع

قسنطينة في عهد البيزنطيين

بعد مرور ما يقارب القرن من الحكم الوندالي لإفريقية دب الخلاف والتطاحن بين أفراد أسرته المالكة .وخلد بعض ملوكه للدعة ، لا سيما آخرهم بإفريقية الملك : جاليمر الذي كان منغمسا في الملاهي ، والأعداء قاب قوسين أو أدنى من أبواب مملكته .يضاف لهذا كله ضعف الروح العسكرية عند جنود الوندال ،مما حدا بالبيزنطيين إلى غزوهم ،وسومهم أشد صنوف التنكيل والهوان ،لدرجة أن القيصر البيزنطي قال: " كفى الوندال نعمة أن أبقيناهم بقيد الحياة " ،ونظرا لهذا الضعف والهزال ،فقد استطاع قائد الجيش البيزنطي : "بلزاريوس " أن يهزم الملك الوندالي : " جاليمار "

ويأخذه أسيرا إلى القسطنطينية التي بقي بها لحين وفاته ،وبعد هزيمة الوندال دخل بلزاريوس إلى إفريقية بجيشه سنة 533 هـ في عهد الأمبراطور : " بوستينيانوس "،ولم يستتب له الأمر إلا سنة : 534 هـ[162] .

حيث قسمت المقاطعة الإفريقية إلى سبع ولايات ، يمكن تصنيفها إلى مستويين مختلفين ،تميز الأول منها بوجود ثلاث ولايات تحت إدارة قنصلة وهي كل من : البروقنصلية ،ولاية المزاق ،والولاية الطرابلسية ،بينما كانت ولايات نوميديا ،وموريطانيا بقسميها السطايفية ،والقيصرية ،وسردينيا كما قسمت المقاطعة الإفريقية إلى خمسة أقاليم حدودية عسكرية ، وهي

الأقليم	مقر إقامة القائد العسكري
الطرابلسية	لبدة
المزاق	قفصة المدينة القديمة
نوميديا	قسنطينة
موريطانيا	قصرية شرشال
سردينيا	بالقرب من الجبال

[162] سليمان الصيد : تاريخ الجزائر القديم ،125 ، 127 .

كما عين على رأس هذه الأقاليم العسكرية الخمسة ديقانا ،حيث كان الدوق يمارس نفس وضيفة القائد العام للجيش في حدود إقليمه [163].

من خلال ما سبق يتضح أن قسنطينة كانت إحدى أقاليم المقاطعة الإفريقية في العهد البيزنطي ، وقد رزحت تحت نير احتلاله قرابة القرن من الزمان، وسط مقاومة البربر التي حالت دون استلاء البيزنطيين على كامل التراب الجزائري ،لأن أحرار البربر ثاروا في وجوههم، وكونوا إمارات،لم يستطع البيزنطيون القضاء عليها نهائيا [164]

وبعد كر و فر من قبل البربر سكان شمال افريقية ضد البيزنطينيين ومن بينهم سكان قسنطينة بدأ يستشري الهزال في أعضاء المملكة البيزنطية حيث دب الفساد لولاتها وساءت أحوالها الاجتماعية و السياسية ، مع ضعف سلطانها بالمشرق بسبب الخلافات الدينية ، و الحروب الطاحنة بينها وبين أمة الفرس، وكذا ظهور الدين الإسلامي الذي قضى على فوضويتها و فسادها،حيث أشرقت شمس الإسلام المتلألئة على هذه الربوع الجزائرية.

---

[163] يوسف عيبش :الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب ـ دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ،50، 70 ـ 71.

[164] سليمان الصيد تاريخ الجزائر القديم 128-129 .

ومن بينها قسنطينة فاحتضن أهلها هذا الدين الحنيف لتبدأ مرحلة جديدة ملؤها الإسلام دين الله للبشرية جمعاء .[165]

[165] المرجع نفسه 133.

الفصل الثالث

قسنطينة في العصر الإسلامي

وسنتناوله من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول

قسنطينة في عهد الفتح الإسلامي

لقد تأخر فتح حواضر البلاد المغربية ،والتي من بينها قسنطينة وذلك لأسباب عديدة يمكن إيجازها فيما يأتي :

1- انشغال الدولة الإسلامية بإخماد الفتن الداخلية لاسيمابعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -.

2- بعد المغرب واتساعه و تعدد ممالكه و استقلال نواحيه.

3- مقاومة البربر للقوى الخارجية الوافدة عليهم .

4- جهل العرب بجغرافية المغرب الصعبة الدروب و الوعرة المسالك[166].

كل هذه التحديات كانت سببا في تأخر وصول بشائر الطلائع الإسلامية لبلاد الجزائر و حواضرها كقسنطينة.

بعد بيان أسباب تأخردخول الإسلام إلى حواضر المغرب الأوسط نقول:

لم تسعفنا المصادر و المراجع المتاحة في التعرّف على كيفية فتح المسلمين لقسنطينة، و لا تاريخ ذلك، و لا في عهد مَنْ مِن الفاتحين ،اللهم إلا ما أورده الشيخ عبد الرحمن الجيلالي من قوله: «و اتصل أبو المهاجر بإفريقية، فأسس بها مركزا هو غير قيروان عقبة، و لكنه بجانبه على مسافة ميلين: «تيكروان»، و سار في خطته غربا إلى المغرب الأوسط، أو بلاد الجزائر، حيث يخيّم ملك البربر «كسيلة» بجبال أوراس، فاتخذ مسلكه إلى هنالك بوابة بسكرة المنخفضة، التي تشمل فجوة في الأطلس، فتمكّن من الانتصار على أعمال قسنطينة سنة 59هـ/678م، و جعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة، فابتنى بها دار الإمارة، و جعلها ملاصقة للجامع»[167].

من خلال هذا النص يتضح أن قسنطينة فتحت سنة 59هـ أي في عهد إمارة أبي المهاجر دينار الذي تولى على إفريقية خلفا لعقبة بن نافع سنة 55هـ.

---

[166] عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. 26.

[167] تاريخ الجزائر العام. 180/1.

و الذي يرجّع فتحها من قبل أبي المهاجر دينار اعتبارات وجيهة أهمها:[168]

1- أنّ عقبة بن نافع – رضي الله عنه – في عهدتي فتوحاته الأولى و الثانية سلك الطريق الجنوبي من القيروان إلى الأطلس، و هو دون شك بعيد عن قسنطينة.

2- قرب مدينة ميلة التي اتخذ منها أبو المهاجر دينار دارا للإمارة من مدينة قسنطينة، و لا شك أن لهذا القرب مجالا في التأثير و التأثر.

3- إن الطريق الذي سلكه أيضا الفاتحان العظيمان حسان بن النعمان و موسى بن نصير تأرجح بين الجنوب، و الوسط، و الساحل، مما يجعل مسيرة فتوحاتهما بعيدة عن قسنطينة.

و عليه نرجّح فتحها من قبل أبي المهاجر دينار للأسباب سالفة الذكر.

---

[168] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر – تاريخ مدينة قسنطينة. 28.

المبحث الثاني

قسنطينة في عهد الأغالبة

لقد أولت الدولة العباسية عناية خاصة بمنطقة إفريقيا فولت عليها رجلا خرّيتا، قوي الشكيمة، خبيرا بشؤون السياسة و الحرب معا، ألا و هو هرثمة بن أعين، الذي مكث بها سنتين أي من 180هـ إلى 181هـ، ثم طلب الاستعفاء بعدما أرسى دعائم الأمن و الاستقرار بها، فأعفاه هارون الرشيد و ألحق بمستشاري بلاطه، ثم قلده قيادة حرسه أثناء وجود هرثمة بإفريقيا ربطته علاقات حميمية بإبراهيم بن الأغلب، فولاه منطقة الزاب سنة 180هـ[169] بعد استعفاء هرثمة بن أعين، و التحاقه بالبلاط الملكي ببغداد، ولّى الخليفة العباسي هارون الرشيد على إفريقية محمد بن مقاتل العكي، الذي لم ينتهج طريقة سلفه، إذ ساد الهرج و المرج في عهد، و ذلك بسبب إنقاصه من رواتب جنده الذين ثاروا عليه منضمين إلى ثورة تمام بن

---

[169] ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار المغرب 110/1، و ابن الأثير: الكامل في التاريخ 154/6 1385هـ/1965م و ابن خلدون: العبر من ديوان المبتدأ و الخبر 419/4 .

تميم التميمي ضده، و لضربه فقيه إفريقيا البهلول بن راشد بالسياط حتى الموت، حين عندما خدره من مغبّة صنيعه المتمثل في ملاطفة البيزنطيين بإرسال هدايا حربية لهم كالنحاس و السلاح و الجلود التي لا محالة سيستعملونها في يوم مَا ضِدّ المسلمين، مما أسخط عليه الرعية، يضاف لذلك أطماع تمام بن تميم الذي قاد ثورة ضده، إلاّ أن الغلبة فيها كانت لمحمد بن مقاتل العكي، إذ يعود الفضل في ذلك إلى والي الزاب إبراهيم بن الأغلب، الذي كان سندا قويا لمحمد بن مقاتل العكي في إخماد ثورة تمام بن تميم[170].

و نظرا لضعف محمد بن مقاتل العكي، و سياسته غير الحكيمة و بعد بلاد إفريقيا عن مركز دار الخلافة، فإن الخليفة العباسي أراد أن يعطيها استقلالا ذاتيا، مع الحفاظ على ولائها للعباسيين، كما تكون حجر عثرة في وجه توسّع الأدارسة المتمركزين بالمغرب الأقصى، فرأى أنه لا يوجد للقيام بهذه المهمة أفضل من إبراهيم بن الأغلب الذي نصحه مستشاره هرثمة بن أعين بتوليته، فكان بذلك إبراهيم هو حجر الأساس لقيام حكم الأغالبة، و قد رشّحته لهذا المنصب عدة مزايا و صفات حميدة هذه أهمها:

- أولا - تجربته في ممارسة الحكم إذ كان واليا على منطقة الزاب[171].

---

[170] ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، 19، 30-31.

[171] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 154/6.

– ثانيا – مساهمته الفعّالة في القضاء على ثورة تمام بن تميم ضد والي الخلافة العباسية محمد بن مقاتل العكي[172].

– ثالثا – تنازل إبراهيم بن الأغلب عن ضرائب مصر التي كانت تجبى إليه و المقدرة بمائة ألف دينار، و توجيهها لبغداد، مع إلتزامه بتقديم مبلغ سنوي للخلافة المركزية يقدر بأربعين ألف دينار، مما حدا بالخليفة هارون الرشيد إلى موافقته على تقلد مقاليد إفريقية آخذا بنصيحة مستشاره هرثمة بن أعين[173].

– رابعا – الشخصية القيادية المؤهلة التي كان يتحلى بها إبراهيم بن الأغلب، صاحب علم غزير، و رأي و حزم و بأس في الحروب و المكائد[174].

بهذه المواصفات القيادية تأسست دولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب الذي ساد في عهده الأمن و الأمان و الاستقرار. غير أن اللافت للانتباه و نحن نتكلم عن مدينة قسنطينة في عهد الأغالبة أنها لم تحظ بدور رئيسي، و إنما كان دورها ثانويا، و ذلك لانشغال الأغالبة بغيرها، و هذا ما يوضحه الباحث الكبير في التاريخ الوسيط الأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلالي حيث يقول: ((عندما أسس الأغالبة دولتهم بإفريقيا سنة 184هـ/800م، ظلت قسنطينة تدين لهم بالولاء و التبعية كغيرها من مدن

---

[172] ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة. 31.

[173] ابن خلدون: العبر 196/4. و ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة. 32.

[174] ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة. 34.

الشرق الجزائري، التي كانت تدور في فلك الأغالبة الموالين لبني العباس ببغداد، و يبدو أن مدينة قسنطينة قد بقيت حتى هذه الفترة تلعب دورا ثانويا على مسرح الأحداث بالمنطقة لأن الأغالبة اهتموا بالقيروان و تونس و أنشأوا مدنا أخرى كالباسية، و رقادة، و اعتنوا بطبنة عاصمة الزاب (قرب بريكة حاليا)، حيث كان العامل على هذا الإقليم هو المؤسس الأول لدولة الأغالبة الأمير إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-811م) و كذلك والده الأغلب بن سالم (148-150هـ/765-767م)، من قبله، كما اعتنوا أيضا بمدينة ميلة عاصمة كتامة))[175].

و ما ذهب إليه الأستاذ عبد العزيز فيلالي من كون الأغالبة لم يولوا قسنطينة عنايتهم، مما جعل دورها ثانويا في عهدهم يؤيده ما قام به الأغالبة من اهتمام بغيرها إذ قاموا بتجديد كل من جامعي عقبة بن نافع بالقيروان و الزيتونة بتونس، حتى قال زيادة الله احد أمراء الأغالبة: ((ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة، و في صحيفتي أربع حسنات: بنياني المسجد الجامع بالقيروان، و بنياني قنطرة أم الربيع، و بنياني حصن مدينة سوسة و توليتي أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية))[176]، و كذا إنشاء دار تونس لبناء السفن، و دار سوسة لصناعة الأسلحة، و بناء مدينة القصر القديم التي بناها إبراهيم بن الأغلب، و التي تبعد بثلاثة كيلومترات جنوب مدينة

---

(175) مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية). 34.

(176) ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، 36-37.

القيروان لتكون معسكرا لجنده و مقرًّا لأسرته، و قد كانت تتكون من قصور و حدائق و معسكرات، و أماكن للعبادة، كما سميت بالقصر القديم تمييزا لها عن مدينة رقادة المعروفة بالقصر الجديد، و التي بناها إبراهيم بن أحمد سنة 264هـ، كما قاموا ببناء عدد لا بأس به من السدود بكل من القيروان و تونس، و سوسة، كما ازدهرت الزراعة، و حركة الرعي، مما جعل دولتهم في قمة الرقي و التطور الاقتصادي، لاسيما و أنهم أحكموا قبضتهم على زمام البحرية، محتكرين بذلك الوساطات التجارية بالنسبة للتجارة العالمية بين الشرق و الغرب[177].

مما سبق يتضح أن اهتمام الأغالبة عمرانيا، و اقتصاديا و ثقافيا لم يكن لقسنطينة منه حظ كبيرٌ، و رغم ذلك فقد استفادت قسنطينة من هذا الاستقرار، مواكبة بذلك النهضة الاقتصادية، و الثقافية، و العمرانية في عهد الأغالبة[178].

يقول محمد طمار: ((ولما استتبت أمور الدولة الجديدة (الأغلبية) أنشأت معامل حربية لصنع الأسلحة و الأساطيل ببونة (عنابة) و القالة و تكونت معامل لصناعة الزجاج، و نسائج الصوف و الحياكة، و كان يستخرج من مرسى الخرز (القالة) الصدف و المرجان، فنشطت التجارة برًّا

---

(177) المرجع نفسه. 35-41.

(178) عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية). 34.

و بحرًا، وقد استفادت قسنطينة منها، و ساهمت فيها بقوافلها و صادراتها التي عرفتها الأسواق المحلية و الدولية حينذاك فيما وراء البحر))[179].

(179) الروابط الثقافية 109. نقلا عن عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية). 34.

المبحث الثالث

قسنطينة في عهد الفاطميين

وسنتناول ذلك من خلال النقاط الآتية :

أولا ـ واضع حجر الأساس لدولة الفاطميين :إن واضع حجر الأساس لدولة الفاطميين هوأبو عبد الله الداعي : (... - 298هـ = ... - 911م) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبد الله، المعروف بالشيعي، و يلقب بالمعلّم: ممهد الدولة الفاطمية، و ناشر دعوتهم في المغرب. كان من الدهاة الشجعان، من أعيان الباطنية و أعلامهم؛ من أهل صنعاء. اتصل في صباه بالإمام محمد الحبيب (أبي المهدي الفاطمي) و أرسله محمد إلى «أبي حوشب» فلزم مجالسته و أفاد من علمه. ثم بعثه مع حُجاج اليمن إلى مكة، و أرسل معه «عبد الله بن أبي ملا» فلقي في الموسم رجالا من «كتامة» مثل الحريث الجميلي و موسى ابن مكاد، فأخذوا عنه «المذهب» و رحل معهم إلى المغرب. و دعا كتامة (سنة 286هـ) إلى بيعة

«المهديّ» و لم يسمّه، و بشرهم بأنهم سيكونون أنصاره الأخيار و أن اسمهم مشتق من «الكتمان» فتبعه بعضهم. فرحل مع الحسن بن هارون إلى جبل «ايكجان» و نزل بمدينة «تازروت» فقاتل من لم يتبعه بمن تبعه، فأطاعوه جميعًا. و بلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عامل إفريقية بالقيروان فأرسل هذا إلى عامل «ميلة» يسأله عن أمره، فحقره و ذكر أنه رجل يلبس الخشن و يأمر بالعبادة و الخير. فأعرض عنه. و عظم شأن أبي عبد الله فزحف في قبائل كتامة إلى بلد «ميلة» فملكها على الأمان بعد حصار. فبعث ابن الأغلب ابنه «الأحول» في عشرين ألف مقاتل، فهزم كتامة و أحرق تازروت و ميلة. و امتنع أبو عبد الله بجبل ايكجان، فبنى به مدينة سماها «دار الهجرة» و أقبل عليه الناس، و امتلك القيروان و أجلى عنها ملكها (زيادة الله الأغلبي) ثم علم بموت الإمام محمد الحبيب، و أنه أوصى لابنه «عبد الله» فأرسل إليه رجالا من كتامة يخبرونه بما بلغت إليه الدعوة فجاءه عبد الله. و حدثت حروب أجملها ابن خلدون – في تاريخه – قام فيها صاحب الترجمة بالعظائم. و انتهت بمبايعة عبيد الله «المهديّ» و القضاء على دولة «الأغالبة» بالقيروان، سنة 296هـ. و استقل المهدي وطأة الشيعي و تحكمه و انقياد كتامة إليه، فأمر اثنين من رجاله بقتله و قتل أخ له يعرف بأبي العباس، فوقفا لهما عند باب القصر، و حمل أحدهما على الشيعيّ فقال له: لا تفعل ! فقال: الذي أمرتنا بطاعته أمر

بقتلك ! و أجهز عليه. و كان ذلك في مدينة رقادة (من أعمال القيروان)[180].

ثانيا ـ مؤسس الدولة الفاطمية : المَهْدي الفاطِمي (259–322هـ = 873–934م): عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدَّق بن محمد المكتوم، الفاطمي العلوي، من ولد جعفر الصادق: مؤسس دولة العلويين في المغرب، و جدّ العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، و أحد الدهاة. كان يسكن سلمية (بسورية) و كان أبوه قد أرسل الدعاة، و أعظمهم أبو عبد الله الحسين ابن أحمد الملقب بالعَلَم و الشهير بالشيعي، فمهَّد له بيعة المغرب، و فتح بلدانًا، و ناصرته قبائل كتامة، و وعدها بقرب ظهور «المهدي» إمام الزمان. و وصلت إلى المهدي رسل أبي عبد الله تدعوه، فبلغ خبره المكتفي بالله العباسي، فطلبه، ففر من سلمية إلى العراق. ثم لحق بمصر فالإسكندرية، و منها إلى المغرب. و كان ظهوره بسجلماسة في أواخر 296 و استفحل أمره حتى بويع في القيروان بيعة عامة سنة 297هـ. و استوطن «رقادة» عاصمة أواخر ملوك الأغالبة. و بعث الولاة إلى طرابلس و صقلية و برقة. و استولى على تاهرت. و حاول امتلاك مصر فقصدها مرتين و لم يظفر، و قيل: دخل الإسكندرية. و عاد إلى المغرب

---

(180) الزركلي : الأعلام 2 / 230، وابن خلكان : وفيات الأعيان 1 : 162، و ابن الأثير 8 : 10 – 17 وابن كثير : في البداية و النهاية 11 :180 ، وعادلة علي الحمد : قيام الدولة الفاطمية في بلاد إفريقية والمغرب 85 ـ 90 .

اختط مدينة «المهدية» سنة 303هـ، و اتخذها قاعدة لملكه. و مات بها بعد أن حكم أربعًا و عشرين سنة[181].

ثالثا ــ قسنطينة في عهد الفاطميين : إن حركة الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب يرجعها كثير من المؤرخين إلى عصر سادس الأئمة العلويين جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي كان له اهتمام خاص بنشر علوم آل البيت و آدابهم و فضائلهم بين جمهور المسلمين خاصة في تلك البيئات البعيدة التي ما زالت على فطرتها تحتفظ بالإسلام و بأصوله في صورة غير معقدة. و إليه يعزى إرسال داعيتين إلى بلاد المغرب هما : عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني ، و أبو سفيان الحسن بن القاسم ،وقد أوصاهما بالتوغل في بلاد المغرب حتى مضارب البربر وراء ولاية أفريقية و بالانفصال عن بعضهما، أي يتجه كل منهما إلى ناحية خاصة، كل ذلك مبالغة في الحذر و التستر، و ضمانا لتعميم الدعوة. و قد بسط جعفر الصادق أمام الداعيتين رأيه في طبيعة البلاد و في مدى استعداد سكانها لتقبل الأفكار الجديدة بقوله المشهور: «اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها و كرباها

و ذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها.» (182)

---

(181) الزركلي : الأعلام 4 : 197 ،وابن الأثير : الكامل 8 : 90.

وبقيت الأمور على حالها إلى حين قدوم أبي عبد الله الشيعي الداعي مع وفد حجاج كتامة حيث إن الداعي استمر يلتقط الأخبار في طريقه، عند رفاقه من كتامة، بخصوص بلادهم. فسألهم أبو عبد الله الداعي هذا السؤال: «أفبالقرب منكم أمصار ؟ قالوا: نعم، و ذكروا ميلة، و سطيف و بِلْزِمة، قالوا: هي في حدودنا»، و كان المثلث المعروف على ذلك النحو قد حدده دون منازع محور الزلزال الذي سينهار بسببه البناء الأغلبي.[183]

وهكذا بقي الداعي يتقصى الأخبار ، ويخطط لساعة الحسم ،حيث بقي إلى غاية سنة 289هـ يرسي دعائم دعوته في كتامة التي تعد قسنطينة إحدى حواضرها، فلم يدخل في أي صراع مسلح، بل كان ينتظر الوقت المناسب لولوج ذلك إلى أن سنحت الفرصة، حين تنازل إبراهيم الثاني الأغلبي عن العرش لفائدة ابنه عبد الله الثاني ليتفرغ إبراهيم للغزو في البحر، و لما كان إبراهيم يتوغل في قلورية بعد استيلائه على طبرمين زحف أبو عبد الله الداعي على ميلة فاحتلها، مما حدا بعبد الله الثاني الأغلبي إلى إرسال جيش على رأسه أحسن القواد و هو ابنه محمد المعروف بأبي حوال إلاّ أن قساوة الشتاء

---

(182) موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري " 11 م " 216.

(183) موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري " 11 م " 216، وعادلة علي الحمد : قيام الدولة الفاطمية في بلاد إفريقية والمغرب 95 ـ 97.

حالت دون هزيمة أبي عبد الله الداعي مما جرأه على غزو سطيف و فتحها بعد معارك طاحنة مع جيوش أبي حوال، الذي قتله أخوه زيادة الله الثالث بعدما قام بانقلاب على والده عبد الله الثاني راح ضحيته هذا الأخير و بعد اعتلاء زيادة الله الثالث العرش أرسل بجيش عرمر بقيادة ابن حبشي فقصد مدينة قسنطينة التي أقام بها ستة أشهر مجنبا الهجوم على أبي عبد الله الداعي في فصل الشتاء، مما أعطى فرصة للداعي لتجميع جيوشه انطلاقا من إيكجان، و بعد مرور فصل الشتاء و تدعم الجيش الأغلبي بجنود حامية طبنة بقيادة شبيب بن أبي شداد، و لما رأى ابن حبشي إحجام الداعي عن مناوشتهم خرج له بمن معه إلا أنّ الهزيمة كانت حليفته، ثم توالت انتصارات الداعي ففتح طبنة، و بلزمة، و باغاية، و الزاب، و هكذا قامت الدولة الفاطمية على أنقاذ الدولة الأغلبية، و بعد هذه الانتصارات استقدم الداعي أبو عبد الله الشيعي عبيد الله المهدي ليدخل إفريقية متخذا من مدينة رقادة عاصمة لدولته، و بعد استقراره فيها أقصى الداعي و أخاه أبا العباس و مشايخ كتامة و حواضرها، كما استولى على الأموال التي كانوا يحتفظون بها في إيكجان، مما جعلهم يستاءون من تصرفه، و يدخلون في حزب المعارضة الذي حاول الإطاحة بعبيد الله المهدي إلاّ أن المهدي كان لذلك بالمرصاد إذ أعدم أبا عبد الله الداعي و أخاه أبي العباس و لما رأى أهل كتامة و التي تعد قسنطينة إحدى حواضرها استبداد المهدي، و قتل العديد من أبناء قبيلتهم اتوا بغلام صغير من أخس أهل بيت فيهم يقال لهم بنو

ماوطنت من أورسة يعرف باسم (كادو بن معارك) و قالوا بأنه هو المهدي و زحفوا إلى ميلة فأخذوها، فأخرج لهم عبيد الله المهدي عساكر فهزمهم الماوطنتي مما جعل عبيد الله المهدي يستجمع قواه من جديد و يهزم الماوطنتي و يفتح مدينة قسنطينة لسبع بقين من شوال سنة 299هـ/11 يونيو 912م، و بعد وفاة الخليفة الفاطمي الأول المهدي ليلة الثلاثاء 15 ربيع الأول سنة 322هـ/مارس 934م حل محله ابنه القائم بأمر الله، إذ ما فتئ يعتلي عرش الخلافة حتى ظهرت ثورة أبي يزيد الإباضي صاحب الحمار الذي كان من أنصار الإباضية بتاهرت الذين قضى على دولتهم الرسميتة أبو عبد الله الداعي، فحشد الحشود مستميلا قبائل زناته و هاجم باغاي إلا أن تمرد أهلها و معاونة قبائل كتامة لهم جعلت أبا يزيد يتقهقر متخليا عن تلك القلعة متجاوزا إياها إلى الناحية الشرقية و الجنوبية الشرقية، إذ و استجابة لأوامره ثار في قسنطينة بنو واسين و غيرهم من قبائل بني يفرن، و حاصروا قاعدة تلك الناحية.

أما في عهد الخليفة الثالث الفاطمي إسماعيل المنصور الذي بويع بالخلافة يوم 7 رمضان 334هـ/أفريل 945م فإنه استطاع بعد قيادته الجيش بنفسه أن يخمد ثورة أبي يزيد و قد عضّده في ذلك جيوش عظيمة قدمت من بلاد كتامة بقيادة الحسن بن علي منطلقة من مدينة قسنطينة مع جماعة من الكتاميين الذين حرضهم على التحرّك رسالة توبيخ من الخليفة

الفاطمي وجهها إليهم إسماعيل المنصور، و هكذا بقي الكرّ و الفر مع أبي يزيد لحين هزيمته[184] .

من خلال ما سبق يتضح أن الدولة الفاطمية كان من أولى أولوياتها في إفريقية والمغرب الأوسط القيام بما يأتي :

1- تنشيط حركة التوسع لضم ممتلكات الأغالبة

2 ـ ضرورة إخضاع وإخماد معارضة بقية الأنظمة السياسية و القبائل المناوئة للدولة الفاطمية.

3- مقاومة حركة الصراع المذهبي بين أهل السنة و الشيعة، خاصة في الحواضر الكبرى .

4- القضاء على حركة المعارضة الداخلية من طرف بناة الدولة و دعاتها

5 ـ القضاء على حركة معارضة بربر كتامة

6 ـ القضاء على حركة المعارضة الإباضية الخارجية التي تزعمتها زناتة و أحلافها:وقد كان لها ذلك ، حيث إن أول نظام صفي في بلاد المغرب بعد معركة الأربس و سقوط الإمارة الأغلبية هو نظام الإمامة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط و جبل نفوسة[185] .

---

(184) فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي و المؤسسات. 116-133، 174، 185، 195-196، 250، 261، 267-268، 289 و محمد الطّالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)، 723-740.

(185) موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري " 11 م " 333 .

ثم جاءت خلافة المعز لدين الله الذي بويع بالخلافة يوم 29 شوال 341هـ/مارس 953م، و الذي بقي خليفة على إفريقية إلى أن رحل إلى مصر في الخامس من رمضان سنة 362هـ/الموافق لـ 4 يوليو 973م، تاركا مقاليد الحكم لبلكين بن زيري، منصبا إياه خليفة له، و هكذا أنشأت الدولة الزيرية، التي تدين بالولاء للخلافة الفاطمية بالقاهرة[186].

[186] فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي و المؤسسات. 116-133، 174، 185، 195-196، 250، 261، 267-268، 289 و محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)، 723-740.

المبحث الرابع

قسنطينة في عهد الزيريين

لقد كان مناد بن منقوش رجلا كريما مضيافًا لدرجة أنه بنى مسجدا لإيواء الغرباء، و قد مرّ بمسجده أحد المغاربة نهب السراق و قطاع الطرق ماله، فآواه، و ذبح له شاة على شرفه، و بعد أن طعم الضيف بقي يتأمل كتف الشاة، و ينظر إلى مناد متعجبا، ثم سأله ألك زوجة حامل ؟ فقال مناد: نعم، فقال له: اعتن بها، فستلد لك من يملك المغرب، فلما ولدت زوجته سمى مولودها زيري[187] الذي كان آية في الجمال، و قوة الشكيمة و كمال البنية، و لما كبر زيري، غزا بلاد زناتة و انتصر عليهم، و أسس مدينة أشير سنة 324هـ/935م[188]، و أعانه الخليفة الفاطمي القائم بأمر

---

[187] إن هذه القصة هي أقرب للأسطورة منها للحقيقة.

[188] رشيد بوروبة: الدولة الحمادية تاريخها و حواضرها، 7-9، و إسماعيل العربي: دولة بني زيري - ملوك غرناطة، 7-10، و دولة بني حماد - ملوك القلعة و بجاية، 41-44، و عواصم بني زيري - ملوك أشير، بجاية، غرناطة، المهدية، 7-10.

الله على بنائها إذ أمدّه بمهندس كفء، فضلا عن مواد البناء لاسيما الحديد منها، و بقي زيري ذاكر الجميل القائم بأمر الله فأعانه على إخماد ثورة أبي يزيد المعروف بصاحب الحمار، كما كانت له اليد الطولى في فتح فاس في عهد المعز لدين الله، إذ بعد فتحها مباشرة كافأه المعز بإضافة مدينة تيهرت لأعماله، و بعد مقتل زيري في إحدى معاركه ضد زناته خلفه ابنه بلكين، الذي ثأر لأبيه من زناته، و لما فتح الفاطميون القاهرة عين المعز بلقين كخليفة له على إفريقيا و كان ذلك في أواخر شهر ذي الحجة 361هـ/أكتوبر 971م، و غير له اسمه[189] كما يقول ابن خلدون: «سماه يوسف بدلا من بلقين، و كناه أبا الفتوح، و لقبه: سيف الدولة»[190] و هكذا بقي بلكين واليا على إفريقيا و المغرب لغاية سنة 373هـ/984م خلالها غزا المغرب الأقصى، ثم توجه نحو سجلماسة التي فتحها داحرا منها الزناتيين، و بعد وفاته خلفه ابنه المنصور، و بعد وفاة المنصور تقلد الحكم من بعده ابنه باديس سنة 386هـ/996م، لتقمع في عهده ثورة أعمامه عليه الذين كانوا يرون أوليتهم بالحكم منه، و إخماده لثورة زيري بن عطية صاحب فاس الذي حاول القيام بغزو المغرب الأوسط و الاستيلاء عليه و كذا إخماد ثورة ابنه من بعده المعز بن زيري بن عطية، و في عهده أيضا شق حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية عصا الطاعة عن باديس، ليعلن

---

[189] رشيد بوروبة: دولة بني حماد تاريخها و حواضرها، 10-14.

[190] العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، 317/6.

ولاءه للدولة العباسية، و بعد وفاة باديس خلفه ابنه المعز سنة: 406هـ/1016م، و مما قام به قتله للروافض من الشيعة، لأنه تربى في حجر وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال الذي دلّه على مذهب مالك، و على السّنة و الجماعة و زهّده في مذهب الشيعة، و كذا مقاومته لحركة حماد الانفصالية، و التي أعادت حماد لرشده، و إعطاء مقاليد الطاعة للمعز الزيري، مما حدا بهذا الأخير أن يوافق على أن يكون حمادٌ أميرا مستقلا على المغرب الأوسط ابتداء من سنة 408هـ/1018م[191].

و هكذا و ببسط حماد سلطانه على المغرب الأوسط انقسمت الدولة الزيرية إلى دولتين زيرية تحت إمرة المعز بن باديس، و حمادية تحت سلطان حماد بن بلكين بن زيري، و ليدخل المغرب الأوسط، و من حواضره قسنطينة رسميا تحت حكم الحماديين.

بعد هذا العرض التاريخي المختصر و المهتصر، و الذي يعدّ ضروريا و ملزما لمعرفة محطات أساسية في مفاصل الدولة الزيرية، التي عاشت في كنف ولائها للخلافة الفاطمية، ننتقل لنبيّن محلّ قسنطينة من الإعراب في ظل الدولة الزيرية، فنقول لقد لعبت قسنطينة أدوارا رئيسة في عهد الزيريين نورد أبرزها في النقاط الآتية[192].

---

(191) رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها و حواضرها، 14-34، و إسماعيل العربي: دولة بني حماد - ملوك القلعة و بجاية، 41-88.

(192) عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط - (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، 39-41، فتأمّله فإنّه نفيس، فجزى الله صاحبه خير الجزاء.

أوّلا– انتعاش الفلاحة بقسنطينة، إذ قام الزيريون بتوزيع الأراضي الصالحة للزراعة على الفلاحين، مما فجّر ثورة زراعية بها كانت سببا في التامين الغذائي.

ثانيا – توفير الأمن للقوافل التجارية التي تمر بها و تنشيطها، مما أرسى حركة تجارية مهمة.

ثالثا – تشجيع التعليم و العلماء بقسنطينة، إذ نشأت بها في عهد الزيريين حركة علمية شاملة و نهضة ثقافية واسعة، كانت محط أنظار العلماء و الأدباء و الفقهاء، و قبلة الطلاب، مما جعل قسنطينة تضم بين دفتيها العديد من معاهد العلم، و مراكز الثقافة، التي انجزت خصيصا لاستقبال طلبة العلم و المعرفة من بلادي المغرب و الأندلس.

و قد بين الباحث عبد المجيد بن حملة مكانة قسنطينة العلمية في عهد الزيريين بأنّ الصبيان كانوا بمدينة قسنطينة يتعلمون في الكتاتيب و يتدرجون من الأسهل إلى الأصعب، يحفظون القرآن و إعرابه، و الشكل و الهجاء، و الخط و القراءة الحسنة، و التوقيت و الترتيل، و الشعر و الخطب و الحساب، و غيرها من علوم ذلك العصر، بينما المعاهد و المدارس كانت مخصصة للكبار، حيث يتلقنون العلوم النقلية، و العلوم العقلية، أي العلوم الشرعية، و اللغوية، و الكلامية، و الاجتماعية

و الفلك، و الرياضيات، و كانت المساجد للصلاة، و لعقد حلقات التعليم و المباحث و المناظرات الكلامية، و المجادلات الفقهية[193].

رابعا – هيمنة قسنطينة في عهد الزيريين و بالضبط في عهد المنصور بن بلكين على مدينتي تيجيس، الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة قسنطينة و على بعد: 40 كلم منها، و قصر الإفريقي، التي تقع شرق تيجيس و تبعد عنها بـ: 50 كلم، مما يدل على مكانتها السامقة في هذه الفترة الزيرية[194].

(193) ثقافة المجتمع القيرواني: ص 45 نقلا: عن أستاذنا الأستاذ الدكتور: عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية، عمرانية، ثقافية)، 40.

(194) عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية، عمرانية، ثقافية)، 41.

المبحث الخامس

قسنطينة في عهد الحماديين

بعد التحاق زيري بن مناد بالرفيق الأعلى خلفه ولده بلكين، و بعد وفاته خلفه ابنه المنصور على إفريقية و المغرب، و قد ولّى أخاه حمادا على منطقة أشير و كان ذلك سنة 377هـ[195]، و بعد موت المنصور حلّ محله ابنه باديس، و كان ذلك سنة 386هـ/996م، و قد عقد باديس ولاية أشير لحماد سنة 387هـ، و قد ساهم حماد في قمع ثورة أعمام باديس، كما استنجد باديس بحماد في قمع ثورة المعز بن زيري بن عطية الذي خلف أباه على زناتة، غير أن حمادا وافق على مؤازرة باديس شريطة أن يوليه على أشير و المغرب، و أن لا يستدعيه إلى القيروان، و أن يمتلك المدن التي يفتحها بمعنى أن يكون لحماد حكم ذاتي مستقل، فوافق حماد على خوض معاركه الدامية التي انتهت بهزيمة المعز بن زيري بن عطية، و ولاية حماد على المغرب الأوسط، كما أذن له باديس ببناء قلعة بني حماد سنة 398هـ، و لما رأى

---

(195) ابن خلدون: العبر من ديوان المبتدأ و الخبر، 321/6.

باديس المكانة السامقة التي بلغها حماد، حاول تقليص نفوذه، فكتب لحماد بالتخلي عن قسنطينة، و تيجس، و قصر الإفريقي لها شم بن جعفر، مما جعل حمادا ينتفض ضد باديس، و بعد وفاة باديس خلفه ابنه المعز، الذي وقعت بينه و بين حماد معارك طاحنة انتهت باستقلال حماد بالمغرب الأوسط و تنازله عن قسنطينة و تجيس، و قصر الإفريقي، و كان ذلك سنة 408هـ/1018م حيث انقسمت الدولة الزيرية إلى دولة الزيريين بإفريقية و الحماديين بالمغرب الأوسط[196] و بعد وفاة حماد مؤسس الدولة الحمادية خلفه ابنه القائد الذي مكث خمسة و عشرين سنة على عرش الدولة الحمادية ليحل محله ابنه محسن، و كان ذلك سنة 446هـ، غير أنه لم تمر على بيعته سوى تسعة أشهر حتى مات مقتولا من قبل ابن عمه بلكين بن محمد، الذي بويع على عرش الدولة الحمادية في رجب سنة 447هـ و بقي على رأس الدولة إلى أن قتله الناصر بن علناس و حلّ محلّه على رأس الدولة الحمادية سنة 454هـ ليخلفه ابنه المنصور سنة 481هـ الذي ولّى أخاه بلبار على قسنطينة[197]، غير أنه ثار على أخيه رغبة في استبداده بقسنطينة، فاستعان المنصور عليه بأبي يكني بن محسن بن القائد، الذي توجه إلى قسنطينة حيث أخمد ثورة بلبار، و ألقى عليه القبض و أرسل به إلى القلعة، فولاه المنصور مكانه، غير أن أبا يكني ثار على المنصور سنة

---

[196] رشيد بوروبة: الدولة الحمادية تاريخها و حواضرها، 17-34؛وقارن بـ : عبد الحليم عويس : دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، 51 ـ 70 .

[197] إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، 162.

487هـ بقسنطينة، إلاّ أن جيوش المنصور اضطرت أبا يكني للفرار من قسنطينة متحصنا بقلعة بجبل أوراس، و بعد خروجه تولى قسنطينة صليصل بن الأحمر، و أخبر المنصور بأنّه يمكّنه من قسنطينة على مال، فوافق المنصور، و استولى على قسنطينة[198] بعد وفاة المنصور سنة 498هـ خلفه ابنه باديس الذي لم يطل مكثه على رأس الدولة الحمادية ليحل محله أخاه العزيز بن المنصور، الذي خلفه بعد وفاته ابنه يحي الذي هزم جيشه الذي أرسله لشد أزر المرابطين في تلمسان ضد الموحدين، الذين كثرت انتصاراتهم ففتحوا كثيرا من حواضر الدولة الحمادية، و منها قسنطينة التي تحصن بها الأمير يحي بن عبد العزيز الحمادي، إلاّ أنّ قوة جيش الموحدين تركت يحي يسلّم قسنطينة للموحدين مقابل تأمينه، فوفى له عبد المؤمن حيث سيره إلى مراكش مغدقا عليه و على أهله المنازل الواسعة و المراكب الهنيئة، و الملابس الفاخرة، و الأموال الوفيرة، و خص يحي من ذلك بأجزله و أسناه و أحفله[199] ... و هكذا سقطت دولة الحماديين لتحل محلها دولة الموحدين و كان ذلك سنة 547هـ، حيث دخل عبد المؤمن بجاية و القلعة و نظم إدارة المغرب الأوسط، الذي أصبح مجرد ولاية من الخلافة الموحدية حيث عين عبد المؤمن ابنه عبد الله واليا على بجاية، ليكرّ راجعا إلى مراكش

---

[198] رشيد بوروبة: الدولة الحمادية تاريخها و حواضرها، 40-75 و قارن بـ إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، 200-201.

[199] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، 1368هـ/1943م، القاهرة و ابن خلدون: العبر، 364/6.

مصطحبا معه ملك بجاية السابق يحي بن عبد العزيز الحمادي و أعيان دولته[200].

أما في عهد العزيز فيروي البيدق أن قسنطينة كان بها قاض اسمه قاسم بن عبد الرحمن، و أنه لم يكن يطبق أحكام الشريعة فيما يتعلق بالحدود و القصاص، إذ كان يقضي على كل من القاتل و السارق بالجلد بدلاً من الإعدام، و قطع اليد[201] كما يطلعنا الشريف الإدريسي عن وصف قسنطينة في عهد الحمّاديين مخبرا عن كثرة قمحها و أنه يُخزن في مطامير، فلا يلحقه الفساد، و لو خزن لمدد طويلة، و أن بها عسلا كثيرا يتجهز منه إلى سائر البلاد، كما توجد بها أسواق و تجار و أن أهلها مياسير ذووا أموال و أحوال واسعة و معاملات مع العرب[202].

---

(200) إسماعيل العربي: دولة بني حماد – ملوك القلعة و بجاية، 223.

(201) كتاب أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، ص 51، اعتنى بإخراجه من الخزانة الأسكريالية و تصحيحه و ترجمته لاتي بروفنسال. و قارن بـ: رشيد بوروبة: الدولة الحمادية تاريخها و حواضرها، 123.

(202) الإدريسي : نزهة المشتاق، 62، 64، 67، و قارن بـ: إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، 238، و رشيد بوروبة: الدولة الحمادية تاريخها و حواضرها، 130، 135، 141.

المبحث السادس

قسنطينة في عهد الموحدين

وسنتناوله من خلال النقاط الآتية :

أولا ـ مؤسس الدولة الموحدية : هو: محمد بن عبد الله ، **الشهير بابن** تومرت المصمودي (485هـ/1092م-524هـ/1130م) [203] ، أبو عبد الله، المتلقب بالمهدي ، و واضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. و هو من قبيلة «هَرْغة» من «المصامدة» من قبائل جبل السوس، بالمغرب الأقصى ولد و نشأ في قبيلته. و رحل إلى المشرق، طالبًا للعلم (سنة 500هـ) فانتهى إلى العراق. و حج و أقام بمكة زمنًا. و اشتهر بالورع و الشدة في النهي عما يخالف الشرع، فتعصب عليه جماعة بمكة، فخرج منها إلى مصر فطردته حكومتها، فعاد إلى المغرب ، و كان قاضي مراكش مالك بن وهيب حذر منه الأمير علي بن يوسف لأنه كان حزاء ينظر في النجوم و قال له: احتفظ

---

(203) ذكر ابن قنفذ أنه ولد بهرغة سنة إحدى و سبعين و أربعمائة : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 99.

على الدولة من الرجال و اجعل على رجله كبلا لئلا يسمعك طبلا؛ فبعث علي بن يوسف الخيل في طلبه ففاتهم، و داخل عامل السوس و هو أبو بكر بن محمد اللمتوني بعض أهل هرغة في قتله و نذر بهم إخوانهم فنقلوه إلى معقل امتناعهم و قتلوا من داخل في قتله[204] .

ثم نزل بالمهدية، فكسر ما رآه فيها من آلات اللهو و أواني الخمر. و انتقل إلى بجاية، فأخرج منها إلى إحدى قراها و اسمها «ملالة» فلقي بها عبد المؤمن بن علي (الكومي) و كان شابًا نبيلاً فطنًا، فاتفق معه على الدعوة إليه. و اتخذ أنصارًا رحل بهم إلى مراكش، و عبد المؤمن معه، فحضر مجلس الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (و كان ملكًا حليمًا) فأنكر عليه ابن تومرت بدعًا و منكرات. ثم خرج من حضرته، و نزل بموضع حصين من جبال «تينملّل» بكسر التاء و فتح الميم و تشديد اللام الأولى و فتحها. فجعل يعظ سكانه حتى أقبلوا عليه. و اشتهر فيهم بالصلاح فحرضهم على عصيان «ابن تاشفين» فقتلوا جنودًا له، و تحصنوا، و قوي بهم أمر ابن تومرت، و تلقب بالمهدي القائم بأمر الله، و عاجلته الوفاة في جبل تينملل قبل أن يفتح مراكش. و لكنه قرر القواعد و مهدها، فكانت الفتوحات بعد ذلك على يد صاحبه «عبد المؤمن» و كان ابن تومرت

---

(204) الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 5 ـ 6.

أسمر، ربعة، عظيم الهامة، حديد النظر داهية أديبًا فصيحًا، أديبًا له كتاب «كنز العلوم » ، و «أعز ما يطلب » [205].

قرأ بقرطبة على القاضي ابن حمدين ، ثم ارتحل إلى المهديّة و أخذ عن الإمام أبي عبد الله المازري ثم انتقل إلى الإسكندريّة و أخذ عن الإمام أبي بكر الطرطوشي ثم انتقل إلى بغداد و أخذ عن الإمام أبي حامد الغزالي و كان الغزالي لما بلغ كتابه الذي سمّاه «إحياء علوم الدين» إلى المغرب و أشار من أشار على ملك لمتونة بتمزيقه و بلغ ذلك لمؤلّفه الغزالي قال: «اللهمّ مزّق ملكهم» و كان المهدي رضي الله عنه حاضرا في المجلس فقال له: «على يدي يا سيّدي» فقال له: «على يديك»[206]

و كانت له مناظرة و محاضرة مع فقهاء لمتونة ، و استند إلى جبل درن و كان يعلّم الناس إيمانهم فمن صار من حزبه سمّي موحّدا،حيث كان أمره مرة يتزلزل و مرة يثبت إلى أن آواه الشيخ الجليل المقدّس أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الله العمري الهنتاني فعلا أمره، و سما ذكره، و أظهر ما بطن و لذلك كان يقال له: الشيخ أبو حفص عمر، ثم تمّ به الأمر المراد[207]

---

(205) الزركلي : الأعلام 6 /229 ، وقارن بـ :ابن خلكان :وفيات الأعيان 2 / 37 ،و ابن خلدون : العبر من تاريخ المبتدأ والخبر 6 : 225 ، وابن الأثير : الكامل 10 /201 – 205 ، والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 3 ـ 6.

(206) ابن قنفذ : االفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 100، والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 4 .

(207) ابن قنفذ:االفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 100 ،والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 6 ـ 7 .

و كان ابن تومرت قد استطاع أن يؤسس الدولة الموحدية في ظرف تسع سنوات فقد نزل بمدينة قسنطينة، و استقر بها مدة من الزمن ضيفا على شيوخها بعد عودته من بلاد المشرق، فاستضافه الفقيه عبد الرحمن الميلي و الشيخ يحي بن القاسم، و كذلك عبد العزيز محمد و كان أمير المدينة حينذاك سبع بن العزيز الحمادي، و قاضيها في ذلك الوقت هو قاسم بن عبد الرحمن فاستقبلوه جميعا استقبالا حافلا و أكرموه و أحسنوا ضيافته و اجتمع من حوله الفقهاء و الطلاب، للتزود من علمه و أفكاره و مبادئه فقد قام بالتدريس في جامع قسنطينة و أصلح الأخلاق، و نهى عن المنكر و علم الناس إقامة الحدود[208] .

بويع الإمام المهدي يوم الجمعة الرابع عشر لشهر رمضان من عام خمسة عشر و خمسمائة ، وقد رتّب لأصحابه وتلاميذه أحزابا في التوحيد «كالمرشدة» و غيرها و هي التي أولها «اعلم أرشدنا الله و إياك» بكسر ألف اعلم على صيغة الأمر، كما ألّف لهم الإمام كتبا مشهورة،وهكذا ما زال أمر الإمام، في زيادة على ترتيب و نظام، و ملازمة أصحاب من الأعلام ، و اعتكاف على قراءة حديث النبيء عليه السلام حتى توفّي بجبل تينمل غربي جبل هتناتة يوم الأربعاء الثالث عشر لشهر رمضان المعظّم من سنة أربع و عشرين و خمسمائة[209]

---

[208] أخبار المهدي بن تومرت، ص 35؛و رشيد بوروبة: ابن تومرت، ص 39 نقلا عن عبد العزيز فيلالي : مدينة قسنطينة في العصر الوسيط ، دراسة سياسية عمرانية ثقافية . 51 .

[209] ابن قنفذ:االفارسية في مبادئ الدولة الحفصية 100 ـ 101.

بعد وفاة مؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت بايع الموحدون واحدا من أصحابه المختصّين بقربه في حياته و هو الشيخ أبو علي عمر الصنهاجي عرف ازناج ثم قال لهم بعد أيّام: هذا هو الّذي أشار به الإمام يعني عبد المؤمن بن علي الكومي فتأخّر ،و بويع عبد المؤمن بن علي يوم الخميس الخامس و العشرين لشهر رمضان المذكور و أقام مدّة بين قبائل الموحّدين و مُرّاكش و غيرها على ملك اللمتونيّين، ثم خرج إلى إقليم تلمسان مع جمع وافر من الموحّدين و أحيى الكلمة في هذه الأقاليم مدّة ثم توجّه إلى المغرب فملك مدينة فاس و غيرها في سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة و ملك مرّاكش و استخلص المغرب كلّه من يد لمتونة ، و كانت دولتهم نحو ثمانين سنة، و بعد وفاته تولّى بعده يعقوب المنصور، و في سنة ولايته بنى رباط الفتح على مدينة سلا، وفي سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة تحرّك المنصور على علي بن اسحق بن غانية الميورقي و له منذ ثار في بلاد إفريقية و ملك أكثر البلاد ثلاث سنين فتحرّك إليه المنصور، و استخلص من يده بجاية و قسنطينة و قابس و الجريد كلّه، و قيل لم يملك قسنطينة و إنّما أشرف على أخذها بقطع الماء عنها و لجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف فسأل الله المطر فنزل و كانت حملة عظيمة في الوادي خرقت سدّ الميورقي، و لم يقدر على قطعه، و توفّي هذا الشيخ نفع الله به على أفضل حال مع الله و لم يخلّف ولدا [210].

---

[210] ابن قنفذ:الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 101 ـ 103 .

و استنفر يعقوب المنصور الناس للغزو فأوغل في بلاد الكفار. ثم جاز في البحر إلى مراكش و لما دخلها قطع المناكر ، و أقام العدل و باشر الأحكام ،و كان من أهل العلم و التوقيع في الجواب بأحسن توقيع، طلب يوما من قاضيه أن يختار له معلما أو معلمين لتعليم ولده عنده و ضبط أوامره فجاء برجلين و كتب له رقعة يصفهما له: أحدهما هو بر في دينه و الآخر هو بحر في علمه، فاختبرهما السلطان بنفسه فأكذبهما في اختباره و وجدهما ليس كما قال القاضي فكتب على رقعة القاضي: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر و البحر) و هذا من التوقيع الغريب في الإجادة[211] .

كما قدّم المنصور الشيخ أبا سعيد بن المقدّس أبي حفص على إفريقية و قدّم أخاه الشيخ أبا علي يونس بن الشيخ أبي حفص واليا بالمهديّة، و رجع المنصور إلى مرّاكش و محلّة الميورقي لم تزل في بلاد إفريقية و توفّي علي بن اسحق على توزر و بويع أخوه يحي بن اسحق و ملك البلاد كلّها و حصلت له المهديّة و غيرها، و نزل على تونس في آخر سنة تسع و تسعين و خمسمائة و أخذها، و في هذه السنة توفّي يعقوب المنصور بمرّاكش، و ولّي ولده أبو عبد الله الناصر.

و ذكر المؤرّخون ليحيى بن اسحق الميورقي، و قراقش الغزي صاحب طرابلس و ابن عبد الكريم صاحب المهدية في أفريقية وقائع كثيرة، و اتّصل

---

[211] الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 15 .

بالناصر ما وقع بإفريقية من الهرج و الظلم فتحرّك إلى بلاد إفريقية و عند وصوله إلى قسنطينة وجّه الميورقي ذخائره إلى المهدية و خرج من تونس إلى القيروان و ذلك في سنة اثنتين و ستمائة ، و امتدح الناصر يوم وصوله إلى قسنطينة أبو علي حسن بن علي ابن الفكون ، و تردّد الميورقي في بلاد الجريد يؤلّب العرب، و البلاد بيده، فأخذ الناصر في اتّباعه على طريق قفصة، و وجّه الناصر الشيخ المرحوم أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ المقدّس أبي حفص لقتال الميورقي بجيش عظيم، فالتقيا بتاجرا و أحاط الشيخ أبو محمد بجميع ما في محلّته، و فكّ من يده جماعة من الموحّدين منهم السيد أبو زيد بن يوسف بن عبد المؤمن الذي دخل عليه الميورقي تونس[212] .

و توجّه الناصر لحصار المهديّة فأقام عليها محاصرا لها أربعة و سبعين يوما و أخذها بتسليم صاحبها ابن عمّ الميورقي علي بن الغازي فأحسن الناصر إليه و قرّبه و عفا الناصر عن جميع من كان بالمهدية من المقاتلين و غيرهم ، ثم ارتحل عنها و ترك محمد بن يغمور واليا عليها و نزل تونس في غرة رجب من سنة اثنتين و ستمائة، و ارتحل عنها في شهر رمضان من سنة ثلاث و ستمائة [213] .

---

[212] ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 103 ـ 104، والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 15 ـ 18.

[213] ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 103 ـ 104، والزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية 15 ـ 18.

يقول الأستاذ عبد العزيز فيلالي : " و مهما يكن من أمر، فإن مدينة قسنطينة، ظلت موالية للموحدين، و أهلها يؤدون، الطاعة و الولاء لهم و قد حافظ الموحدون على هذا الولاء، و على وحدة المغرب، تحت سلطانهم، ما يزيد على سبعين سنة، و بوفاة يعقوب المنصور سنة 564هـ/1198م، و هو أحد الأمراء الأقوياء، ثم بهزيمة المسلمين بمعركة العقاب في الأندلس سنة 609هـ/1212م ظهرت مؤثرات الضعف و التفكك، في جسم الدولة، التي لم تلبث أن قامت على أنقاضها، – فيما بعد – ثلاث دول في بلاد المغرب هي:

1– الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى (إفريقية) و حاضرتها مدينة تونس.

2– الدولة الزيانية، بالمغرب الأوسط و قاعدتها مدينة تلمسان.

3– الدولة المرينية بالمغرب الأقصى و عاصمتها فاس. "[214].

---

(214) مدينة قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية ثقافية 53.

المبحث السابع

قسنطينة في العهد الحفصي[215]

بعد إعلان أبي زكرياء الحفصي انفصاله عن دولة الموحدين، كان همه الكبير استرجاع حدود إفريقيا إلى ما كانت عليه في زمن الدولة الصنهاجية الموحدة، مما حدا به إلى محاصرة قسنطينة لغاية استسلامها له، حيث ألقى القبض على واليها الموحدي ابن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور، و نفاه إلى تونس، و لم يكن قاسيا معه، إذ أسكنه دارا و أجرى عليه راتبا بألف دينار[216]، و الأمر نفسه فعله مع أخيه والي بجاية أبي عمران الموحّدي، ثم تفرغ بعد ذلك للقضاء على الخصم التقليدي لكل من حكم إفريقية المتمثل في يحيى بن غانية و أنصاره من أعراب بني هلال، و سليم و غيرهما من

---

(215) إن الأمانة العلمية تستدعي منا أن نبين بأن جل هذه المعلومات الواردة في حديثنا عن عهد الحفصيين مستقاة ومستمدة من :محمد العروسي المطوي :السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، كما نؤكد بأنها ملخصة من المئات من الصفحات الواردة في هذا الكتاب ،وأن هذا التلخيص استدعى منا قراءة الكتاب أكثر من مرة ،رغم احتوائه على : 804 صحيفة ،مما يجعل الوصول إلى هذه المعلومات ليس أمرا سهلا ،لتناثرها بين طيات هذا الكتاب ، وعليه : فإن كل ما لم يرد عزوه إلى مصنف ما فهو ملخص من هذا الكتاب .

(216) ابن قنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 108.

طرابلس الغرب إلى ورقلة، و بعد جولات و مطاردات هلك ابن غانية و خمدت بموته ثورته[217] و كان ذلك سنة 631هـ، فخلا الجو لأبي زكريا الحفصي فانفرد بإفريقية دون منازع، و لا مصارع، لاسيما و أن ذلك صادف مرحلة شيخوخة الدولة الموحدية، التي كانت تعاني من اندلاع الثورات بالأندلس رغبة في اقتسامها بين بعض الثوار الأندلسيين الذين شقوا عصى الطاعة على الخلافة الموحدية، و في سنة 638هـ عقد أبو زكرياء ولاية العهد لابنه أبي يحي زكرياء الذي كان وقتها واليا على بجاية، ثم جعل له النظر في سائر أعمالها كقسنطينة و عنابة و جنوب تلك المناطق، و بقي وليا للعهد من سنة 638هـ إلى 646هـ حيث وافته المنية، فعقد ولاية العهد لأخيه محمد، و ما هي إلا فترة زمنية يسيرة حتى التحق أبو زكريا الحفصي بالرفيق الأعلى عندما كان يقوم بجولة تفقدية في عنابة و كان ذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة 647هـ/1249م، فبويع بالخلافة ابنه محمد الذي لقّب نفسه بالمستنصر بالله و كان عمره يومها اثنين و عشرين عاما، غير أن مبايعته بالخلافة جعلت أخاه إبراهيم المكنى بأبي إسحاق يشق عصا الطاعة إذ نزل على قبيلة الذواودة و بايعوه بالخلافة سنة 651هـ/1253م، و لكن بعد صراع مرير انسحب أبو إسحاق إبراهيم من الميدان إذ فر للمغرب الأقصى، ثم للأندلس، و بعد موت المستنصر بويع بالخلافة من بعده ابنه يحي الواثق، و هذا لم يَرُقْ والي بجاية محمد بن هلال فعزم على التمرّد

---

[217] ابن خلدون : العبر من ديوان المبتدأ والخبر 596/6.

مستعينا بأبي إسحاق إبراهيم عم يحيى الواثق الذي قدم من الأندلس التي ظل بها يتحين الفرصة لاسترداد حقه في الملك، و بمجرد دعوته من قبل والي بجاية و مبايعته له دخل بجاية دخول الفاتحين، ثم توجه إلى قسنطينة التي حاصرها أياما، غير أنها استعصت عليه، فتركها، و لم يتمكن من إخضاعها و كان يومها عليها عبد العزيز بن عيسى صهر يحيى الغافقي المعروف بابن الحَبَّرِ، و بعد صولات و جولات عديدة و متكرّرة تمكن في النهاية أبو إسحاق إبراهيم من الاستيلاء على قسنطينة، فكان من أولى أولياته مصادرة أموال ابن الحَبَّرِ إذ سجنه برهة، ثم قتله، كما أنه أقرّ على قسنطينة ابن الوزير المسمى بأبي بكر بن موسى بن عيسى، و كان ذا طموح سياسي فحاول التمرّد على أبي إسحاق إبراهيم معتمدا في ذلك على حصانة قسنطينة التي أعلن منها ثورته، و على المدد الخارجي إذ استنجد بـ بيدرو ملك أرغونة الإسبانية الذي لبى نداء النجدة إلا أن مدده وصل إلى سواحل القل متأخرا بعد إخماد ثورة ابن الوزير التي أعلنها بقسنطينة سنة 680هـ هذه الثورة التي حملت بذور الفشل منذ بداياتها، و ذلك لكون أهل قسنطينة لم يكونوا يؤيدون ابن الوزير، و لكون نجدة ملك أرغونة لم تصل في الوقت المناسب و لأن أبا فارس عبد العزيز الحفصي كان واليا على بجاية مما عجّل بمقتل ابن الوزير و أخيه و جمع من أتباعه، بل علّقت رؤوسهم فوق أسوار مدينة قسنطينة ثم بعث بها أبو فارس لوالده بتونس.

هذا و قد ورث أبو زكريا الحفصي عن أبيه أبي إسحاق إبراهيم المقتول من قبل أهالي بجاية حب السلطة، و الشعور بأوليته في الملك فالتحق بداود بن هلال أمير بني يعقوب، و كافة بني عامر من قبائل زغبة فأعطاه ذمّته و أمر قبائله بطاعته، فكثر أنصاره، و تحققت آماله بضم القسم الغربي من السلطة الحفصية، و ذلك باستيلائه على كل من بجاية و قسنطينة و الجزائر، و إعلانه الاستقلال بهذه المناطق، و تلقّبه بـ: «المنتخب لإحياء دين الله».

و بعد موت أبي زكريا صاحب بجاية سنة 700هـ/1301م، ولي أمر بجاية بعده أبو البقاء خالد بن أبي زكرياء الذي حاول التقريب بين الحفصيتين الغربية و التونسية لكنه لم يجد استجابة من أبي عصيدة حاكم الحفصية التونسية فقام بغزوها إلى أن وحّد الدولة الحفصية من جديد، و مما يجدر ذكره أنّه عيّن أخاه أبا بكر واليا على قسنطينة باقتراح من حاجبه ابن عمر، غير أن أبا بكر الذي وقع تحت تأثير وسوسة و تحريض ابن عمر الذي كان يضمر الشر لسيده أبي البقاء أعلن استقلاله بقسنطينة و لقب نفسه بالمتوكل على الله، كما عزم على احتلال بجاية التي كانت تمثل مركز الحفصية الغربية إلا أن واليها لم يبايعه بل تصدى له نكاية في ابن عمر الذي استغل ضعف المتوكل على الله و صار هو الآمر الناهي و رغم ذلك بقي أبو بكر الحفصي مناوبًا لأخيه أبي البقاء خالد، فاستعان عليه بزكرياء أحمد بن اللحياني الذي نزل طرابلس، و بإيعاز من حاجبه ابن الغمر تحرك ابن

اللحياني نحو تونس التي استولى عليها و قتل أبا البقاء خالد و هكذا انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين الأول بتونس و يحكمه ابن اللحاني و الثاني الحفصية الغربية بقيادة أبي بكر الحفصي غير أن هذا لم يدم طويلا حيث استطاع أبو بكر الحفصي توحيد الدولة تحت سلطانه بعد انهزام كل من ابن اللحياني المتعسكر بقابس و ابنه أبي ضربة المتمركز في الطريق بين تونس و القيروان، و بعد سجال كبير كان النصر فيه لأبي بكر الحفصي حيث هزم أبو ضربة و فر للمهدية، و هاجر وَالده ابن اللحياني للإسكندرية التي نزل بها على السلطان محمد بن قلاوون.

و في عهد أبي بكر الحفصي حاول صاحب تلمسان محاصرة قسنطينة بقيادة القائد التلمساني موسى بن علي إلاّ أنها امتنعت عليه، فرفع عنها الحصار عائدا إلى تلمسان.

و في سنة 747 مات السلطان أبو بكر الحفصي، و حلّ مكانه ابنه أبو حفص عمر الذي انتفض أخواه أبو العباس و أبو فارس ضده، غير أنه في النهاية قتل أبو حفص عمر أخاه أبا العباس و قطع أيدي أخويه أبي فارس عزوز و أبي البقاء خالد فمات أبو فارس لحينه ثم أجهز على أخيه الآخر فقتله، و نظرا لهذا الوضع المتردي فتحت الأطماع أمام المرينيين، مما جعل أبا الحسن المريني يزحف على إفريقيا، إذ لم يجد امتناعا من سكانها باستثناء مدينة بجاية، مما جعله يرتاب في بقايا الحفصيين، فاتخذ قرار بنفي أفراد العائلة الحفصية، فبعث بمحمد بن أبي زكرياء الحفصي إلى المغرب

الأقصى، و أنزلهم ببلدة ندرومة و اقطع له الكفاف من جبايتها، و الشيء نفسه فعله مع أحفاد السلطان أبي بكر في قسنطينة عندما بعث بهم إلى المغرب و أنزلهم بمدينة وجدة و أقطع لهم جبايتها[218]. ثم واصل أبو الحسن المريني الكفاح من قسنطينة إلى تونس التي استولى عليها، و هكذا دانت له الدولة الحفصية بشقيها التونسي و الغربي، غير أن مقام أبي الحسن المريني لم يدم طويلا ليسترجع الفضل بن أبي بكر الحفصي قسنطينة بعد محاصرتها و كان ذلك في غرة المحرم من سنة 749هـ/1348م، إلا أن مقامه لم يدم طويلا حتى قتل في ظروف غامضة بعد خمسة أشهر و اثني عشرة يوما من انتصابه بعد مؤامرة دنيئة من الحاجب ابن تافراجين الذي نصب إبراهيم بن أبي بكر الحفصي و هو غلام صغير أخ الفضل بن أبي بكر و الذي طلب مبايعة الرعية له و هكذا صار سلطان الدولة الحفصية لعبة بين أيدي ابن تافراجين، و مما مهد لعودة بني مرين لتونس على يد أبي عنان المريني الذي كلف واليه على بجاية بعد احتلالها محمد بن أبي عمرو بغزو مدينة قسنطينة إلا أن صاحب قسنطينة يوم ذاك أبو زيد عبد الرحمن حاول صدهم، إلا أن تصميم أبي عنان على ضم قسنطينة إذ بعد وفاة واليه على بجاية عيّن مكانه في بداية سنة 755هـ/ديسمبر 1354م وزيره عبد الله بن علي بن سعيد و أوكل إليه مهمة إخضاع قسنطينة، و في هذه الأثناء استعان أبو زيد عبد الرحمن بأخيه أبي العباس أحمد الحفصي فقدم هذا الأخير لقسنطينة غير أن

---

[218] ابن خلدون : العبر من ديوان المبتدأ والخبر 813/6.

أخاه أبو زيد عبد الرحمن ترك أخاه بقسنطينة و ذهب لتونس لمجابهة عمهما المستنصر و حاجبه ابن تافراجين، و هكذا بدلا من أن يسند الأخ أخاه ضد العدو المريني راح أبو زيد لمجابهة عمه، و قد رجع خائبا ليجد أبواب قسنطينة مغلقه في وجهه من قبل أخيه أبي العباس أحمد مما جعله يذهب لعنابة مكتفيا بها ثم تنازل عنها لعمه بتونس مقابل العفو عنه و إقامته معززا بتونس، و قد كان له ما أراد، أما في قسنطينة فقد بقي أبو العباس أحمد يصد الحملات الهجومية على قسنطينة ما جعل أبا عنان المريني يقود جيشا عرمرما بنفسه ظل يحضر له عدة أشهر حيث توجه سنة 758هـ لبجاية و منها لقسنطينة و حاصرها مما دعا أبا العباس أحمد الحفصي حاكم قسنطينة إلى الاستسلام و طلب الأمان، حيث نفي فيما بعد إلى سبتة ليعتقل هناك، و هكذا سقط آخر معقل للمقاومة الحفصية بقسنطينة غير أنه بعد وفاة أبي عنان المريني، و مبايعة ابنه الطفل أبي بكر بن أبي عنان جعل أحوال الدولة المرينية تضطرب، مما جعل عمّه أبا سالم المريني يستحوذ على السلطة، و لتخفيف الضغط عليه أوعز أبو سالم المريني لعامله على قسنطينة منصور بن خلوف أن يتنازل عنها و يسلّمها لصاحبها الأصلي أبي العباس أحمد الحفصي فدخلها بالفعل في شهر رمضان سنة 761هـ/1360م ثم اخضع بعد ذلك بجاية، و المسيلة و تونس موحدا بذلك الدولة الحفصية من جديد، معيدا لها هيبتها متبعا في ذلك سياسة الحزم، و مجابهة الأعراب مع استرجاع كل من سوسة، و المهدية و جربة

و الجريد، و قفصة و توزر بعد بسط أبي العباس أحمد سيطرته على ربوع الدولة الحفصية عين ابنه إبراهيم على مدينة قسنطينة، و قد تبرّم من تلك العطاءات التي كانت ترتبها الدولة الحفصية لقبيلة الذواودة، فكان يماطلهم في الحصول عليها، مما جعل زعيمهم يعقوب بن علي يعلن العصيان و يؤلب القبائل، إذ صاروا يغيرون على ضواحي قسنطينة و تلولها و انطلقت أيديهم بالنّهب و انتساف الزروع، ثم يعودون إلى التلول و الهضاب محملين بالأسلاب و الغنائم، و لم يتمكن أمير قسنطينة من ردعهم، إلى أن حالفه القدر بموت زعيمهم يعقوب بن على و استخلاف ولده محمد على الذواودة، غير أنه لم تكن له الحظوة التي كانت لوالده عند القبائل، مما كان سببا في عدم الانصياع له و بالتالي تخفيف الضغط على قسنطينة.

و هنا يجدر بنا التنويه بالجهود العظيمة لموحد الدولة الحفصية أبي العباس أحمد، الذي ازدهرت في عهده الحركة العلمية، و العمرانية، و في ذلك يقول ابن قنفذ: «.... له بالحضرة حسنات دائمات، فمنها إقامة القراءة في الأسبوع بالمقصورة، غربي جامع الزيتونة في كل يوم بالوقف المؤبّد و منها إنشاؤه لسبّالة الماء ببطحاء ابن مردوم بداخل المدينة، و منها بناؤه للبرج الكبير بشرقي بلد قمّرت بالمرسى، و منها رفع التصنيف عن قرى

قرطاجنّة وقت خروج السلطان إلى ذلك المكان، إلى غير ذلك من محامد أفعاله»[219].

بعد هذه الجهود الجبارة التحق أبو العباس أحمد بالرفيق الأعلى في 3 شعبان 796هـ/جوان 1394م و ذلك بسبب مرض النقرس الذي لازمه طويلا، و قد كان عهد بولاية العهد لابنه أبي بكر، غير أن أبناءه اجتمعوا و اتفقوا على اعتقال عمهم أبي يحيى زكرياء حتى لا ينافسهم على السلطة و قد كان ابنه واليا على عنابة فقال أبو فارس لأخيه أبي بكر إن والي عنابة إن سمع باعتقال أبيه سوف يزحف على قسنطينة، و هكذا خير أخاه ولي العهد في أن يمكث بتونس و يسير أبو فارس لقسنطينة أو العكس فاختار ولي العهد أبو بكر السير لقسنطينة و هكذا عقدت البيعة لأخيه أبي فارس عوضا عنه، و هكذا سار أبو بكر لقسنطينة متنازلا عن السلطنة لأخيه أبي فارس، غير أنه لم يمر على عهده و مبايعته لأخيه إلا عشرة أيام، و بمجرد تحصنه بقسنطينة قلب ظهر المجن، و جمع الناس، و طالبهم بمبايعته خالعا بذبك بيعته لأخيه، و بعد مبايعة الناس له خلد لملذاته، و كثرت عليه طلبات الأعراب، ثم حاولوا التواطؤ ضده مع الكاتب ابن الكماد الذي أغرى والي عنابة بغزو قسنطينة، و فعلا جهّز جيشا لغزوها انتقاما لوالده و حاصر قسنطينة مدة خمس و سبعين يوما، غير أن صمود أهلها حال دون استيلاء والي عنابة عليها حيث قفل خائبا لعنابة، ولم يرق هذا الصنيع

---

[219] ابن قنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 178.

السلطان أبا فارس فجهز جيشا عرمرما غزا به عنابة و استولى عليها، و فرّ واليها ابن عمه محمد بن زكريا خفية إلى المغرب الأقصى طلبا لنجدة من سلطان بني مرين، أو أمانا لنفسه إن لم يسعفه بنجدة و كان ذلك بعد هزيمته خلال رمضان 797هـ/جوان 1395م و ما إن علم أبو بكر بانتصار أخيه، و هزيمة ابن عمه حتى ذهب لأخيه أبي فارس معتذرا معلنا طاعته له، و الكف عن الخطابة باسمه على المنابر بقسنطينة، فقبل منه ذلك، غير أنه أثناء عودته لقسنطينة تراجع عن كل فروض الولاء و الطاعة التي تعهد بها لأخيه أبي فارس شاقا عصا الطاعة من جديد، غير أن ابا فارس لم يمهله طويلا إذ في شعبان من سنة 798هـ ناصب قسنطينة بحصار دام عشرين يوما إلى أن استولى عليها و ألقي القبض على أخيه أبي بكر واليها بعد اقتحام أسوارها في 18 رمضان 79هـ/جوان 1395م، هذا الوالي الذي حمل لتونس و زجّ به السجن إلى أن مات في ذي القعدة من سنة 799هـ، و مكث أبو فارس بقسنطينة شهرا ثم ولي عليها القائد نبيل أحد مواليه من العلوج مقصيا بذلك إخوته من كل مسؤولية، و ذلك لفقده أي بصيص أمل في الثقة بهم.

و بخصوص قسنطينة فإن السلطان أبا فارس بعث برئيس دولته محمد بن عبد العزيز بمعية الأمير المنتصر بن محمد المنصور للقبض على رئيس قسنطينة محمد الدهان لما بلغه عنه من معارضة سياسية، و فساد مالي و طغيان وعتو و لتحاشي الصدام معه لما له من أنصار و أتباع، فقد تظاهر

المبعوث إلى قسنطينة أن الهدف من إرساله عزل القائد بقسنطينة جاء الخير و تنصيب الأمير المنتصر قائدا لقسنطينة عوضا عنه فانطلت الحيلة على الحاج محمد الدهان فخرج لملاقاتهم فرحا مستبشرا فألقي القبض عليه و على من خرج معه، و أرسل مكبلا في الأغلال إل تونس، و هذا الأمر لم يعجب قبيلة الذواودة و اعتبروا ذلك انتصارا للعلج جاء الخير، فثاروا عليه بعد سنة و قتلوه، فعين أبو فارس على قسنطينة مملوكه محمود.

و مما يستغرب له أن أبا فارس لم يعقد ولاية العهد لأحد من أبنائه و إنما عقدها لحفيده محمد المنتصر الذي بايعه أهل قسنطينة و قرئ نص البيعة على الملأ بالجامع الكبير، و ذلك بعد وفاة أبي فارس في 22 رجب 833هـ/أفريل 1430م، و كان مما قام به السلطان الجديد محمد المنتصر بعد وفاة جده، و حصول البيعة له أن شرع في تغيير بعض الولاة، فعين على بجاية عمّه أبا الحسن علي بن أبي فارس، كما عزل القائد محمود عن قسنطينة، و عين مكانه أخاه أبا عمرو عثمان، مبعدا بذلك كل المشبوه في عدم ولائهم له.

و لم يطل مقام محمد المنتصر في السلطة إذ وافاه الأجل بعد أربع سنوات من توليها أي في 10 ذي الحجة 837هـ/18 جويلية 1834م فبويع مكانه شقيقه أبو عمر عثمان، و ذلك صبيحة وفاة أخيه على رضى من العامة و الخاصة، و ذلك نتيجة السمعة التي أحرزها ضد أولاد ابن أبي الليل المناوئين للسلطة الحفصية، لكن انهزام ابن أبي الليل لم يكن فرار هزيمة

في معركة الكرومة، بل توجهوا إلى بجاية التي أعلنت الثورة في وجه أبي عمرو عثمان، بجاية التي كانت تحت ولاية عمه علي بن أبي فارس عبد العزيز الذي كان يرى أولويته بالملك من ابن أخيه، فتوجه إلى قسنطينة قصد احتلالها بعد انضمام ابن أبي الليل لها حيث حاصرها شهرا، إلاّ أن حاميتها بقيادة العلج نبيل بن أبي قطاية أمكن لها أن تصمد، و لما يئس من إخضاعها توجه إلى تونس، حيث ازدادت في هذه الفترة الحروب ،والفتن ،وبروز انقسامات الأعراب،فقد انقسمت الذواودة بين العم وابن أخيه ،كما تحالف السلطان أبو عمرو عثمان مع أولاد مهلهل ،يضاف لهذا كله أن محمد بن سعيد بن صخر زعيم بني سلين بقي يشاغب والي بجاية الجديد أبي فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي عمرو عثمان ،الذي حكم بجاية مكان عم أبيه علي بن أبي فارس عبد العزيز ،وقد قاومه والي بجاية الجديد وألجأه للفرار ،غير أن السلطان عثمان يعلم أنه سيعود للمشاغبة في يوم ما فتوجه بنفسه إلى بجاية ، سالكا مع محمد بن سعيد بن صخر سبيل المحاورة والمفاوضة،باعثا إليه بالأمان ،فاستجاب لذلك ،وقدم عليه راغبا في الطاعة فأكرمه ،وأتى به وبجميع أهله إلى تونس ،وأسكنه بها ، وأعطاه ما يقوم به وفي طريق عودة السلطان عثمان من بجاية إلى تونس عرج على قسنطينة لتغيير قيادتها فعزل القائد فارح ،وولى عليها القائد ظافر بن جاء الخير ،وكان ذلك في مفتتح سنة 864 هـ /نوفمبر 1459 م ،هذا وقد طال حكم السلطان عثمان إذ مات ولي عهده ابنه محمد المسعود قبله وذلك في شعبان

من سنة 893 هـ /صيف 1488 م ،فبادر السلطان عثمان إلى تعيين ولي عهد جديد يتمثل في حفيده أبي زكريا يحي بن محمد المسعود ،الذي كان إذ ذاك يشغل إمارة قسنطينة ،وفي السنة نفسها ، وبالضبط في رمضان من سنة 893 هـ ،أي بعد شهر من وفاة ولي العهد الأول محمد المسعود توفي السلطان عثمان ،فبويع بالسلطنة بعده حفيده يحي الذي كان واليا على قسنطينة قبل ولاية العهد .

يقول محمد العروسي المطوي : " مهما يكن فإن تاريخ السلطنة الحفصية بعد وفاة السلطان عثمان دخل في فترة غموض ،وفتن داخلية ،وأوبئة جارفة وما أن بويع الحفيد بالسلطة حتى ثار عليه ابن عمه عبد المؤمن بن إبراهيم وهربت جماعة من الجند ،ودخلت البلاد في وضع غامض ،وأخبار متناقضة متضاربة "[220] .

ورغم هذه الفتن استمر السلطان يحي في الحكم إلى غاية وفاته بالطاعون سنة 899 هـ ،ليحل محله أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود الذي تجاوز حكمه الثلاثين سنة أي من سنة 899 هـ م/ 1494 م إلى 922 هـ / 1525 م ،لتنهار بعدها السلطة الحفصية أمام الخطر الإسباني الداهم ، وتطوى صفحتها، ويعمى أثرها ،وينقطع خبرها[221] .

---

(220) محمد العروسي المطوي :السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي 641 .

(221) المرجع نفسه، 647 ـ 649 .

المبحث الثامن

الحملة المرينية على قسنطينة

بعد استيلاء أبي عنان المريني على بجاية ملحقا بسلطنتها مدن الجزائر و متيجة و المدية، و مبايعة مشايخ الذواودة له على السمع، و انقياد والي بسكره و نواحيها من الجنوب الشرقي له، إذ وفد عليه يوسف بن مزني والي بسكرة إلى المدية مبايعا، و بهذا لم يبق لأبي عنان من الحفصية الغربية خارجا عن نفوذه سوى قسنطينة، فأمر واليه على بجاية محمد بن أبي عمرو بغزوها و كان عليها يومها الوالي الحفصي أبو زيد، الذي تحصن بها، محاولا صد الحملات المرينية على قسنطينة التي انتصر في الكثير منها، بل لم يكتف بذلك، إذ صادف أن كان محبوسا عنده أخو أبي عنان المدعو عمر تاشفين و قد كان في عقله خبل، فأخرجه من السجن و أعلنه سلطانا مرينيا نكاية في أبي عنان، إلاّ أنّ ذلك لم يدم طويلا حتى وقعت بينه و بين المرينيين هدنة

سلم بمقتضاها عمر تاشفين لوالي بجاية، و الذي سلّمه بدوره لأبي عنان الذي وضعه تحت الإقامة الجبرية، و في مفتتح سنة 755هـ/ديسمبر 1354م مات والي بجاية ليعين أبو عنان خَلَفًا له عبد الله بن علي بن سعيد موكلا إليه مهمة القضاء على السلطة الحفصية بقسنطينة، و لما شعر أبو زيد الحفصي بشدة الضغط المريني عليه استنجد بأخيه أبي العباس أحمد الذي كان بتونس قصد إخماد ثورة عمهما المستنصر و حاجبه ابن تفراجين و لما قدم عليه أخوه تركه بقسنطينة و خرج أبو زيد بنفسه لمحاربة عمّه و حاجبه بتونس، إلاّ أنّه انهزم هزيمة نكراء فرجع قافلا لقسنطينة التي وجد أبوابها موصدة من قبل أخيه أبي العباس أحمد الذي استبدّ بها دون أخيه فتوجه إلى عنابة مسلّما إياها لعمّه المستنصر مقابل تأمينه و إسكانه بتونس فكان له ما أراد[222].

وفي عهد أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي يحيى الوالي الحفصي على قسنطينة سير أبو عنان المريني طلائع جيشه بقيادة وزيره ابن ودرار قصد غزو قسنطينة، حيث حاصرها و تمكن من نقب باب القنطرة، إلاّ أنّ استماتة أهلها حال دون إخضاعها إلى أن وصل أبو عنان بنفسه لغزو قسنطينة،حيث بقي مصرا على غزوها لأنّه يعلم أنّه لا يمكنه غزو إفريقية إلاّ بإخضاع الحفصية الغربية، فحشد لذلك جيشا سنة 758هـ و توجه به إلى بجاية و منها مباشرة لمحاصرة قسنطينة إلى أن طلب أميرها أبو العباس أحمد

---

[222] محمد المروسي: السلطة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي. 422-426.

الأمان فكان له ذلك، و بذلك استولى أبو عنان على كامل الحفصية الغربية، و بهذا صارت قسنطينة حاضرة مرينية[223].

وسبب طلب الأمير الحفصي ،وكذا أهل قسنطينة الأمان لما رأوا من جحافل جيش أبي عنان الذي لا قبل لهم به، فما كان من أميرهم إلاّ أن طلب من يتناول الحديث مع أبي عنان و يخبره بطلب الأمان، فتوجه إليه الوزير ابن ودرار حتى سمع منه، و رفع أمره للسلطان الذي عفا عنه، فرجع له الوزير بالبشارة، و في الحين وجّه أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي يحيى الوالي الحفصي على قسنطينة أخاه الفضل شاكرا لأبي عنان، ثم بعد فترة خرج الأمير أبو العباس إلى المحلاّت المنصورة حيث دخل إلى بساط أبي عنان صاغرا ذليلا، فخلع عليه و على أخيه و ذويه من كرمه و عفوه و عطائه و بعد خلع أبي العباس عن قسنطينة عيّن أبو عنان عليها الشيخ أبا علي منصور بن الحاج خلوف[224].

و قد خلدت هذا النصر المريني عدّة قصائد قيلت بمناسبة فتح أبي عنان المريني لقسنطينة منها:[225]

ومن قصيدة للفقيه العدل الكاتب أبي العبّاس بن النعمان و هذا أوّلها:

---

[223] المرجع نفسه . 427-446.

[224] ابن الحاج النميري: فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب. 288-289، 308-313.

[225] المصدر نفسه، 321-322.

تجد له الأقدار تخدم و الدهر ؟ هل الفتح إلاّ ما تسنى أو النصر

و قال فيها في وصف قسنطينة:

ولما أتى مولى الملوك بأسرهم و ذخرهم ما أن سواك لهم ذخر
و أقبلت الأبطال من كل جانب و دار بها من حينه العسكر المجر
توقع من فيها اللّحوق برمسه و حل بهم خوف و داخلهم ذعر
و أقبل في يوم النزال أميرها على قدم يسعى و قد خانه الصبر
فأوسعه المولى الخليفة فارس إمام الهدى عفوًا و إن عظم الوزر
فهذي بلاد الشرق أعطت قيادها و ما بقيت إلاّ بلاد بها الكفر
فمهنيك أن الله آتاك نصره و ملكك الدنيا امتنانًا له الشكر
بقيت مكين القدر منظوم أسعد مسوغ نعمى كلما طلع الفجر

و من قصيدة للكاتب أبي عبد الله بن حزب الله:

قسنطينة لما تمنع أهلها قضى الله أن يشقوا زمانًا و لم تشقا
وحين تراءت غرّة النصر أذعنوا و طارت لنور العدل أنفسهم سبقا
فكلّهم قد أطلقوا من عقالهم و حصرهم لما رأوا وجهك الطلقا

و للفقيه أبي محمد بن البرطال أحد شهود البيت الكريم من قصيدة هذا أوّلها:

هي السعادة قد طوقتها حللا فأدّت لك العزّ في الدارين و الأملا
و سوغتك من الأطاف أعذبها بإذن من يمنح المسؤول إن سُئِلا
و صافحتك يد التوفيق معلنة بأن نصرك لا ينفكّ متّصلا

و إنك الملك المولى الذي كرّمت آثاره فسرت بين الورى مثلا
هذي قسنطينة نالت مسرتها منكم و سكانها قد أصبحوا خولا
من بعد ما ضاق ذرعًا بالحصار لها جميعهم و رأوا باب الردى قبلا

و هذه القصيدة للفقيه القاضي – كان بأنفا – أبي علي عمر الزناتي :

أمولاي دامت لك التهنئه بعزّ الفتوح الوسام الشِّيَهْ
هنيئًا بفتح قسنطينة و في فتحها للمنى توطيه
و قد عمّ عفوك في أهلها و لو شئت عممتم الترديه
شجايا تزيد العلى رفعة و تذكي أحاديثها الأندية
و هذا بشير مشير بما يواليه من فتح أفريقيه

و بعد فتح قسنطينة و خروج أميرها الحفصي أبي العباس إلى المحلة المنصورة بأهله و ولده و ذويه و مقربيه، و قد بنيت لهم أبنية، و عمهم عطاء أبي عنان دون حساب، غير أن بعضهم هرب من المحلّة ملتحقين بابن تفراجين الذي كان حاجب أبي العباس، حيث كان هذا الأخير أيام ولايته على قسنطينة لعبة في يده لا يصدر إلاّ عن أمره و رأيه، و كان ممن شق عصا الطاعة من الأعيان حسن بن خلف بن باديس الذي ولاه أبو عنان الخطابة و صلى خلفه بقسنطينة، و أخيه أبي القاسم، إلاّ أنّ جيوش أبي عنان كانت للمناهضين بالمرصاد، إذ قتلت من قتلت، و ألقي القبض على البعض الآخر حيث نفوا إلى فاس، ثم عفا عنهم أبو عنان، حتى شبهوا بعد عفوه بمن يساق إلى الجنة بالسلاسل، ولم يكتف أبو عنان بذلك إغداقا من

فضله و نبله على أهل قسنطينة أن جعل شيخهم حسن بن خلف الله بن القنفذ في الخدمة، و وفّر حظه من النعمة، حتى أنشد لسان ذنبه قائلا: إنما يغفره العظيم للعظيم[226].

و مما قام به أبو عنان بعد فتحه لقسنطينة و استيلائه عليها أن تصدق بمال وفير على الفقراء و المساكين من أهل قسنطينة، حتى لم يبق فيها من يشكو الإقلال و الإقتار، كما أمر أن يكسى شيوخ مساجدها مرّة في كل عام، و أن يختن أولاد الفقراء في كل عاشوراء، و أن تعطى للفقراء و المساكين أضحياتهم في عيد النحر، و أن تقام في ليلة مولد النبي – صلّى الله عليه و آله و سلّم – مواسم الأفراح، و توقد الشموع، و تقام الاحتفالات بالمدائح، و أمر أيضا بأداء الديون عن المسجونين الذين عجزوا عن الأداء، و أن يجرى على المسجونين الضعفاء ما يقيم أودهم، و يخفّف كدرهم، و صدر بهذا كله مرسوم ملكي قرئ على الناس في المساجد، كما قدم من أهل قسنطينة صاحب صلاة يحض الناس على أدائها في الجماعات، و ينبه الغافلين عن السعي لأدائها، و يقيم شعائر الإسلام في الأوقات المطلوبه، و يجعل على التاركين للصّلاة عيونه و أرصاده، و يعاقب على ذلك العقاب الذي يوطد الدين و يرفع عماده، فصلحت بذلك أمور دينهم و دنياهم[227].

---

[226] المصدر نفسه، 326-330.

[227] ابن الحاج النميري: فيض العباب و إضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب. 331-334.

غير أنّ سيطرة المرينيين عليها لم تدم طويلا إذ عادت قسنطينة إلى أحضان السلطة الحفصية في شهر رمضان سنة 761هـ/1630م بسبب معطيات عديدة أهمها:[228]

1- فشل بني مرين في مواصلة السيطرة على الحفصية الشرقية بعد غزو تونس التي لم يطل مكثهم بها، إذ سرعان ما غادرها أبو عنان لفاس.

2- انتفاض قبائل بني رياح ضد جيوش أبي عنان، التي تخاذلت أمام سطوة هذه القبائل التي بايعت أبا عنان في البداية، ثم شقت عصا طاعته على عادة الأعراب الذين شعروا بأن أبا عنان سيهدد مصالحهم القائمة على النهب و السطو.

3- موت السلطان أبي عنان المريني المفاجئ.

4- سعي الحاجب ابن تافراجين لتوحيد الحفصيتين، و استنجاد أهل بجاية به ليخلصهم من السلطة المرينية بقيادة يحيى بن ميمون، فقدم عليهم السلطان الحفصي أبو إسحاق إبراهيم مجهزا بالسلاح و العتاد تاركا حاجبه بتونس لتقع بجاية بين يديه فريسة سائغة، و يرسل بواليها المريني يحيى بن ميمون أسيرا إلى تونس ليودعه ابن تافراجين السجن، ثم ينفى للمغرب الأقصى.

5- عودة أبي سالم إبراهيم المريني الذي نفاه أخوه أبي عنان إلى غرناطة باحثا عن مناصرين فوجد في الوالي الحفصي على قسنطينة أبي العباس أحمد سندا

---

[228] محمد العروسي: السلطة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي. 427-446.

له شريطة إعادته على عرش قسنطينة إن انتصر أبو سالم إبراهيم في حربه و توج سلطانا مرينيا، كما أنّ أبا سالم إبراهيم المريني لما دخل فاس أخرج من السجن والي بجاية الحفصي محمد أبي عبد الله اللذين كانا له نعم النصير في غزوه لتلمسان، و تحقيق طموحاته في الوصول إلى الحكم، فكافأهما بأنّ ردّ كلاّ منهما لعمله الأصلي، و هكذا عادت السيادة الحفصية على قسنطينة و ذلك برجوع أميرها أبي العباس أحمد متوجا على رأسها، أمّا أبو عبد الله محمد والي بجاية، فقد وجد أبا إسحاق إبراهيم الحفصي صاحب تونس قد سبقه إليها، و بعد سجالات، و ثورات عادت بجاية لواليها السابق أبي عبد الله محمد، و بهذا تطوى صفحة التواجد المريني بقسنطينة.

الفصل الرابع

قسنطينة في العهدين العثماني والفرنسي

وسنتناوله من خلال المبحثين الآتيين :

المبحث الأول

قسنطينة في العهد العثماني

في بدايات القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي دخل الأتراك الجزائر، و استقر نفوذهم بها، و طمحوا إلى امتلاك قسنطينة سنة 1517م-923هـ ،حيث هاجمها حسن قائد خير الدين سنة 1519م أو سنة 1520م-925هـ و احتلها، ثم خرجت عن الترك و دخلت تحت الحكم الحفصي و كان فيها ممثلهم سنة 1526م-933هـ ،ثم استردها الترك سنة 1534م-940هـ ،و قاومهم الحفصيون و بعض القسنطينيين فخرجت قسنطينة عن حكمهم إلى أن استردوها سنة 1567م-974هـ أو سنة 1568م-975هـ و طردوا عنها الحفصيين ثم خرجت عنهم أيضا و عادوا فاستردوها و حكموها إلى أن ثار عليهم القسنطينون سنة

1572م-979هـ و استطاع الترك بعد ذلك أن يقهروهم و أن يخضعوا أسرة بني عبد المؤمن التي كانت تتزعم المعارضة ،و منذ ذلك التاريخ استقر نفوذ الترك بقسنطينة، و قد اعتبر المؤرخان: أحمد بن المبارك و صالح العنتري بداية الحكم التركي من هذا الاستقرار وفي سنة 1642م-1052هـ لما ثارت القبائل على الترك عاون القسنطينيون الترك ،و في سنة 1637م-1046هـ حكم الباي فرحات قسنطينة ،و نالت على عهده هدوءا و استقرارا، و دامت قسنطينة على العموم تتمتع بحكم قوي إلى أن قتل صالح باي سنة 1792م-1207هـ ، فأخذت في التراجع بعد ذلك و جاء بعده 17 بايا - من سنة 1792 إلى سنة 1826م - كانوا جبارين، فوقع الاضطراب في قسنطينة و نقصت التجارة و توقف العمران و زاد ذلك بلاء ثورة ابن الأحرش الذي هاجم المدينة 1804م و أخذ بعض أبوابها ، و تبع هذه الفتنة هجوم الجيش التونسي عليها بقيادة سليمان كاهية سنة 1807م ،نائب حمودة باشا حيث حاصرها مدة شهر فدافعته المدينة، و جاءتها نجدة من الجزائر فانهزم الجيش التونسي و أسر منه نحو 1127 جنديا و غنمت معداته الحربية ،وكان آخر باي تولى حكمها هو أحمد باي و كان رجلا يقظا حازما، و استقل بالحكم في قسنطينة بعد احتلال مدينة الجزائر.[229]

---

[229] رابح بونار : قسم الدراسة من تحقيقه لكتاب أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة 19 - 20.

وإليك هذا الجدول التوضيحي المبين لفترة وجود الأتراك بقسنطينة ،ممثلا في البايات الذين حكموا قسنطينة ،وإبراز فترة كل منهم في العهد التركي : (230)

جدول توضيحي للبايات الذين تداولوا على حكم قسنطينة :

المرحلة الأولى	
من 1525 إلى 1567، أسماء الولاة (و القياد) الذين حكموا غير معروفين عندنا	
1568م-975هـ	**رمضان باي تشولا**
تاريخ مجهول	**جعفر باي**
مات تحت أسوار بونا (عنابة) في 1016هـ-1607م	**محمد بن فرحات**
مات بالطاعون في 1031هـ-1622م	**حسن باي**
1047هـ-1637م	**مراد باي**
من 1639 إلى 1647، ثورات، و فوضى	
المرحلة الثانية	

(230) راجع هذه الجداول هي : أوجين فايست :تاريخ بايات قسنطينة في العهدالتركي 1792 ـ 1837.

1057هـ-1647م	فرحات باي بن مراد باي
1063هـ-1653م	محمد باي بن فرحات
1077هـ-أكتوبر 1666م	رجب باي (شهر ربيع الثاني)
1083هـ-1672م	خير الدين
(10-20: شهر صفر 1087هـ/20-30: أفريل 1676م)	عبد الرحمن المدعو دالي باي
1090هـ-1679م	عمر بن عبد الرحمن المدعو باش آغا باي
1099هـ-سبتمبر 1688م	شعبان باي (في شهر ذي القعدة)
1104هـ-1692م	علي خوجة باي
1112هـ-آخر 1700م	أحمد خوجة باي
1114هـ-1702م	إبراهيم العلج
1119هـ-1707م	حمودة باي
1120هـ-1708م	علي باي بن حمودة
1121هـ-1709م	حسين شاوش باي
1122هـ-1710م	عبد الرحمن باي بن فرحات

1122هـ-1710م	حسين المدعو نقزلي باي
1122هـ-1710م	علي باي بن صالح
1125هـ-1713م	كايان حسين باي
1149هـ-1736م	حسين باي بن حسين المدعو بوحنك
1167هـ-1754م	حسين باي المدعو زرق عينه
1185هـ-1771م	صالح باي بن مصطفى
إبراهيم باي المدعو بو الصبع - يحكم ثلاثة أيام من 18 ذو القعدة 1206 إلى 02 محرم 1207هـ/17-20 أوت 1792م	
صالح باي مرة ثانية من 2 إلى 15 محرم 1207هـ/20 أوت إلى 1 سبتمبر 1792م	

1792م	01 سبتمبر	الموافق	1207هـ	سنة	حسين باي بن بوحنك
1795م	فيفري	الموافق	1209هـ	سنة	مصطفى الوزناجي
1798م	جانفي	الموافق	1212هـ	سنة	حاج مصطفى

					إنجليز باي
1803م	ماي	الموافق	1218هـ	سنة	عثمان باي
1804م	نوفمبر	الموافق	1219هـ	سنة	عبد الله باي
1806م	ديسمبر	الموافق	1221هـ	سنة	حسين باي
1807م	أوت	الموافق	1222هـ	سنة	علي باي
1808م	سبتمبر	الموافق	1223هـ	سنة	أحمد شاوش القبائلي
1808م	أكتوبر	الموافق	1223هـ	سنة	أحمد طوبال باي
1811م	فيفري	الموافق	1226هـ	سنة	نعمان باي
1814م	مارس	الموافق	1229هـ	سنة	محمد شاكر باي
1818م	جانفي	الموافق	1233هـ	سنة	قارة مصطفى باي
1818م	فيفري	الموافق	1233هـ	سنة	أحمد باي المملوك
1818م	آخر شهر أوت	الموافق	1233هـ	سنة	أحمد باي الميلي
1819م	شهر	الموافق	1234هـ	سنة	إبراهيم باي

	جوليت				الغربي
1820م	أوت	الموافق	1235هـ	سنة	أحمد باي المملوك (مرة ثانية)
1822م	جوليت	الموافق	1237هـ	سنة	أحمد باي القريتلي
1824م	ديسمبر	الموافق	1240هـ	سنة	محمد باي مناماني
1826م	أواخر شهر أوت	الموافق	1242هـ	سنة	الحاج أحمد باي

حدود بايلك قسنطينة في العهد العثماني : [231]

و في العهد العثماني كانت حدود البايلك على الشكل التالي:

من الشمال البحر ابتداء من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية التي لم تكن هي و حوض وادي الساحل الغربي يدخلان ضمنه.

و من الشرق الحدود التونسية التي تبدأ من طبرقة على البحر و تمتد إلى الجنوب عبر تبسة حتى واحات وادي سوف.

---

(231) محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة 26 ـ 27.

و من الغرب جبال البيبان، و قرى: بني منصور، و سفوح جبال جرجرة الشرقية و الجنوبية، إلى برج حمزة، و قريتي: سيدي هجرس و سيدي عيسى اللتين تفصلانه على بايليك التيطري في الجنوب الغربي.

و من الجنوب الصحراء الكبرى غير المأهولة جنوب واحات وادي سوف وتقرت ، و ورقلة، و مزاب.

و يحكمه نائب عن الباشا بالجزائر العاصمة يحمل لقب الباي، و قسم إداريا إلى أربعة أقسام على كل منها حاكم مستقل عن الآخر يخضع مباشرة للباي بقسنطينة و هي: القسم الشرقي و يشمل مواطن الحنانشة وادي زناتي، و عامر الشراقة، و من أبرز زعمائه الأحرار كبار الحنانشة.

و القسم الشمالي الذي يمتد من عنابة إلى بجاية، و من أبرز زعمائه أولاد بن عاشور في فرجيوة، و أولاد ببن عز الدين في الزواغة.

و القسم الغربي و يمتد من سطيف إلى جبال البيبان و قرى بني منصور و ونوغة، و من أبرز زعمائه أولاد مقران بقلعة بني عباس و مجانة.

و القسم الجنوبي و أهم زعمائه الدّواودة، و أولاد بن قانة.

و سكان البايليك من العرب، و القبائل، و الشاوية، تربط بينهم العقيدة الدينية الإسلامية و اللغة، و العادات و التقاليد، و المصير المشترك كذلك.

و يحكمهم قواد و شيوخ يخضعون للباي مباشرة أو بعض خلفائه الذين يساعدهم الكتاب و المكاحلية، في زمالاتهم. و يبلغ عددهم حوالي 35 شيخا، و قائدا و حاكما.

بعد إعطائنا لصورة تقريبية لفترة الحكم التركي بقسنطينة ،والبايات الذين حكموها أثناءه ،وحدودالبايلك القسنطيني ،نقول :إن المتتبع للمصادر والمراجع المهتمة بقسنطينة وتاريخها ،تكاد تجمع أن أزهى أيامها في العهد التركي كانت في عهد صالح باي .

قسنطينة في عهد صالح باي [232]

كانت قسنطينة في بداية القرن الثامن عشر، لا يرى فيها الزائر إلا مجموعة مبعثرة من المنازل تكتسي بمظهر الأكواخ لا مظهر الديار، تشقها أزقة ملتوية، مظلمة، معقدة، تعلوها من هنا و هناك منارات بجانب حصون قديمة مثلومة، و أقواس، و أطراف الأسوار الضخمة ،ولم يكن صالح باي الذي يحب الأبهة و العظمة في كل شيء ،ذلكم الرجل الذي يترك ناقصة إصلاحات شرع فيها بقوة لتزيين العاصمة، و عليه كان يتفرغ لهذا العمل كلما وضعت الحرب أوزارها و سمحت له بذلك.، ومن مظاهر إصلاحاته العظيمة ما يأتي :

أولا ــ الاهتمام بالعمران : ومن ذلك أنه بنى لنسائه تلك العمارة الكبيرة التي لها داخل زاه و جميل، و هو ما جعلها في تناقض كبير مع القوس المظلم الذي يؤدي إليها، و مع الجدران العالية التي تتخللها فتيحات مزودة بشبابيك تعزلها عن المساكن المجاورة و لكن التزيين يدعو إلى التزيين

---

(232) ملخصا من أوجين فايست : تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي من 1792 ـ 1837 .46 ـ48 ، و52 ـ 56 ، و59 ـ 61 ، و66 ، و82 ـ83 ،و91 ،و101 ـ 102 .

و الأراضي التي تمتد إلى ما وراء ذلك بين المستودع ، و باب القنطرة و الوهد، و الذي كان يسمى حي الشارع، كان يظهر بوجه كآبة و حزن و يرى في الأسفل بعض الديار ذات المظهر البسيط التي التفت حول مسجد سيدي سفار و سيدي تلمساني،و كان الباقي كله صحراء لا يرى فيه الناظر إلاّ أكمات و ثغرات، ولا شك أن مثل هذا الجوار لا يتلاءم مع عظمة و بذخ البنايات التي أبرزتها يد صالح باي إلى الوجود بجانبها، ففكر في تغيير وجه هذه الأماكن، مع إمكانية استعمالها في توسيع المدينة، و على ذلك الوقت كان اليهود متفرقين في كل الأحياء، و خاصة في جهة باب الجابية ، حيث كانوا مختلطين مع السكان المسلمين. فتنازل لهم عن هذه الأراضي كلها شريطة أن يبنوا فيها ديارًا، و هكذا، و برضى الجميع، تكوّن حي اليهود.

ثانيا ـ الاهتمام بالمؤسسات التعليمية و المراكز الدينية: إن التعليم كان إحدى الاهتمامات الدائمة لصالح باي ، و قد وجد مساعدًا له في ثلاثة من الراسخين في العلم هم عبد القادر الراشدي ،المفتي الحنفي و شعبان بن جلول،القاضي الحنفي ،

و العباسي ،القاضي المالكي الذين ضموا جهودهم إلى جهوده لرفع الذوق في الدراسات العميقة و الآداب التي تتدهور يومًا بعد يوم ،ومن مظاهر اهتمامه بالدين والعلم أن فكرته الأولى هي أن يبني مسجدًا لعبادة الله و مدرسة لتزويد الشباب بعلم عال. و تحقيقًا لهذا الغرض شرع في بناء

مسجد سيدي الكتاني، و المدرسة الملحقة به، وكذا أمره ببناء مدرسة أخرى في سنة 1789م بقرب مسجد سيدي لخضر والتي أصبحت فرعًا له.

ثالثا ـ استرجاع أموال الأوقاف والأحباس : فبالنسبة لمدينة قسنطينة حيث كانت الأحباس هامة جدًّا، كان لابد من اتخاذ إجراء حاسم بكل سرعة لوضع حد للفساد الكبير الذي تسرب على طول الزمن إلى إدارة تلك الأملاك ، فاتخذ صالح باي قرارا في هذا الشأن في العقد الثاني من شهر ربيع الأول سنة 1190 هجرية الموافق لفاتح أفريل 1776 ميلادية ألزم بمقتضاه القضاة و رجال الإفتاء بالبحث عن كل أملاك الحبس الذي وقفت على المساجد نفسها التي حولت عن المقصود الأول التي وهبت من أجله و أن يسجلوا نتيجة بحثهم في دفتر أو سجل متماسك يكون على أربعة نسخ توضع نسخة عند مسؤول بيت المال، و الأخرى عند شيخ البلد، و الثالثة عند القاضي الحنفي، و الرابعة عند القاضي المالكي. و هذه هي أنجع وسيلة لوضع حد للفساد الذي تسبب في إصدار مثل هذا القرار الرشيد، و قطع دابره إلى الأبد .

رابعا ـ الاهتمام بالفلاحة : إن صالح باي، و هو يسعى إلى نشر حب البناءات الجميلة بين سكان المدن، و إلى بعث روح الدراسة و التعليم فيهم، لم يتهاون في تقديم التشجيعات للفلاحة، و الاشتغال في الحقول الجميلة ، والحدائق الغناء ،ولأدل على ذلك من الحديقة الجميلة التي أقامها أمام الباب الرئيس للدخول إلى قسنطينة على تلك الواحة الجميلة ، التي

تظهر للعيان على بعد بضعة كيلومترات غربي المدينة في آخر خاصرة لجبل شطابة ،و التي اتخذ منها ريفه المسلّي ، كما شجع على زراعة الأرز بالحامة و أقام نوريه تحت المكان الذي كانت توجد فيه رحى طراكلي (Trakley)،لسقي المزروعات التي زرعها بنفسه و في عنابة أسس أحباسًا يخصص دخلها لحفر قنوات تفرغ بواسطتها المياه المتحجرة في السهل و تصب في وادي سيبوس ، و علاوة على ذلك فقد كان يتنازل عن الشلالات لكل من يقدم طلب رخصة لبناء رحى، و هي صناعة ضرورية جدا، و مع ذلك تكاد تكون مفقودة في هذا البلد

خامسا ـ الاهتمام بالتجارة : لقد اعتنى كذلك بالتجارة الخارجية لأنه أدرك أنه يجب عليه أن يضاعف المبادلات و يسهل تسويق منتوجات المقاطعة،قصد العمل على إغناء المنتجين و الخزينة العامة في آن واحد،حيث عيّن وكيلاً على كل مرسى في كل من القل،وستورة، وعنابة ،و القالة لضمان دخل المبالغ المجتباة للبايلك من ذلك المصدر.

و كلف الوكلاء بقبض رسم الدخول و الخروج على البضائع المتبادلة بانتظام. و هكذا ضاعف موارد الخزينة دون استغلال رعاياه، و استطاع أن يواجه كل المصاريف التي اقتضتها الإنشاءات ذات المنفعة العمومية التي برزت إلى الوجود في المقاطعة.

سادسا ـ الشروع في بناء الجسر المسمى بجسر القنطرة : إن من الإنجازات الخيرة لصالح باي و التي كانت بالنسبة لسكان قسنطينة ذات

فائدة لا مثيل لها إعادة بناء الجسر المسمى جسر القنطرة، و الذي تألم لعدم إتمامه بنفسه.

و كانت هذه الإصلاحات التي أدخلها هذا الأمير في الإدارة بصفة عامة، و في التعليم الابتدائي بصفة خاصة، و لو أنها مستوحاة من روح الحب للأملاك العمومية، غير أنها كانت قد اصطدمت مع بعض الأحكام المسبقة، و كانت قد تسببت في أضرار لبعض المصالح الفردية و كانت طبقة خاصة هي طبقة المرابطين الذين ينتسبون في معظم الأحيان إلى الزوايا التي هي بمثابة الجمعيات السرية للعالم الإسلامي،يستند نفوذها على الطاعة العمياء (للأشياخ) التي هي وليدة الجهل، كانت هذه الطبقة تنظر بشيء من الحسرة و الغيظ إلى الجهود التي يبذلها صالح باي في نشر التعليم و تعميمه حتى إلى أبعد القبائل، و محاولة تبديد ظلمات الجهل. و من هنا بدأت بعض الأحقاد تنشأ في القلوب، و لم يتجرأ أحد للإعلان عنها لأن الحماس الذي أثارته الانتصارات الحربية، و الإصلاحات المجيدة التي كانت طبعت السنوات الأولى من عهد هذا الأمير، قد انقلبت بعد أن أخذ نجمه في الأفول إلى عدوان سافر، و من جملة هؤلاء الساخطين تميز غيظ المرابط سيدي محمد بانتقاداته اللاذعة، و ذمّه و قدحه الشديد، و كان هو أول من تجرأ على مجابهة غضب الباي معتمدًا في ذلك على عدم تعرضه للعقاب، فدسّ الدسائس ضده محاولاً جرّ (الإخوان) إلى صف المعارضة و ذلك لما كانت تنطوي عليه أنفسهم من استعداد لمساعدته ،بل كانت

شهرته و شعبيته الواسعة، التي يتمتع بها ترفعه إلى درجة (القداسة) و جعلته يعتقد بأنه باستطاعته أن يتجرأ على فعل كل ما بدا له، إلا أن صالح باي ما كان ليسمح بذلك، و لما تيقن بأن هذا الرجل التقي، كان يسعى لإقصائه من الحكم، و تبين له أنه واحد من الرعايا شق عصا الطاعة حتى حكم عليه بالإعدام ،و في الساعة المحددة، و بالرغم من توسل العلماء و بالرغم من الشعور العميق الذي أثاره هذا الحكم في المدينة، فقد تم تنفيذ الحكم بحضور كل السكان الذين جمعوا لهذا الغرض، و لكن الأسطورة تضيف أنه في الوقت الذي سقط فيه رأس المرابط إلى الأرض المضرجة بالدم، تحول الجسم إلى غراب، و حلق طائر الشؤم هذا نحو دار التسلية التي أمر الأمير ببنائها في المكان المواجه للمدينة، و ألقى اللعنة عليها. و كان لصالح بقايا في نفسه من التطيّر، ، فندم على فعلته، و أمر ببناء مسجد عليه قبة بيضاء في المكان الذي نزل فيه الغراب، و ذلك تخفيفًا لروح ضحيته، و يطلق عليه منذ ذلك الوقت اسم سيدي محمد الغراب.

كما أن الشيخ سيدي أحمد الزواوي الذي كان صديقًا و مستشارًا لصالح باي مدة طويلة، قد انعزل عنه شيئا فشيئًا لينظم إلى صفوف أعدائه و قد انسحب إلى جبله أوزقار، حيث أصبح هو المركز الذي يقصده كل الساخطين ، و بعد أيام قلائل من ذلك أبلغ خصوم صالح باي الباشا بأنه يريد الاستقلال في مقاطعته ، فأصدر أمرًا بخلعه و عزله و عيّن أحد الأتراك من وهران، اسمه إبراهيم خلفًا له.

و مما يلاحظ أن القرن الثامن عشر قد عمره حكم خمسة بايات و من بينهم اثنان: بوكمية و صالح و قد احتفظ كل واحد منهما بالحكم مدة تزيد عن عشرين سنة، فكلهم ماتوا، موتة كريمة باستثناء هذا الأخير، و إذا قارنا هاتين الواقعتين بما جرى منذ عهد صالح باي إلى عهد الحاج أحمد أي في مدة تقل عن خمسين سنة تولى فيها 19 بايا الحكم و ماتوا كلهم بعنف فيمكننا أن نخلص إلى القول بأن القرن 18 بالنسبة لقسنطينة هو أجمل الحقب السياسية التركية، و الذي عرفت فيه المنطقة قليلاً من الاضطراب و كانت أقل سفكًا للدماء و أقل قمعا و اضطهادًا للسكان، بل إن بقاء صالح باي مدة طويلة على رأس بايلك قسنطينة يعتبر برهانًا قاطعًا على استتباب السلطة و على وجودها و على وجود إدارة محكمة بل إن هذا الأمير الذي لا يزال ذكره خالدا في أذهان جميع أهالي قسنطينة، هو بلا منازع أحسن الولاة الذين تعاقبوا على الحكم في مقاطعة الشرق طوال العهد التركي ،و إذا كان هناك من يضاهيه كقائد، فإنه كرجل إدارة لا يماثله أحد و هذا الجانب الأخير هو الذي جعله فعلاً يفوق رجال عصره، ويرضي السكان الذين ولّي عليهم.

و لهذا رأينا في هذا القرن بعض المدارس تعيد فتح أبوابها، و عددًا كبيرًا من العائلات تشتهر في ممارسة النحو و الفقه. و زيادة على عائلتي ابن الفقون، و ابن باديس ، اللتين كانت الدروس عندهما متواصلة ،و ذات مستوى رفيع، نذكر عائلة ابن عبد الجليل أو ابن جلول التي كانت منذ عهد

الحاج عباس صديق بيصونيل إلى يومنا هذا بمثابة مشتلة يؤخذ منها باش كتاب، و القضاة، و عائلات، مسعود الأجيسي، و محمد بن علي و الشيخ الزادي، و ابن وافضل، و عبد القادر الراشدي و سيدي عني الونيس، و سيدي إبراهيم الضرباني، و غيرهم من العائلات التي يتشرف أعضاؤها بأن يكونوا علماء ،و أن التجديد الذي حاول صالح باي تحقيقه في توجيه الدراسات الأدبية، كاد أن يكون عملاً مثمرًا و دائمًا لو أن من خلفه قد واصل و ثابر فيه. و لكن لم يكن شيء من كل ذلك، و دقت ساعة الانحطاط

و كانت كل الجهود المبذولة غير كافية و غير قادرة على إعادة الحياة الثقافية لشعب لم يترك له الاستبداد أية حرية سوى دفع الدراهم أولاً و التمرد فيما بعد. و دفع مزيد من الفدية بعد ذلك.

ثم جاء بعد صالح باي عهد حسن باي بن حسن باي بوحنك :الذي حكم قسنطينة من سنة 1207 إلى 1209 (الموافق 1 سبتمبر 1792 إلى 30 جانفي 1795)

والذي برزت في عهده عدة إنجازات مشرفة منها:

أولا ــ بناء القصر المسمى بدار الباي الذي خصصه البايات من بعده إلى عهد الحاج أحمد كمقر سكنى لهم ،هذا وإن هذا الصّرح، كبناء ضخم يحتل، إلى اليوم، مكانًا واسعًا بين نهج رووا و نهج كرمان، على الرغم من أن

الجزء الذي كان في السابق، يكوّن قوسًا مع هذا النهج الأخير، قد اندثر منذ زمن طويل.

ثانيا ــ إتمام بناء الجسر الذي يسمى القنطرة: و الذي كان صالح باي من قبل قد شرع في إعادة بنائه، و لكن ذلك توقف فجأة بسبب وفاته و بإنجاز مثل هذا العمل الجبار، فإن هذا الأمير قد برهن على ما كان بإمكانه أن يفعل لو لم يأت حبل المشنقة لينهي حياته قبل الأوان.

أما في عهد حاج مصطفى انكليز باي ،الذي حكم قسنطينة (من 1212 إلى 1218هـ/جانفي 1798، ماي 1803) : فهو من أصل تركي كان يقيم، منذ سنوات كثيرة، بقسنطينة إلى أن دعي لإدارة المقاطعة و قد لقب بانكليز لأنه، عندما كان شابًا، أسرته سفينة إنجليزية فقضى عشرة أو اثنتي عشرة سنة بإنجلترا.

و مهما كان الأمر، فإن الخدمات التي أسداها للإدارة، في عهد صالح باي، و الكفاءات التي برهن عليها في العديد من المناسبات و المعرفة التامة لتسيير الأمور قد جعلت الباشا يختاره دون سواه. و لهذا استقبل تعيينه بحماس.

و لم يخيب انكليز باي، من جهته، الآمال المعقودة عليه ،إذ شرع بمجرد تنصيبه، في العمل على :

ازدهار العدالة و السلم : و ما أن عادت الثقة حتى عاد معها الخير من جديد فخفضت أسعار المواد الغذائية بحيث لم يعد صاع القمح يباع سوى

بقيمة فرنك واحد ،حتى أمكن الاعتقاد أن أيام صالح باي الزاهرة قد عادت من جديد ،و هو العهد الذي يضرب به المثل. حيث كان كل واحد ينعم بثمرة عمله، في هناء ،فلا الغني الغارق في مسراته و ملذاته يزعجه أحد و لا الفقير الذي باستطاعته أن يحصل على معيشة سليمة و متوفرة يقلق و من سوء الحظ أن هذه الوضعية لم تدم طويلاً لأن ضعف البيات الذين حكموا قسنطينة قد أضاع كل شيء ، مما جعل أطماع بعض الراغبين في غزو قسنطينة ،يشرعون في تنفيذ مخططاتهم لاحتلالها وغزوها ،ومن ذلك مهاجمة كل من الشريف بن الأحرش ،وحمودة باشا حاكم تونس لها ،كما سنبينه على النحو الآتي :

أولا ـ هجوم الشريف بن الأحرش على قسنطينة : وفي عهد الأتراك غزا قسنطينة الشريف بن الأحرش سنة 1219هـ-1804م ، المنتسب للطريقة الدرقاوية، دخل وسط القبائل و وعدهم بأخذ قسنطينة، و أظهر لهم أمورا يزعم أن بارودهم فعال وقتال ، وأن بارود أهل قسنطينة يرجع ماء في أسلحتهم و غرهم بأمثال هذا الكلام الخرافي والأسطوري ، و استمالهم ووعدهم بأموال قسنطينة ، و حريمها فاجتمع عليه جند عظيم من فرق القبائل الساكنين ما بين جيجل و سكيكدة ،إذ بلغ عددهم ما يقرب من مائة ألف، و سار بجموعه قاصدا قسنطينة،و كان حاكم قسنطينة يومها عثمان بن قارة محمد باي بمحلته بجبل بابور، جهة سطيف منشغلا بجمع الضرائب ، فزحف الشريف بالقبائل إلى قسنطينة، و خرج إليه قائد الدار

الحاج أحمد بن الأبيض في جماعة من الخيل قليلة، و انضم إليه من نواحي قسنطينة أناس و وقع القتال حتى وصلوا رحبة البلد، و إلى باب الوادي فقاتلهم أهل البلد من فوق الأسوار و رموهم بالمدافع فانهزم الشريف و أصابه جرح بيده و فر هاربا و مات من القبائل خلق كثير ،حتى غصت الطرق بجثث الأموات وتعفنت بروائحها النتنة، ورغم ذلك لم ينل منها وطرا و لما سمع الباي عثمان بذلك عجل بالدخول إلى البلد فلم يلحق الواقعة و تهيأ لغزو القبائل، و جمع عسكرا عظيما و خيلا كثيرة من الدائرة و الأعراش، و خرج بمحلة لا قبل لأحد بها يريد الشريف بوادي ازهور[233] بين جيجل و القل، و كلما وصل إلى فرقة من القبائل طلبوا الأمان، و قالوا: ابعث معنا الخيل لنمسك بالشريف و نأتيك به، وكان ذلك مكرا منهم و خديعة ،إذ استعان بهم الشريف ،فبعث معهم الباي آغة الدائرة في خمسمائة فارس فلما وصلوا إلى واد هناك صعب، أحاط بهم القبائل و عزموا على قتلهم و ألجأوهم إلى سفح الجبل فلما رأوا كثرة القبائل وإحاطتهم بهم من كل جهة نزلوا على خيولهم و حفروا بسيوفهم حفيرا تترسوا فيه، و بقوا هناك ثلاثة ، أو أربعة أيام هم و خيلهم، وقد أصابهم يومها جوع و عطش شديدان ،فلما سمع عثمان باي بهم أمر المحلة بالرحيل و ركب و جنوده و قصد نحوهم فجاء القبائل من خلفه و قطعوا الأشجار في الطريق و عرضوا الخشب و أطلقوا الماء على الأرض تنفيذا لمكيدتهم المبيتة مع

---

(233) وهي تابعة الآن لولاية سكيكدة.

الشريف بن لحرش ،محولين بذلك ساقية من مسيل الوادي عن مجراها الأصلي إلى المرجة التي بها المحلة ليلا، وأهلها ليشعروا بتلك المكيدة حتى أدركهم الغرق فيها من كثرة الماء، وشدة الوحل ، و لما قرب عثمان باي من القوم الذين بالمتارز و سمعوا به ركبوا خيولهم وخرجوا هاربين فوقعت الهزيمة في المحلة و صاحت القبائل من كل جهة وغاصت أرجل الناس في الطين و لم يعرفوا طريقا فلم ينج من تلك المحلة إلا القليل، فأخذ القبائل جميع الأموال و الخيول و السلاح و قتلوا عثمان باي .[234]

ثانيا ـ غزو حمودة باشا لقسنطينة و تفاصيل أحداثه : و غزا قسنطينة في عهد الأتراك أيضا حمودة باشا تونس سنة (1221هـ- 1806م) و خبر ذلك يطول و ملخصه أن تونس و عمالتها كانوا تحت قهر و ذلة لسلطان الجزائر و عامله على قسنطينة لأن السبب في ولاية سلطانها و تمكنه بمملكتها كان بواسطة سلطان الجزائر فكان يعامل أهل الجزائر و يراعي حقهم من أهل مخزنه إلى تونس لقضاء حوائجه، و له وكيل هناك فكان يغلظون على رعية تونس و يظلمونهم في طريقهم كأهل الكاف و غيرهم من القرى، و يبلغ ذلك إلى حمودة باشا و يتحمل لهم ذلك، و كان صاحب

(234) أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة 46 ـ 48 ،ومحمد الصالح بن العنتري :مجاعات قسنطينة 29، وفريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة 83 ـ 85، وأوجين فايست : تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792 ـ 1837 . 127 ـ 123.

عقل و سياسة ملك[235]، و كان أهل مخزن قسنطينة أهل غلظة و فظاظة لكون غالبهم من أهل البادية فلا يراعون حق السلطنة بل تحملهم غلظتهم على العنف و مجاوزة الحد حتى أن واحدا من أولاد بن زكري ذهب إلى تونس في حاجة إلى سيده مصطفى أنقليز باي قسنطينة فلما وصل إلى تونس أكرمه حمودة باشا و أنزله قريبا منه و أمر بتعظيمه فأوتي يوما بطعام كثير في أواني فضة و بلور و غير ذلك من أواني الملوك، و وضعت بين أيديهم فأكلوا الطعام و رموا بالأواني من العلو إلى أسفل فانكسرت و ضاعت ثم شرب الخمر و أمر خادمه أن يأتيه بسلاحه فجعل يضرب بالرصاص إلى ناحية قصر حمودة باشا، الذي أغضبه هذا التصرف،حيث هم بقتله ،لكنه ثاب إلى رشده و تفكر فيما قد يؤول إليه الأمر من الفساد فكظم غيظه، و كان يتحمل من ذلك شيئا عظيما بل إنه لقب بالحاج مصطفى أنكليز باي ، بعد عزله من قبل باشا الجزائر لظلمه ، وفساد أخلاقه ،ونفيه مع ولده علي إلى تونس فقبله حمودة باشا ،كلاجئ سياسي ، و أجرى عليه من إكرامه الشيء الكثير .[236]

---

[235] تولى حمودة باشا الملك بتونس سنة 1197هـ - و كان حازما حسن التدبير، و كان منذ تولي الملك يستعد للهجوم على الجزائر و أعانه على ذلك وزير حربه سليمان كاهية و زحفت قواته إلى قسنطينة و حاصرتها حصارا عنيفا حتى كادت تفتحها سنة 1221هـ ثم انهزمت عنها شر هزيمة كما يقول ابن المبارك و العنتري. ينظر :رابح بونار : هامش تحقيقه لكتاب : تاريخ قسنطينة لأحمد بن المبارك . 49

[236] أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة 48 ـ 50، وقارن بـ :أوجين فايست : تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792 ـ 1837 .123 ـ 127 .

كما وقعت بين عثمان باي قسنطينة ،وحمودة باشا مهاداة و مصافاة إلى أن مات بالقبائل في واد ازهور، و تولى بعده عبد الله باي و كان رجلا شهما فخرج من الجزائر فلما وصل إلى قسنطينة وجد رعيتها قائمة على ساق، فجعل يغزو و يقاتل من خرج عن الطاعة و ذهب إلى قتال الشريف ابن لحرش، الذي هرب ،ثم تحول من القبائل إلى عامر نواحي سطيف فقاتلهم و أخذ أموالهم و قطع رؤوسا كثيرة معهم و لم يزل عبد الله باي يشد الغارة على المارقين حتى أذعنت له الرعية بالطاعة و رجعت كما كانت و غزا رعية تونس فقاتل و سبى و ساق الأموال و توغل بأخذ رعية تونس حتى قرب من الكاف فاستشاط حمودة باشا غيظا و أغراه الحاج مصطفى انقليز باي، بغزو قسنطينة ،فصرح حمود باشا تونس بعداوة الجزائر و أمر الوكيل الذي في تونس و التجار القسنطينيين ،و من كان هناك من أهل الجزائر أن يرجعوا إلى بلادهم آمنين فخلصوا أموالهم ، و رجعوا إلى بلادهم و وقعت العداوة بين الجزائر و تونس ثم أن عبد الله باي غزا و قتل، و تولى مكانه، حسين بن صالح باي ،و كان ولدا صغير السن حضريا لا يقدر على الركوب و الغزو، و لا معرفة بالحروب و سياسة الملك فاغتنمها حمودة باشا فرصة و أمر عساكره و جنوده و رعيته و سار وزيره سليمان كاهية بالحملة و ساق رعيته بنسائها و ذرياتها و أموالها و جمع من العساكر و الخيل ما يزيد على مائة ألف سوى العربان و كاتب مشايخ رعية قسنطينة مثل الحناشي و شيخ أوراس و شيخ العرب و أهل مجانة ،و بذل الأموال

و استمال الناس إليه و وعدهم بالخير العظيم على أن يكونوا معه ، و يخذلوا باي قسنطينة و خرج وزيره بتونس بالآت حربية عظيمة ،و لما وصلت جنوده إلى قرب قسنطينة لقيه حسن باي بجنوده فناوشوه و اخذلوا في الشعاب و الأودية خيانة و مكرا.[237]

و من الغد وصلت العساكر إلى سطح المنصورة و خرج أهل البلد للقتال فمات من مات و رجع من بقي إلى البلد و غلقوا الأبواب و هرب حسين باي إلى قصر الطير من بلد ريغة فنصب سليمان كاهية مدافعه على قسنطينة و حاصرها شهرا كاملا ، و بعث الله المطر في تلك المدة فلم يحس أهل البلد عطشا، ثم بعث حمودة باشا كتيبة أخرى عليها الحاج مصطفى أنقليز باي، فنزل خلف الكدية المقابلة للبلد، و ضيقوا على أهل البلاد بالرمي و المحروقات و كان ذلك لا يضر أهل البلاد شيئا بل كانوا إذا أمسكوا عن الرمي عليهم ينادونهم من ناحية باب القنطرة و الشط مالكم غفلتم الليلة أرموا و أفرحونا، فيشتد غيظ أهل تونس و ينادون أهل قسنطينة بالشتم و يقولون في كلامهم أدعوا بالرحمة لمن بناها لكم على صوانة أي على حجر الجبل، ثم اتفق أمر سليمان كاهية على أن يدهموا بالإبل إلى السور و يجعلون السلالم و يدخلون عليها عنوة فساقوا الإبل أمام العسكر

---

(237) أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة 50 ـ 53 ، وقارن بـ :أوجين فايست : تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792 ـ 1837 .123 ـ 127 ، ومحمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة 88 ـ 90 .

و دهموا إلى أن وصلوا جامع سيدي بركات العروسي ،فاستقبلهم أهل قسنطينة بالمدافع والمقذوفات من داخل سور البلد فأصابت نحور الإبل فتأخرت و رجع بعضها على بعض حتى وطئت عساكرهم فولوا هاربين و لم يتركوا حيلة إلا و فعلوها فلم يقدروا عليها و مع هذا فليس بها باي و لا خليفة و لا عساكر سوى أهل البلد و قليل من الأتراك ، كماخرجت كتيبة عظيمة من الجزائر معها أحمد آغة، فلما وصل إلى ناحية مجانة لقيه حسين باي و أسرع الجميع إلى أن وصلوا قسنطينة و تلقتهم خيل التونسيين و اقتتلوا قتالا شديدا حيث عسكر أحمد آغة يبوحمرون مقابلا جنود التونسيين ،و أظهر في ذلك اليوم شجاعة عظيمة ،كما جاء عسكر من الجزائر في البحر و نزل على عنابة و أتى على طريق السمنْدُو على رأس الحامة، و صعد على عقبة السمارة و هي الطريق التي أسفل البلد إلى ناحية البساتين فلما وصلوا إلى مجاز الغنم نزل عسكر تونس من الرمال و اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديد و انهزم عسكر تونس و أظلم الليل، و بات كل واحد في محلته مهتما بأمر عدوه فلما كان نصف الليل فر سليمان كاهية و الحاج مصطفى و ولده علي و أعيان التوانسة و لم يخبروا عسكرهم بالهروب و أهل رعيتهم، فلما أصبح الصباح إلا و الناس منهزمون و فتحت أبواب البلد و خرج أهلها و غنمت الناس غنيمة كثيرة ،وسبيت عرب تونس و ذراريهم

و أسر جل عسكرهم فمن عليه الآغة و بعثه إلى الجزائر ،و من هناك جعلوه في مواكب ،و بعثوه إلى تونس .[238]

هذا ومن الأحداث القمينة بالذكر ،والمرتبطة بالقلاقل التي اجتاحت قسنطينة في العهد التركي ،تلك المجاعات ،التي كان من أبرز أسبابها عدم الاستقرار السياسي ،مما جعل أهلها يعزفون عن البذر والحرث ،لانشغالهم بالدفاع عن مدينتهم ،وإليك نموذجا لمجاعاتها .

مجاعة قسنطينة الأولى في العصر العثماني : يحكى أن ذلك كان في زمن ولاية بعض البايات ممن تقدم صالح باي بمدة تقرب من نحو مائة و ثلاثين سنة (130 سنة) ، أي سنة :1193 هـ / 1779 م وقعت مسغبة و مجاعة هائلة بأهل بلد قسنطينة ،حيث ارتفع سعر الحبوب فيها ،فبيع الصاع الواحد من البر بخمسة أريالات سكة الوقت ،وقد كان الناس يسمون تلك المجاعة بعام «قرامو» و ذلك كناية على الشهر ،وللدلالة على شدة القحط و غلاء الأسعار أيضًا .

مجاعة قسنطينة الثانية في العصر العثماني : لقد نزل قحط و غلاء في الحبوب و مجاعة و هول بقسنطينة زمان الدولة التركية أضرّ بأهل بلد

---

(238) أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة 53 ـ 55 ، وقارن بـ :أوجين فايست : تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792 ـ 1837 .123 ـ 127 ، ومحمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة 88 ـ 90.

قسنطينة، وذلك سنة 1219هـ/1804-1805م ، و دام الحال كذلك عليهم مدة ثلاث سنين متوالية ،وكان الوالي عليها يومئذ عثمان باي.

ومن أبرز أسباب هذه المجاعة ما يأتي :

أولا ـ الجائحة التي أصابت الزرع بأكمله ،حيث أتلف قبل حصاده في جهات كثيرة سيما بناحية الجنوب و أعراشه كالحراكتة و النمامشة و أولاد يحي بن طالب و الخرارب و غيرهم و لم تنجو من ذلك إلا ناحية السواحل و الصراوية فإن زرعها لم يقع فيه ضرر كبير.

ثانيا ـ ثورة بن الأحرش : و كان قبل تلك السنة المذكورة أعني آخر سنة 1218هـ-1803م وقع هول بالوطن سببه رجل قام يدعي الشرف ناحية أعراش وادي زهور، اسمه سي محمد بن عبد الله الشريف

حيث حشد جيوشا كثيرة لغزو قسنطينة ،وقد شغل أهلها بمقاومته ،بدلا من الاهتمام بتأمين غذائهم عن طريق بذر الأرض وفلاحتها (239)

ثالثا ـ موت عثمان باي سنة (1219هـ-1804م) و تلف خزائنه و كل ما احتوت عليه محلته من أموال ونحو ذلك.

رابعا ـ اضطراب الرعية بموت الباي و تشتيت أهل محلته فإن أهل الأعراش قاموا على بعضهم بعضًا بالنهب و الفساد و من أجل ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في تلك السنة أيضًا في جهات كثيرة،حيث

---

(239) وقد سبق الحديث عن ثورة ابن لحرش بإسهاب .

فقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول، و عَزَّ إخراجها و قل من يأتي بها للأسواق مخافة الطرقات وقتئذ .

خامسا ـ ارتفاع أسعار الحبوب ارتفاعا فاحشا حيث بيع الصاع الواحد من البرّ وقتئذ بخمسة عشر أريالة (15) سكة الوقت، و الصاع من الشعير بسبعة أريالات ، و قد كانت قيمة الزرع قبل تلك المجاعة و القحط ما بين ريال وريال و نصف للصاع الواحد، بحيث أنك لا تجد في زمن انحطاط ثمنه ورخصه من يهتم بأمر الزرع أبدا،إذ من أجل بخس قيمته كانت أمور الحراثة في زمان الترك ضعيفة لم تتعلق بها أغراض الناس ،مما كان سببا في غلائه أيام المجاعة ،إذ دام الندرة في الحبوب مدة سنة كاملة و هي سنة 19 (يعني سنة 1219هـ - 1804م) ، ثم بعد ذلك نزل سعره شيئًا فشيئًا غير أن حال الوطن لم يعتدل بعدها و لم يرجع لأصله إلا في سنة 1223هـ - 1808م .

سادسا ـ قلة الدراهم بأيدي الناس رغم توفر باقي الغلل من مأكولات و مشروبات،ومعقولية و رخيص أسعارها .

سابعا ـ غزو قسنطينة من قبل حمودة باشا والي تونس سنة (1221هـ- 1806م) :وما أحدثه ذلك من هلع وخوف ،وابتعاد عن الدرس والحرث ،وذلك بسبب الانشغال بصده ،وأمثاله عن بلدهم ،والدفاع عن حياضه [240].

---

[240] وقد سبق الحديث عن ذلك بإسهاب .

ثامنا ــ عدم وقوف المخزن في تلك المجاعة و الشدة مع أهل قسنطينة: فلم تظهر منه إعانة كافية لعامة الضعفاء، و ما شأن عبد الله باي فيها ببعيد، إذ لم يبلغ عنه أنه فتح مخازن البايليك مثلاً، و تصدق منها على الضعفاء بشيء من الحبوب أو عاملهم بسلف من مال الخزينة ليستعينوا به على ما أصابهم ما عدا المطلب المخزني فإنه تركه للرعية في تلك السنة لا محالة، و لم يطالب أحدًا به و على كل حال ففعله ذلك جميل منه و حسن و خصوصًا حيث صار أمرًا يقتدى به.

هذا ويحكى: أنَهُ من قبل ذلك الوقت و ما بعده إلى انقضاء الدولة التركية صارت تلك عادة مألوفة و هي أنه مهما نكب عرش من الأعراش نكبة من حجر أو يبس أو جراد أعفاه جانب المخزن من المطالب في تلك السنة التي نكب فيها لهذه الأسباب مجتمعة حصلت للناس شدة و مجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصًا في بعض نواحي الجنوب فإنهم تشتتوا عن منازلهم و تفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر و المصائب التي حلت به من قبل، من يبس الزرع، و عدم الحرث، و نزول القحط و الفتن إلى غير ذلك مما تقدم ذكره حتى صاروا يقتاتون الدم و الميتة و غير ذلك مما لا يباح اقتياته إلا أن ذلك الأمر خاص بأولئك الناس المذكورين في السنة الأولى فقط ثم ارتفع عنهم .

ولا بأس أن نذكر هنا بعض كلام أولئك الناس المصابين بالمجاعة: فإنهم كانوا تكلموا به كالنظم حال نزول الشر بهم، و عند سؤالهم للناس في

الديار و الأزقة يغنون لديهم به، و يرقصون فيتَصَدَق الناس عليهم، وهذا نموذج لذلك:

إِلْقَمْـــحْ يَا بَاهِي اللَّوْنْ ⁂ مِنْ شبَعْتَكْ لاَ زِيَادَهْ

أَنْتَ قُوتْ كل مِسْكِينْ ⁂ بِك الصَّلاَةُ وَالعِبَادَهْ

وبعد مضي سني المجاعة العجاف نصب علي باي واليًا على قسنطينة أي : في سنة 1223هـ / 1808م و في تلك السنة و ما بعدها نزلت العافية في الوطن بوقوف الباي المذكور على تمهيده و تسديد أحواله و فيها حرث الناس و أقبلوا على أشغالهم، و رزقهم الله زرعا وفيرا، فتبين بذلك و اتضح أن سبب دوام القحط و الشر على بلد قسنطينة و وطنها مدة ثلاثة أعوام مركب من أمرين أحدهما نزول الجائحة و القحط في السنة الأولى، و بقي السنتين اللتين بعدها.

و الثاني و هو أعظمها ترادف الفتن و الأهوال التي لم تطمئن نفوس الناس للحراثة معها، و صار الناس يسمون تلك المجاعة بعام (الخمسطاش) يعني كون الزرع يباع بتلك القيمة المتقدمة فيه و البعض يسمي تلك المجاعة باسم عبد الله باي لوقوعها في زمانه، و الحق أن ابتداءها في زمان ولاية عثمان باي و امتدت بعدها .

ثم تداول على قسنطينة بعد ذلك بايات كثر، لم يكونوا في مستوى من سبقهم سياسيا وعسكريا، ولم يشذ عن ذلك إلا أحمد باي آخر بايات قسنطينة، إذ استعادت البلدة عافيتها في عهده ،وقد كان رجلا حازما

فقويت شوكة جنده ،واستعاد الجهاز الإداري عافيته فكنهن في غا
والإحكام ، وإليك بيانه .

الجهاز الإداري للبايلك القسنطيني

تتألف إدارات بايليك قسنطينة من أجهزة إدارية متعددة في المدينة و الأطراف يمكن أن نميز منها الأجهزة الآتية:

أولا: ديوان الأجواق : و يتألف من رجال المخزن أو أعضاء الحكومة الذين يحيطون بالباي، و هم:

1- **الخليفة:** و هو مسؤول عن شؤون الأوطان أو أقاليم البايليك.

2- **قائد الدار:** و هو بمثابة شيخ البلدية حاليا.

3- **النقاد أو المقتصد:** و هو صاحب السلطة على كل المصالح المالية.

4- **قائد الدايرة أو آغا الدايرة:** و هو أحد رؤساء فرسان المخزن. يدير فرق القوم غير المنظمة في الأرياف. و يتولى توفير ما تحتاج إليه، و يخرج مع الباي لمعاقبة القبائل العاصية.

5- **الباش كاتب أو الكاتب العام:** يحرر و يصحح البرقيات و رسائل الباي و كل ما يتصل بشؤون السياسة للبايلك.

6- **الباش سيار:** و هو المسؤول عن قافلة البريد، و يحمل بنفسه رسائل الباي، إلى الباشا بالجزائر العاصمة، و يعود برسائل الباشا إليه. و يصحب الخليفة إلى العاصمة عندما يحمل الدنوش إلى الباشا.

7- **باش سايس، أو قائد الزمالة:** مسؤول عن حيوانات البايليك و حمايتها و رعايتها و الاعتناء بها.

8- **باش شاوش:** مكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك.

9- **شاوشا الكرسي:** و هما من الأتراك، و يتوليان وظيفة الجلد، و يسيران أمام الباي عندما يخرج، و يتوسطان بينه و بين بعض المسؤولين الأجانب في مسائل السلم، و تمتين الروابط، و يعلنان للناس في الاجتماعات العامة سلامه و تحياته. و يقومان بجلد من يأمر الباي بجلدهم.

ثانيا: الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة : وهم :

1- آغا الصبايحية: و هو مسؤول عن الصبايحية، و الشواش الذين يقومون بدور المساعدين.

2- شاوش محلة الشتاء: مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن و الأغذية، و الخيام و الأخشاب.

3- باش العلم: و هو الذي يحمل العلم أمام الباي عندما يخرج في مهمة سواء في السلم أو الحرب.

4- **باش الطبل:** و هو رئيس الطبول التي تضرب و تدق في حالات الحرب و السلم كذلك، للتنفير و غيره. [241]

---

[241] محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة 29 ـ 31.

5- **باش الكاحل:** و هو رئيس حرس الباي الخاص، و يحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة، و يحكم فرسان الحرس الدائم للباي.

6- **باش خزناجي:** يسخر لحراسة قوافل المحلة التي تستخلص الضرائب من الناس. و يتكلف بإعداد الأحصنة و الخيول لحمل هذه الضرائب في كل مرحلة من مراحل هذه العملية. و يحمل أمتعة الباي عند سفره.

7- **باش مانقا:** و هو مسؤول عن إعداد و تقديم البغال، و الأحصنة للقافلة التي يقودها الباي للقيام بغارة مفاجئة.

8- **قائد موهر باشا، أو خوجة الخيل:** و هو مسؤول عن تنشيط سير البغال و الأحصنة و يصحب الخليفة إلى مدينة الجزائر عندما يحمل الدنوش في الربيع. و يتكلف بإرسال أمتعة القافلة من عاصمة الجزائر إلى عاصمة البايليك في عودتها.

9- **باش سراج:** و هو مسؤول عن اصطبلات الباي في عاصمة البايليك.

ثالثا: موظفو قصر الباي : وهم :

1- **قائد المقصورة:** و يمثل وظيفة مقتصد قصر الباي الخاص.

2- **باش الفراش:** و يتكلف بفراش قاعات القصر.

3- **قائد الجبيرة:** و يتكلف بجبيرة الباي و تزويدها بالأموال اللازمة و تعهدها.

4- **قائد السيوانة:** و يحمل مظلة الباي في الأمطار، و الحرارة.

5- **قائد السبسي:** و يتكلف بغليون الباي، و يعدّ له حشيشة الدخان.

سفر الباي.

7- باش قهواجي: و يقوم بإعداد القهوة و تقديمها للباي و ضيوفه.

8- قائد الزريبة: و هو البواب الأول لمنزل الباي، و يكون خصيا أسود و يدعى آغا الطواشي.

رابعا: موظفو المدينة الذين يخضعون لقائد الدار : وهم :

1- أمين الخبازين ، 2- أمين الفضة ، 3- قائد الباب: و يكون مسؤولا عن السلع التي تدخل إلى أسواق المدينة للتجارة و يستخلص من أصحابها الضرائب و المكوس المطلوبة.

4- قائد السوق أو مفتش الأسواق .

5- قائد الزبل: و هو مسؤول عن تنظيف الشوارع و الأسواق و الحارات. (242)

6- قائد القصبة: و هو مسؤول عن شرطة المدينة في الليل.

7- البراح في الأسواق و الساحات العامة لتبليغ الناس أوامر قائد الدار و الباي.

8- باش الحمار: و هو المسؤول عن البغال.

---

(242) محمد الصالح بن العنتري :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أ. تاريخ قسنطينه 31 ـ 33.

4- **وكيل بيت المال:** و من مسؤولياته إعانة الفقراء و المساكين و [illegible] في المواريث التي لا صاحب لها، و حفر القبور، و حماية المقابر، و يضمن الباي دائما تحت تصرفه مبلغا من المال من الخزينة العامة لمواجهة هذه المشاكل.

الجهاز الشرعي و الديني بقسنطينة : يوجد بمدينة قسنطينة مفتي، و قاضي مالكي لعموم الناس، و قاضي حنفي للأتراك و الكراغة، و عدلان، و ناظر للأوقاف الإسلامية، يؤلفون جميعا المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في القضايا و الفتاوى المختلفة، و يرأسه الباي، أو قائد الدار.

مداخيل البايليك و موظّفوها : تعتمد خزينة البايليك على الموارد التالية:

أولا: الضرائب: كالحكر على الأراضي، و العشور على الحبوب و ضرائب التبن و الغرامات النقدية.

ثانيا: عوائد أراضي البايليك، و ممتلكاته المختلفة.

ثالثا: عوائد التولية و الغرامات، و الحجر، و ضرائب أخرى غير عادية.

و من ضمن موظفي الإدارة المالية في البايليك:

1- **قائد العشور:** و يتكلف بتحديد ضرائب حبوب الحرث.

2- **قائد الجابري:** و يتكلف بتحديد ضرائب أراضي البايليك.

3- **قائد عزب الجمال:** و يتكلف بحراسة جمال البايليك.

4- قائد عزب البقر: و يتكلف بحراسة أبقار البايليك.

5- قائد عزب الجلب: و يتكلف بحراسة قطعان الغنم التابعة للبايليك.

6- باش خزناجي، أو قائد المهور باشا أو خوجة الخيل كذلك.

قوات البايليك العسكرية تتألف قوات البايليك من حوالي 45 ألف رجل موزعين هكذا:

22.000 من المشاة، و 23.000 من الفرسان الخيالة.

و ينتمون إلى فئات ثلاث: الميليشا، و الزمول، و دائرة المخزن.[243]

و في سنة 1836م حاول الماريشال كلوزيل أن يحتلها فقاومه أحمد باي و رده على أعقابه ثم جاء الجنرال دامريمون Damremont في 6 أكتوبر سنة 1837م و حاصر قسنطينة و قتل أثناء الحصار في 12 أكتوبر بجبهة كدية عاتي.

---

(243) المرجع نفسه . 33 ـ 35.

و تولى القيادة بعده الجنرال فالي Vallée في 13 أكتوبر و تمكن من احتلال المدينة بعد قتال عنيف، و خرج عنها أحمد باي إلى الصحراء و حارب فرنسا مدة 11 سنة إلى أن أسر و مات سجينا بالجزائر رحمه الله.

و دخلت قسنطينة إثر ذلك تحت الاحتلال الفرنسي و حكمت حكما عسكريا من سنة 1837 إلى سنة 1848م ثم تحول إلى حكم مدني. (244)

(244) رابح بونار : قسم الدراسة من تحقيقه لكتاب أحمد بن المبارك بن العطار : تاريخ قسنطينة 21 - 22.

المبحث الثاني

قسنطينة في العهد الفرنسي

لقد كان الحاكم العام للجزائر الماريشال كلود يعتقد أن مدينة قسنطينة سهلة المنال، و أنّ إخضاعها للسلطة الفرنسية لا يتطلب جهدا و لا وقتا، اعتقادا منه أن أهلها يكرهون أحمد باي، و أن قوة جيشها لا يمكنها الصمود أمام جحافل الجيش الفرنسي، مما حدا بفرنسا إلى استباق الزمن فعينت على قسنطينة بدلا من أحمد باي رجلا يهوديا يدعى يوسف كما بدأ الماريشال كلوزيل في حشد قواته في مدينة عنابة، مع إقامة معسكر متقدم بالذرعان، و كان ذلك في شهر سبتمبر 1936م، و لكي يعرقل أحمد باي هذه الاستعدادات قام بغارات يومي 24 و 25 أكتوبر 1936 على معسكر الذرعان، و في يوم 08 نوفمبر 1936 انطلقت القوات الفرنسية من عنابة باتجاه قسنطينة لتصل إلى بونوارة في ظل ظروف جوية صعبة مليئة بالأمطار و الثلوج، زادتها صعوبة إغارة أحمد باي عليهم يوم 20 نوفمبر 1936، و نظرا للظروف الجوية الصعبة قضى الجيش الفرنسي

صبيحة يوم 21 نوفمبر 1936 كلها في قطع المسافة من الخروب إلى سطح المنصورة لتبدأ المناوشات ظهيرة ذلك اليوم و لتستمر المعارك لغاية ليلة 24 نوفمبر حيث اتضحت هزيمة الجيش الفرنسي بقيادة الماريشال كلوزيل الذي كان يظن أن غزو قسنطينة مجرّد نزهة و أن أهلها سيستقبلونه استقبال الفاتحين، غير أنه وجدها صعبة المنال فانسحب بجيوشه صبيحة 24 نوفمبر 1936 راجعا إلى المجاز عمار جارا أذيال الهزيمة خاسرا من جيشه ما بين 700 إلى 900 قتيل إضافة إلى الجرحى و المرضى، و العتاد الحربي و المؤونة[245].

بعد هزيمة فرنسا في حملتها الأولى على قسنطينة بدأت في الإعداد لحملة ثانية بقيادة جملة من خيرة جنرالاتها مثل فالي و تريزيل و روملهيار و كارامان، و لامي، و روهول، و الكولونالين، كمب و لاموريسيار، إذ انطلقوا في تجميع قواتهم، حيث غادرت قواتهم معسكر مجاز عمار يوم 01 أكتوبر 1937م في الساعة السابعة صباحا لتصل إلى المدينة يوم 06 أكتوبر 1937 لتجد مقاومة كبرى من الجيش القسنطيني بقيادة أحمد باي و نائبه علي بن عيسى باشا حامبة لأحمد باي، و نائبه محمد بلبجاوي، ثم تواصلت المعارك من 07 إلى 11 أكتوبر 1937 مقتصرة على التراشق المدفعي، و في مساء يوم 11 أكتوبر أرسلت هيئة الأركان الفرنسية مبعوثا إلى المدينة يطالبهم بالاستسلام إلا أن الرد جاء صبيحة يوم 12 أكتوبر

---

[245] عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة 1936-1937، ص 9-22.

مخيبا لآمال الفرنسيين إذ أبلغوهم بأنهم لن يدخلوا قسنطينة ما دام أهلها أحياء و بهم عين تطرف، و بعد هذا الرد الحاسم، و مواصلة المناوشات قرّر الجنرال فالي ساعة الحسم، وقام بالهجوم الكاسح في الساعة الأولى من صباح يوم الجمعة 13 أكتوبر 1937م، و بعد معارك طاحنة تواصلت إلى منتصف يوم الجمعة استسلمت المدينة العصية، و فرّ أحمد باي إلى الجنوب أملا في تجميع قواته من جديد، أمّا نائبه علي بن عيسى فقد خرج من المعركة مثخنا هو و ابنه بالجراح، و أمّا محمد بلبجاوي فقد آثار الانتحار برصاصة في رأسه على أن يقع أسيرا في أيدي العدو الفرنسي، كما أسفرت هذه المعارك عن قتل 650 قتيلا من الجيش الفرنسي منهم 50 ضابطا و عن عدد مهول من القتلى و الجرحى لا يمكن حصره و إحصاؤه من جهة أهل قسنطينة، ليسدل الستار عن العهد التركي، بقسنطينة و ليحل محلّه عهد الاستدمار الفرنسي الغاشم(246).

وبذلك تحول بايلك الشرق إلى ما يسمى بمقاطعة قسنطينة، ثم أصبحت محافظة مدنية سنة 1841 لتكون عاصمة للمقاطعة الشرقية سنة 1854، خاصة أن مواردها المالية كانت تصل إلى 300000 فرنك فرنسي و هي بذلك تعادل موارد كبريات المدن الفرنسية وقتئذ. كما حاول كل المعمرين الذين تعاقبوا على قسنطينة من 1854 إلى

(246) عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة 1936-1937، ص 26-46، و قارن بـ: صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، ص 67.

1962 إعطاءها وجها أوروبيا ببناء المنشآت التي تمنحها صفة المدينة الحديثة. وقد مر تحول قسنطينة بعدة مراحل ، فقبل سنة 1900 شقت الصخور لتمر السيارات و استعملت الإنارة الغازية وشق خط للسكة الحديدية يربطها بسكيكدة ، وفي سنة 1912 أنشئت الجسور و تطورت الأمور بعد ذلك بشكل سريع في النصف الثاني من القرن العشرين لتكون قسنطينة عاصمة للشرق الجزائري بلا منازع ، ويمتد مجالها الإداري من حدود عنابة شرقا إلى بجاية غربا ، و نشير في هذا الصدد، إلى أن قسنطينة كانت مهدا للحركة الوطنية التي تمخضت عنها ثورة 01 نوفمبر 1954 حيث كانت منبعا ومرجعا لكل الحركات التحريرية للشعب الجزائري ، ولأن قسنطينة قد قدمت قوافل من الشهداء ، فقد سميت بمدينة الفداء ، وبهذا يمكن القول أنها كانت دوما في الطليعة ، وظلت .مدرسة للقيم و الأفكار المرتبطة بالشخصية الجزائرية [247].

وعليه نقول لئن كانت فرنسا قد جعلت من قسنطينة عاصمة للشرق وقامت ببناء بعض الجسور ،وشق الطرقات البرية ،إلا أنها قد عاثت فسادا في مقدساتها، كما حاولت القضاء على شخصية أبنائها، وذلك من خلال اتباع الأساليب الآتية:

---

http://cirta.awardspace.com/arabic/arhist.htm[247]

وعليه نقول لئن كانت فرنسا قد جعلت من قسنطينة عاصمة للشرق وقامت ببناء بعض الجسور ،وشق الطرقات البرية ،إلا أنها قد عاثت فسادا في مقدساتها، كما حاولت القضاء على شخصية أبنائها، وذلك من خلال اتباع الأساليب الآتية :

أولا ــ القضاء على المؤسسات الدينية : لقد درس الاستعمار الفرنسي ذلكم الدور الجبار الذي تقوم به هذه المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا فرآها تسهم بشكل جلي في إذكاء الروح العلمية ، وبث الوعي ودعم المقاومة ضده إذ كان من أبرز أنشطتها وأعمالها :

تحفيظ القرآن الكريم ، واحتضان اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية، ونشر الإسلام في ربوع المعمورة ، وإنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف طبقات المجتمع ، والمشاركة في مقاومة المستعمر الغاشم ، وتكثيف الجهود لمحاربة الفرنسة والتنصير .[248]

ولما رأى المستعمر الغاشم الدور الفعال الذي تلعبه هذه المؤسسات ــ بقسنطينة ، وفي غيرها من ربوع الوطن ــ في تنوير العقل المسلم ،وفي شحذ الهمم لمقاومته ، وطرده مذموما مدحورا راح يقاوم ويحارب هذه المؤسسات

---

248 – يحي بوعزيز : أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . مجلة الثقافة ، السنة الحادية عشرة العدد : 63 ، رجب ، شعبان 1401 هـ الموافق لـ : مايو ، يونيو 1981 م ، 18 – 19 .

بأبشع الطرق وأخسها وفق مشروعه الاستعماري الثقافي فعمل على مقاومتها بالطرق الآتية :[249]

1 ـ هدم الكثير من المساجد ، والزوايا ،أوتحويلها إلى كنائس وثكنات وإسطبلات ومستوصفات ومراكز إدارية[250] **.بقسنطينة** ، كتدنيس جامع سيدي بركات العروسي ،الذي كان موقعه بناحية الكازينو (رحبة الزرع القديمة) ،إذ يعد أول جامع بقسنطينة يدخله جيش الاحتلال الفرنسي مدنسا إياه في يوم عيد المسلمين ، أي في يوم الجمعة 15 رجب 1253هـ الموافق لـ 13 أكتوبر 1837م ،غير آبه بحرمته وقداسته عندهم ، وكهدم فرنسا سنة 1851 لجامع سيدي الجليس مقيمة على أنقاضه مدرسة لتعليم الفرنسية و العربية و بعض المهن، .[251] ، **وكتحويل جامع حسن باي إلى كنيسة، إذ في أيام الاحتلال الفرنسي، استقرت القيادة العسكرية**

---

249 – المرجع نفسه ، 24 – 25 .

250 محمد الطاهر عزوي: مقال بعنوان: "العوامل التي استعملها الاحتلال الفرنسي لمحاربة الدين الإسلامي منذ الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال" 14.

(251) المرجع نفسه، 248-255.

الفرنسية بقصر الباي ، و لكنها تحرجت من مجاورة المسجد لها، فانتزعته من المسلمين، و حولته إلى كنيسة كتدرائية. .[252]

والأمر نفسه مع زاوية نعمان التي هدمها المستعمرون و أقاموا على أنقاضها دار الإسعاف الصحي (ميزون سكور)، و الدور المحيطة بها بسوق الحدادين (نهج كومب) و نهج (23 لين) .[253] ،وزاوية التلمساني ، التي استولى الاحتلال الفرنسي عليها ،وأصبحت تابعة لفرقة الهندسة العسكرية و بعد مدة تخلى عنها، ثم أجرّتها السلطة الحاكمة للراهبات بعقود تجددت ثلاث مرات. ثم تخلين عنها. و بعد عام 1880م (1298هـ) استولى عليها اليهود، و كانوا يومئذ مهيمنين على مكاتب الإدارة الفرنسية، سيما منها المالية، و كانت الزاوية تابعة لأملاك الدولة، و هي بالطبع إدارة مالية يسيطر عليها اليهود ، ويديرون شؤونها كما يريدون، فتآمروا و استحوذوا على الزاوية، و جعلوها معبدا لهم و عشا للصهيونية .[254]

2 **مضايقة المشرفين على هذه المؤسسات** ، وذلك بمطاردة الأئمة وشيوخ الزوايا والزج بهم في السجون، وتعرض البعض منهم للنفي والبعض الآخر للتشريد والتقتيل . وإلى جانب ذلك منعت الأذان في المساجد المجاورة

---

(252) استقينا هذه المعلومة من بطاقة فنية أعدّتها مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة أمدّنا بها الفاضل حسين بوعافية أحد مسؤولي مصلحة المساجد و الشعائر الدينية بالمديرية.

(253) محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر، 257-258.

(254) المرجع نفسه، 258.

للمسيحيين الدخلاء، هذا مع رفض رفع سلطتها السياسية والإدارية عن الإسلام والمسلمين رغم صدور قانون 1907م القاضي بفصل الدين عن الدولة[255].

3 ـ مصادرة أملاك الأوقاف والحبس الإسلامية ، كتحويل الممتلكات الوقفية عن الغرض الذي وقفت لأجله ومن ذلك تحويل الاحتلال الفرنسي. لمسجد سيدي قموش الذي هو من أملاك آل باديس بقسنطينة منذ القديم و بعد أخذت إدارة الدومين هذا المسجد الذي كان حبسا لأن الاستعمار الفرنسي بعد احتلاله للوطن قرر أن يضرب الإسلام في الصميم إذ اعتبر أن كل مكان ديني سواء كان محبسا أم لا، له الحق في الاستيلاء عليه و أخذه. و ذلك نكاية في الدين. و في الأشخاص الذين حبسوا أرزاقهم في سبيل الله قصد المنفعة العامة أو الخاصة. و بالفعل فرنسا استولت على مسجد سيدي قموش الذي هو ملك محبس على آل باديس. و أن عائلة ابن باديس اشترت المسجد من جديد بعد الاستيلاء عليه.[256]

---

[255]. يحي بوعزيز:مقال بعنوان: "البعد الحضاري الديني والاجتماعي لثورة نوفمبر 1954 – 1962،5 ـ 6 .

[256] المرجع نفسه، 201.

4 ـ قصر التعليم على تحفيظ القرآن الكريم لا غير ، وذلك بمنع التعرض لتفسير الآيات التي تحث على الجهاد وتدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد .

5 ـ إصدارالاستعمار الفرنسي خلال عام 1904 م قانونا يمنع أي معلم عربي أن يتعاطى مهنته إلا برخصة تحدد نشاطه وفق شروط أهمها ما يلي :

1. اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير .
2. عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد .
3. استبعاد دراسة التاريخ العربي الإسلامي ، والتاريخ المحلي ، وجغرافية القطر الجزائري والأقطار العربية الأخرى .
4. .استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه . [257]

ثانيا ــ محاربة التعليم العربي الحر وإغلاق المدارس العربية الحرة :

حيث أصدرت السلطات الفرنسية قانون 8 مارس 1938 م والذي نص على وجوب الحصول على رخصة من إدارة الاحتلال قبل مباشرة التعليم وقد وضع هذا القانون شرطين لإعطاء الرخصة هما :

257 ـ نصر سلمان : المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام الجزائري :: مقال منشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد العاشر ، رجب 1422 هـ / سبتمبر 2001 م ، 37 .

. **الشرط الأول** : كفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية .

. **الشرط الثاني** : صلاحية المحل للتعليم ، مع توفر الشروط الصحية فيه .

وكان الغرض من هذا القانون هو القضاء على التعليم العربي الحر الذي نشط وانتشر على نطاق واسع خاصة بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والذي أصبح ينافس مدارس الاستعمار الفرنسي منافسة حادة (258)

مع ملاحظة بأن قانون 8 مارس 1938 م كان مقتصرا على التعليم العربي الحر فقط ولم يشمل التعليم الفرنسي الحر الذي تقوم به الهيئات المسيحية التبشيرية في الجزائر كما لم يشمل كذلك التعليم العبري الذي كانت تتولاه المعابد اليهودية ، وكانت لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم ونشاطهم الديني ، وفي فتح المدارس والمعابد والكنائس بدون أية رخصة . (259)

---

258 – رابح تركي :التعليم القومي والشخصية الوطنية، 176 .

259 – رابح تركي :التعليم القومي والشخصية الوطنية، 170، وقارن بـ : سعاد سطحي : وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية نموذجا مقال منشور بمجلة المعيار ، العدد العاشر ، 55 ـ 56 .

ومن مظاهر مضايقة فرنسا للتعليم الحر بقسنطينة، **غلق** مدرسة التربية و التعليم و فروعها بقسنطينة من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1957 زمن الثورة التحريرية الكبرى .[260]

ثالثا ــ نهب التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي كان موجودا في المكتبات الجزائرية من مخطوطات ووثائق وكتب . [261]

رابعا ـ محاربة اللغة العربية :وذلك عن طريق :

1. غلق كل الأبواب في أوجه الجزائريين حتى لا يتمكنوا من تعلم لغتهم .
2. فرنسة الإدارة ، والاقتصاد ، والتعليم [262] .

وفي سنة 1938 م صدر قرار وزاري من طرف وزير داخلية فرنسا **شودان chaudain** باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولا يسمح بتعليمها في معاهد التعليم سواء أكانت حكومية فرنسية أم شعبية حرة

---

[260] سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 204.

261 – مارسيل أجريتو 17 . نقلا عن التعليم القومي والشخصية الوطنية، 94 .

262 – عبد الرحمن سلامة : التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية ، 15 – 16 ، مكتبة الشعب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ، وقارن بـ : سعاد سطحي : وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية نموذجا ،مقال منشور بمجلة المعيار ، العدد العاشر ، 47

كمعاهد التعليم العربي الحر إلا على هذا الأساس وبترخيص خاص من إدارة الاحتلال .[263]

خامسا ـ القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية : [264] : لقد اعترف "الدوق دومال" الوالي العام على الجزائر في تقرير له إلى حكومته فيما يتعلق بالقضاء على مراكز نشر اللغة العربية حيث قال: " قد تركزنا في الجزائر واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات "[265]

سادسا ـ . تشويه تاريخ وجغرافية القطر الجزائري : مما لا شك فيه أن للتاريخ دوره الفعال في تكوين شخصية الأمم والشعوب، وذلك باعتباره أحد المقومات الأساسية لكل أمة من الأمم ، والأمر نفسه بالنسبة لجغرافية أي قطر من الأقطار لأنها ذات ارتباط وثيق ، واستراتيجية فعالة في تكوين الروح الوطنية والشخصية القومية ، ولذلك راح الاستعمار الفرنسي يحاول

---

263 ـ أحمد بن نعمان : التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي 165 – 168 .

264 – تركي رابح :التعليم القومي والشخصية الوطنية ، 93 – 94 .

265 – عبد الله بوخلخال : وضع اللغة العربية في الجزائر، مقال بمجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة العددان : السابع والثامن عشر ، ماي 1997 م ، 140 .

تشويههما ، وحرمان الجزائريين من دراستهما ، متبعا في ذلك الأساليب الدنيئة الآتية : [266] :

1 ـ الزعم الكاذب بأن أصول الجزائريين عرقيا تنحدر من بلاد الغال بجنوب فرنسا وليس من شبه الجزيرة العربية ، كما هو رأي معظم المؤرخين الثقات، وذلك حتى يتسنى لفرنسا حمل الجزائريين على قبول فكرة الإدماج وهذا باعتبار الجنس الذي يجمع بين الفرنسيين والجزائريين .

2 ـ اعتبار الفتح العربي الإسلامي للجزائر بمثابة غزوة عربية لها ، وأن فرنسا جاءت لتحرير الجزائر من هذا الاستعمار الذي جثم بكلكله على صدور الجزائريين طيلة ثلاثة عشر قرنا .

3 ـ الاستعاضة عن تدريس تاريخ الجزائر الأصيل بتدريس تاريخ فرنسا دراسة تفصيلية وذلك بغرض نشأة أبناء الجزائر وهم على جهل تام بتاريخ بلادهم .

---

266 ـ تركي رابح :التعليم القومي والشخصية الوطنية، 192 – 195، ط : 1395 هـ / 1975 م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر .

4 ـ حظر تدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها لأبناء الجزائر من قبل معاهد التعليم العربي الحر ، بل كان من شروط منح رخصة التعليم الحر وجوب استبعاد تاريخ الجزائر وجغرافيتها من منهج الدراسة

5 ـ تدريس جغرافية الجزائر لأبنائها على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من فرنسا.

6 ـ الاستعاضة عن تدريس جغرافية الجزائر بتدريس جغرافية فرنسا، حتى ينشأ جيل يجهل وطنه جغرافيا جهلا مطبقا .

والخلاصة : أن فرنسا كانت تهدف من ذلك إلى تكوين جيل هجين يجهل تاريخه الأصيل المرصع بالذهب الإبريز ، وجغرافية بلاده التي هي جزء من كيانه وهويته الوطنية، ليكون ولاؤه في النهاية لفرنسا يأتمر بأوامرها وينتهي بنواهيها ، ولا يختمر بذهنه أدنى شعور في مقاومتها، وإخراجها من الجزائر مذؤومة مدحورة ، وهذا أقصى أماني هذا الاستعمار البغيض .

الفصل الثالث

المراكز العلمية والثقافية والإعلامية بقسنطينة

المبحث الأول

المساجد بقسنطينة

وسنتناولها من خلال تمهيد حول رسالة المسجد في الإسلام وجملة من النقاط المتعلقة بقسنطينة على النحو الآتي :

تمهيد حول رسالة المسجد في الإسلام

إنّ المتأمّل لكتاب الله تعالى يلحظ اهتمامه البالغ بالمسجد، إذ ورد ذكره فيه ستا وأربعين مرة [267] ، ولا شكّ أنّ شيئا يتكرر ذكره هذه المرات كلها إلا دليل على أهمّيته ومكانته في حياة الأمم والأفراد وأن له دور القيادة والريادة في التوجيه والتعليم والإرشاد.

[267] محمد الداودي المسجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، ص 9-50 فتأمّله فإنه نفيس.

بل إن الرائي والدارس لتاريخ المسجد في الإسلام يقرّ بالدور الرسالي الذي كانت تلعبه هذه المساجد في حياة الأمم والأفراد ،إذ كان موطنا لـ:

1 ـ تصحيح العقيدة ،إذ إن سعادة الإنسان لن تتمّ إلاّ في ظلّ عقيدة صحيحة تصل الإنسان بربّه، انقيادا وانصياعا لأوامره، وبدينه تطبيقا واغترافا من نفائس كنوزه وبمجتمعه إخاء وسلوكا[268].

2 ـ تدريس العلوم النافعة .

3 ـ القضاء بين المتخاصمين، حيث كان المسجد في عصوره الذهبية محكمة تفصل بين المتنازعين، وتقضي بين المتخاصمين بالحق، وتردع الظلمة، وتردّ الحقوق للمظلومين .

4 ـ إفتاء السائلين : كان المسلمون على مرّ العصور إذا حزبهم أمر، أو أعضلت عليهم مسألة توجهوا للمسجد باحثين عن الحلّ. وإن تاريخنا الإسلامي المجيد ليطالعنا برسالة المسجد العظيمة في تقديم الفتاوى لطالبيها.

5 ـ علاج مرضى المسلمين : فالمسجد زيادة على أنه كان مختصا في معالجة الأرواح، وتطبيب النفوس، شهد تاريخنا المرصع بالذهب الإبريز أنه كان مقرًّا لمعالجة الأجساد من أدوائها وليس أدلّ على ذلك مما روته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : "أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حِبّان بن

---

[268] منصور الرفاعي عبيد : مكانة المسجد ورسالته. ص 68.

العرقة رماه في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ..... فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار . إلاّ الدم يسيل إليهم، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟، فإذا سعد يغذو جرحه دما، فمات منها ﷺ"[269].

6 ـ التدريب والرياضة : ولا أدل على ذلك من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: "رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم" وفي رواية "والحبشة يلعبون بحرابهم"[270].

ويمكن القول : بأنه لا مانع أن يكون بجوار المسجد ملاعب لمختلف الرياضات كالسباحة، ورفع الأثقال، وكرة القدم وغيرها، فإذا أذن المؤذن توقف اللعب وهدأت الحركة وتوجه الجميع للمسجد في خشوع وخنوع فإذا قضيت الصلاة دبت الحركة والنشاط من جديد[271].

7 ـ مقرّا للحكم والشورى : إذ بمجرد سماع المسلمين لنداء "الصلاة جامعة" يهرعون زرافات ووحدانا وبعد تأدية الصلاة يطرح الأمر المستجدّ للنقاش والمشاورة وقد يكون اختيارا لخليفة أو إمضاء لجهاد أو غير ذلك.

---

(269) البخاري كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. ح 4122، ج7/411-412.

(270) البخاري كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، ح 454 و 455 ج1/549.

(271) منصور الرفاعي عبيد : مكانة المسجد ورسالته، ص 100.

قاله أبو بكر الصديق ﷺ من على المنبر موضحا سياسته "لقد وليت عليكم ولست بخيركم، القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له، أطيعوني ما اطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"[272].

8 ــ دارا للفقراء والمساكين والغرباء : لقد كان مكانا ينزل فيه الغريب ويأوي إليه الفقير، ويكنّ فيه من لا مأوى ولا مسكن له، وليس أدلّ على ذلك من تخصيصه ﷺ مكانا لإيواء من لا بيت له، وعرف هذا بمكان أهل الصفة وكان عددهم حوالي سبعين فردا على رأسهم راوية الإسلام أبو هريرة ﷺ ، وكان النبي ﷺ ينفق عليهم من مال الصدقة، وتبرعات أهل الفضل[273].

والخلاصة : هذه نماذج مقتضبة ذكرناها على سبيل التمثيل لا الحصر لننبّه بها على غيرها، وإلاّ فرسالة المسجد أكبر من أن تحصر في مجموعة من النماذج، وعليه أقول :

فالمسجد له رسالة عظمى تنوء بحملها الجبال الراسيات، "فهو قلعة الإيمان وحصن الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرّج منها المسلم، هو بيت الأتقياء ومكان اجتماع المسلمين يوميا، ومركز مؤتمراتهم، ومحلّ تشاورهم وتناصحهم، والمنتدى الذي فيه يتعارفون، ويتآلفون، وعلى الخير يتعاونون، منه خرجت جيوشهم ففتحت مشارق الأرض ومغاربها، وإليه يرجع مسافرهم أول ما يرجع، فيه السّلوى، وفيه يعزي

---

[272] محمد الداودي : المسجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، ص 93.

[273] منصور الرفاعي عبيد: مكانة المسجد ورسالته، ص 101.

المسلم أخاه المسلم إذا أصابه مصاب، منه تخرّج العلماء والفقهاء، وفيه كان الجرحى يُمرَّضون، وبسواريه كان الأسرى يربطون، وفي رحابه كان التقاضي والقضاء، ومحاسبة الخلفاء، وفيه كانت المذاعنة تجري بين الرجال والنساء، وفيه كانت تتمّ قسمة الغنائم كما كانوا يعلقون فيه العذق ليأكل الجائعون والغلمان، فهو ملتقى الأمة وناديها وجامعتها، ومكان شوراها"[274].

بعد بياننا لرسالة المسجد من خلال تاريخنا الإسلامي المجيد نتساءل :

هل مساجدنا اليوم تؤدي رسالتها كما كانت تؤديها عبر تاريخنا الإسلامي العطر؟

ولا شك أن الجواب سيكون بالسلب، وإذا كان كذلك فأين يكمن الخلل؟ وذلك قصد معالجته.

هل الخلل في القائمين والمشرفين عليها؟

هل الخلل في روادها؟

هل الخلل يعود إلى عدم ثقة الناس برسالتها؟

هل هناك معوقات خارجية أدت إلى طمس رسالتها؟

وإننا من خلال ما نشاهده في واقعنا المعيش سنقرر بأنها لم تعد تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل، فإننا نرى أنه لزام علينا أن نتكلّم عن طرف مهمّ وفاعل

---

(274) خير الدين وانلي : المسجد في الإسلام . أحكامه، آدابه . بدعه، ص 9-11.

عليه تقع رسالة المسجد وبه يبرز دوره. أما وهم القائمون على شؤونه، هؤلاء الذين أرى بأنه لا نجاح لرسالته إلاّ إذا كان القائمون على المساجد أصحاب مؤهلات علمية عالية، تزيّنها أخلاق إسلامية رفيعة، ويحوطها حبّ عميق للإسلام، وحركة متأجّجة على نشر تعاليمه.

وعليه فإني أقول : الحفاظ الحفاظ على المسجد ورسالته، إذ المتأمّل لفترة الاستعمارية يلحظ أن من أولى أولويات الاستعمار القضاء على المسجد وجعله جسدا لا روح فيه وذلك لعلمه الدقيق بخطورته عليه إذا ما أُديت فيه رسالته على الوجه الأكمل، لأنه تخيفه كلمة الحق المنطلقة من المساجد، فحاول إسكات القذائف الصادرة من الله إلى صدر الظلم، فحوّل بعض المساجد إلى اصطبلات وكنائس، كما هو الشأن مع مسجد كتشاوة،ومسجد حسن باي ،وغيرهما ولكنّها ما هي إلاّ برهة من الزمن حتى تفطّن الاستعمار إلى عدم جدوى ذلك فانتهج سياسة أخرى، وهنا نتساءل ما هي هذه السياسة؟ هل هدم الاستعمار المساجد؟ وهل منع المصلين من الذهاب إليها؟

"كلاّ ما كان له أن يفعل ذلك وهو يعلم أن عوامّ المسلمين ودهماءهم لا تجرحهم إلاّ الظواهر، ولا تثيرهم إلاّ المظاهر، فليحافظ إذن على الظواهر والمظاهر شراء نذمم هؤلاء، وضمانا لولايتهم، فزخرف المساجد وفرشها زرابي حمراء، وطنافس خضراء وثريات تشيع مختلف الألوان والأضواء، وملأها خرافات وهراء وبدعا مقررة نكراء ونادى المصلين أن اقبلوا فهذا هو الدين.

أما مع الأئمة فكانت الكلمة القوية ترعب الاستعمار، وترهبه، فعمد إلى جعل المساجد تحت سلطانه إداريا يعيّن من يشاء من الأئمة، ويعزل من يشاء، فمن أطاع فله الرضى وأُعطي حتى يرضى، ومن عصى فلا لبن ولا زيت ولا طعام في البيت، ولا مرتّب ولا أجر، وجيوبه خالية آخر الشهر[275].

وفي الختام : أقول : حتى تؤدي مساجدنا رسالتها ينبغي أن يراعى فيها ما يأتي :

1 . تزويد المسجد بمكتبة ضخمة تضم أنفس الكتب وأنفعها في شتى ميادين المعرفة على أن تكون تحت تصرّف رواد المسجد قراءة وإعارة، إذ المتأمّل للمساجد التي أدت رسالتها في واقع الناس المعيش يجد من العوامل المساعدة على نجاحها في مهمتها العلمية وجود مكتبات ضخمة بين جنباتها.

يقول الدكتور البهي : "حوالي سنة 1270 هـ/1835 م أمر ديوان عموم الأوقاف بجرد مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحاراته، وقُيِّدت جميعها في سجلَّيْن جامعين.. وقد بلغ مجموع المجلدات في مكتبات أروقة الأزهر وحاراته 18564 كتابا"[276].

2 . رفع مرتبات القائمين عليها حتى لا يضطروا لممارسة وظائف جانبية أخرى تشغلهم عن أداء مهمتهم الأساسية المتمثلة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

---

[275] محمد العوضي سلام : من الظلمات إلى النور . بتصرف يسير . ص 58-59.

[276] الشيخ طه الولي : المسجد في الإسلام، ص 168.

5 ـ أن تكون الدروس المسجدية، وخطب الجمعة في مستوى طموحات رواد المسجد، تعالج مشاكلهم، وتلامس قضايا واقعهم المعيش، لا أن تكون عبارة عن كلام مستهلك لا يزيدهم إلاّ يأسا، وأحسن مثال على ذلك ما ذكره أحد الباحثين قائلا : "سمعت مرة خطيبا في قرية ريفية يتحدث عن مضار الخمور، وكيف تدرج القرآن في تحريمها، هذا وسكان القرية لا خمور لديهم، ولا يجدون أثمان طعامهم، وكان أولى به لو نهى عن التدخين وشرح أضراره".

وخطيب آخر في إحدى قرى الصعيد اختار لخطبة الجمعة الحديث عن أخطار الرحلات للدول الأوروبية، وما ينزلق فيه زوارها من فساد، وليس بين مستمعيه من يسافر إلى القاهرة، أو غيرها من المحافظات، ومن سافر منهم مرة للقاهرة، اعتبر نفسه رحالة زمانه.[277]

4 ـ أن تعقد بالمسجد ندوات علمية بين الفينة والأخرى، يُدعى لها ثلة من العلماء الأكفاء قصد معالجة ما يُستَجَدُّ من القضايا وثيقة الصلة بحياة الفرد والمجتمع، سواء أكانت فقهية أو طبية، أو اقتصادية... الخ.

وهذا يستلزم وجود ميزانيات معتمدة خاصة للمساجد الكبرى حتى تتمكن من استقدام من ترى أن في استقدامه نفعا للأمة.

---

[277] نور الدين طوابه : دور المسجد في المجتمع الإسلامي المعاصر ـ بحث ماجستير مخطوط، ص 144.

5 . أن يكون المشرفون على مؤسسة المسجد بدءا من الإمام ومرورا باللجنة الدينية وانتهاء بالقيم من ذوي الكفاءات العالية والخبرة بشؤون الحياة.

وأخيرا : وأنا أكتب عن المسجد ودوره في واقعنا المعيش وقع حوار بيني وبين المسجد، فإليكموه[278] :

يا مسجدي يا موطن الضياء ∴ ومنبع الوصال والإخاء

ومسكن الغريب في تاريخنا ∴ ومجمع العلوم والنقاء

جيوشنا من مسجدي قد خرجت ∴ وحطمت معاقل الأعداء

على حصائرٍ لمسجدي ∴ قد أُرسيت دعائم القضاء

وشُيِّدت بساحكم مجالس ∴ للذكر والعلوم والإفتاء

قد جئتُ يا مسجدنا لبابكم ∴ مفتّشا عن هذه الأشياء

لم ألقها فقلت يا إلهنا ∴ فما الذي دهى حظيرة السماء

وما الذي أفرغها من روحها ∴ وما الذي أرجعها حجارة جوفاء

وما الذي جرّدها من دورها ∴ وما الذي أخرجها من عالم الأحياء

---

(278) هذه الأبيات للأستاذ الدكتور : نصر سلمان ،أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة.

ولم تجد أسئلتي إجابة ∴ إلى نطقت صخورها الصمّاء

قائلة أحرجتني بسؤلكم ∴ رسالتي قد عقّها الأبناء

بساحتي تقاتلوا تطاحنوا ∴ وغيرهم قد جاوز الجوزاء

وقزّمت رسالتي وأهملت ∴ مبادئي شراذمٌ دهماء

وبعدما حاورني وردّ عن ∴ أسئلتي أجهشتُ بالبكاء

ثم انصرفتُ مرغماً ومزبداً ∴ مردّداً سيرجع الضياء

أولا– المساجد الأثرية الكبرى بقسنطينة :

1 ـ الجامع الكبير : هو الجامع المعروف اليوم بهذا الاسم: (الجامع الكبير) الموجود ببطحاء السويقة، بشارع بن مهيدي، و هو أقدم مساجد المدينة حسبما دلت عليه كتابة عربية بخط كوفي كانت حول المحراب، و نص تلك الكتابة هو: (هذا من عمل محمد بوعلي الثعالبي في عام 530) (الموافق 1136م).

تبلغ مساحته الإجمالية 595م².[279] ، جدد و وسّع الجانب المشرقي منه شيخ الإسلام محمد بن محمد بن عبد الكريم الفكون رحمه الله تعالى.[280]

كما جدد الفرنسيون المنارة و الميضة بتمامها، كما بدو قدمة الجامع من جهة باب المدخل الكبير المؤدي إلى شارع بن مهيدي.

و في سنة 1371هـ الموافق لـ 1951م وقعت إصلاحات ظاهرية لسقفه و أبوابه، و جصصت جدرانه، و صبغت بالدهن. و في عام 1388هـ/1968م بعد الاستقلال، وقعت تغطية فنائه، فأصبح مسقفا و مضافا لبيت الصلاة، أي حصن المسجد المقابل لبيت الصلاة، و كان من قبل غير مسقف – و لما زاد عدد سكان المدينة و ضاق المسجد بالمصلين، احتاجوا لتغطية الفناء المذكور و إضافته إلى بيت الصلاة، فكان المصلون بهذه التغطية في مأمن من الحر و الصر.[281]

و ممن درّس به الشيوخ :

1 ـ الشيخ المجاوي (1264 – 1332هـ / 1848 – 1913م) :

عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي: فاضل، نحوي،

---

[279] أمدّنا بهذه المعلومة الأستاذ: حسين بوعافية من بطاقة فنية أعدّت للمسجد من قبل مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة.

[280] استقينا هذه المعلومة من بطاقة فنية مخطوطة أعدّتها مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف للتعريف بالمسجد الكبير أمدّنا بها الفاضل حسين بوعافية المسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر الدينية بالمديرية نفسها.

[281] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الجوامع في الماضي و الحاضر، ص 232، 235.

له مشاركة في بعض العلوم. أصل عائلته من تلمسان، ولد بطنجة و كان والده قاضيًا بها. تعلم بتطوان ثم بجامعة القرويين بفاس. عاد إلى الجزائر فزاول التدريس بجامع الكتاني بقسنطينة ثم انتقل إلى العاصمة و درس في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية، له «إرشاد المعلمين» في مبادئ العلوم، و «نصيحة الإخوان» شرح قصيدة محمد المنزلي التونسي في التصوف، و «الفريدة السنية في الأعمال الجيبية» و «الدرر النحوية» شرح الشبراوية، و «تحفة الأخيار في الجبر و الاختيار» و «شرح المجرادية» في الجمل.[282]

2 ـ الشيخ محمد المكي بن سعيد البوطالبي : لقد كان الشيخ البوطالبي أحد فقهاء قسنطينة، إذ كان يدرس الفقه بها سنة 1850م بمرتب شهري قدره: 125 فرنكا، و كان قبل ذلك قد شغل منصب القضاء، توفي الشيخ البوطالبي بقسنطينة سنة 1282هـ/1865م، و دفن في فناء المدرسة الكتانية[283].

3 ـ محمد الشاذلي القسنطيني : الشيخ سيدي محمد الشاذلي، هو العلامة الفرد نقلا و عقلا، جامع أشتات مضائق الفنون، متضلع من كافتها كثير الاطلاع، حاد الفكر قوي العارضة ،أصله من طولقة بالزيبان،استوطنت أسرته مدينة قسنطينة ،فولد بها سنة هـ1222/ 1807م

---

(282) الحفناوي : تعريف الخلف، ج2، ص 449. وعادل نويهض : معجم أعلام الجزائر 95.

(283) كمال غرو: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية 105.

له أشعار رقيقة، تولى القضاء ثم أسندت لعهدته نظارة المدرسة الكتانية، أما استفتاؤه العلوم فكان من لدن علاَّمتي وقتهما الشيخ مصطفى باش تارزي و الشيخ العباسي، و لازمهما حتى نبغ في فنون الآداب و كانت له قدم راسخة فيها، و حسبه تلك الأشعار التي ساجل بها الأمير عبد القادر الجزائري في حال اجتماعهما بعاصمة باريس لدى ضيافة نابليون الثالث له، و هي مشهورة تضمن بعضها ديوان الأمير المذكور، و كانت له قوة ذكاء مفرط، يتحدث بها العامة و الخاصة، و له عدة قصائد في مواضيع جمة ،منها قصيدته السياسية في الأمير عبد القادر ،ومطلعها :

أيا ذاهبا نحو الخليفة بلغـــن سلاما يفوق الند عرفا يجدد

ووجهك عفر في تراب نعاله وبث له وجدي فإنك تحمد

و توفي في حدود سنة 1280/ 1877 م، و دفن بداخل المدرسة الكتانية التي كان ناظرا عليها، و قبره بها حتى الآن.[284]

4 ـ **المولود بن المَوْهُوب القسنطيني : (1283–بعد 1349هـ/1866–بعد 1930م)** : مولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود الموهوب: أديب له نظم من رجال الإصلاح الاجتماعي في الجزائر. ولد بقسنطينة. و ولي بها إفتاء المالكية و التدريس في

(284) أبو القاسم سعد الله : محمد الشاذلي القسنطيني 1807 ـ 1877، دراسة من خلال رسائله وشعره ، ص 14 ـ 18 ، و69، والحفناوي : . تعريف الخلف برجال السلف 2/ 225.

الجامع الكبير (1895) له كتب، منها «مختصر الكافي» في العروض و «نظم الأجرومية» و «شرح منظومة التوحيد» للمجاوري.[285]

5 ـ الشيخ الونيسي : هو أحمد بن حمدان لونيسي، الذي كان منتميا للطريقة التجانية، سالكا منهجها، أحد شيوخ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي تتلمذ على يديه بجامع سيدي محمد النجّار، إذ أخذ عليه مبادئ العربية، و المعارف الإسلامية، كما وجهه وجهة علمية أخلاقية و كان ابن باديس يعترف بفضله، و تأثيره فيه، هذا و قد هاجر الشيخ لونيسي إلى المدينة المنورة متبرما من الاستدمار الفرنسي، و سلطته، مجاورا بها، مدرسا للحديث إلى أن توفاه الله – عز و جل – بها، و حين عزم على الهجرة تعلّل لدى السلطات الفرنسية بأنه مسافر لمعالجة بصره[286].

6 ـ الشيخ مرزوق بن الشيخ الحسين : أحد أساطين الفتوى في عهده درس بكل من جامعتي الزيتونة و القرويين، بعد عودته للجزائر التحق بمساجد عين البيضاء و أم البواقي، و كان حينها مفتيا للثورة الجزائرية، ثم انتقل إلى قسنطينة ليدرس بكل مسجد سيدي بومعزة، و سيدي قموش ليحط أخيرا عصا الترحال بالجامع الكبير الذي خطب فيه و درّس، و أفتى النّاس، كان صريحا في قول كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم، و من

---

(285) الزركلي: الأعلام، 333/8، و نهضة الجزائر الحديثة، 134/1.

(286) عمار الطالبي: مدخل إلى الحياة العقلية و النهضة الحديثة بالجزائر، و هو عبارة عن تقديم لابن باديس و آثاره ينظر: ابن باديس حياته و آثاره 1 / 84. ط : 2، 1403هـ/1983م، دار [illegible] الإسلامي، بيروت، لبنان

ذلك معارضته لنهج الثورة الزراعية في السبعينات، و كان يصدح و يصرّح بذلك، كما كان وقافا عند تطبيق السّنة، إذ كان يقبض في الصلاة، و لا يسدل، و يقول لمن يسأله عن ذلك: إنه مذهب مالك، إنه مذهب أهل السّنة و الجماعة[287].

كما كان يقدر مآلات تصرفات بعض العامة، إذ رأى في يوم صائف شابا يتوضأ، و يبالغ في إزالة النجاسة لدرجة أنه يبلّل سرواله إلى نصف الساق، فلما رآه الشيخ مرزوق يفعل ذلك مرارا علم أن به وسواسا قهريا حيال إزالة النجاسة فطلب منه أن ينزع قميصه، ففعل الشاب، فذهب الشيخ بالقميص و رماه في المائضة، ثم طلب من الشاب أن يلبسه و يصلي، و أمره بعدم المبالغة و الإفراط في إزالة ما يعتقده من نجاسات، ثم لما سئل الشيخ عن ذلك، قال: لو تركناه لوسواسه القهري سينتهي به إلى ترك الصلاة، فما أحكمه من أسلوب في معالجة الملمّات التي تحط بكلكلها على تصرّفات بعض أبناء أمته.

و هكذا بقي الشيخ مرزوق يؤدي رسالته الدعوية، و الفقهية، و قد كانت له صلات حميمية و وثيقة بالشيخ محمد الغزالي حينما كان مقيما

---

(287) وهو من رواية ابن الحكم عن مالك ،غير أن المشهور عنه من رواية ابن القاسم السدل ، قال ابن القاسم : "وقال مالك في وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة قال : لا أعرف ذلك في الفريضة ، قال ابن القاسم : وكان مالك يكرهه ، ولكن في النوافل إذا طال القيام ،فلا بأس بذلك يعين به نفسه " المدونة 1 / 76 .

بقسنطينة أثناء تدريسه و رئاسته للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، إذ كان الشيخ مرزوق يستضيفه بين الفينة و الأخرى.

بعد عمل دؤوب مليء بالوعظ، و الإرشاد، و التوجيه، و الإفتاء فاضت روحه إلى بارئها سنة 1989م فرحمه الله في الخالدين[288].

2 ـ مسجد سيدي الكتاني : لقد كانت فكرة صالح باي الأولى هي أن يبني مسجدًا لعبادة الله. و تحقيقًا لهذا الغرض شرع في بناء مسجد سيدي الكتاني سنة 1190 هجرية (الموافق لسنة 1776 ميلادية)، كما تشير إلى ذلك الكتابة العربية المنقوشة على ضريح أسرة صالح باي حيث يظهر مكان الدفن في آخر الفناء الداخلي للمدرسة، و فوق باب المسجد القديم.

و في سنة 1789م فقط زودت قاعدة الصلاة بكرسي من رخام وضع على يمين المحراب و هو تحفة حقيقية استورد قطعة قطعة من مدينة أيفورنه بإيطاليا حيث كان صالح باي يستورد معظم أدوات البناء الثمينة و كذا أهل الحرف الذين كان يستعين بهم في البناء المعماري و يستعملهم استعمالا كاملا.[289]

---

[288] أمدّنا بهذه المعلومات كل من السادة الأفاضل: الدكتور: حسن برامة أستاذ العقيدة بجامعة الأمير عبد القادر، و الأستاذ: عبد العزيز شلي أستاذ التفسير بجامعة الأمير عبد القادر، و صهري الطالب أحمد سطحي أحد حفظة كتاب الله الذين جالسوا الشيخ و حضروا بعض دروسه .

[289] أوجين فايسات: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي من 1792م إلى 1837م، ص 47-48.

تبلغ مساحته المبنية إجمالا 595م².[290]، و لما زار نابليون الثالث مدينة قسنطينة في عام 1281هـ/1864م أمر بإدخال إصلاحات على جامع سيدي الكتاني بالدائرة العليا فوق الباب الخارجي الشرقي و على الواجهة الشرقية من حايط المدرسة.

و موقع جامع سيدي الكتاني بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة الذي كان في زمن الاستعمار يعرف بساحة (Négrier) و يعرف حاليا بسوق العصر. و هو ينفتح من جهة الغرب على نهج بن المرفوف و من جهة الجنوب الشرقي نهج بوهالي العيد و بني هذا الجامع إلى جوار طريق يعرف باسم الكتاني و من ثم استمد الجامع التسمية منه.[291]

هذا و قد تداول على التدريس فيه جمع من العلماء المبرّزين[292] منهم :

1 ـ الشيخ عبد القادر المجاوي .

2 الشيخ محمد المكي بن سعيد البوطالبي .

3 ـ الطاهر بن زقوطة : هو أحد فقهاء مدينة قسنطينة و وعاظها، ولد سنة 1875م، من أبرز مشايخه الشيخ حمدان الونيسي، الذي أخذ عنه

---

[290] استقينا هذه المعلومة من بطاقة فنية مخطوطة للمسجد بمديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة أمدّنا بها الفاضل حسين بوعافية مسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر الدينية.

[291] كمال غربي: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، 103.

[292] المرجع نفسه، 105-109.

و أجازه، و من أبرز تلاميذه الشيخ محمد خير الدين أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، الذي انضم إلى سلك طلبة الشيخ الطاهر بن زقوطة سنة 1917م.

قال فيه الشيخ أحمد حماني: «و قد عرفت الشيخ الطاهر خطيب جامع (سيدي الكتاني، أو صالح باي)، و كان عظيم التحصيل، كفؤا في مهنته، يشتغل بتلقين الطلبة الواردين مُختلف الفنون الإسلامية، و العلوم العربية»، كما كان مقتدرا ينشئ خطبة الجمعة كل أسبوع بقلمه، و يجتمع الطلبة لسماع دروسه في العربية و الدين، توفي رحمه الله في 10 محرّم سنة 1368هـ الموافق لـ 13 نوفمبر 1948م، و هكذا رزئت قسنطينة بفقد قامة علمية كبيرة، كانت لها القدم الراسخ، و الباع الكبير، و اليد الطولى في بث العلم و نشره، فجزاه الله على حسن صنيعه خير الجزاء، و وهبه حسن المثوبة و العطاء[293].

4 ـ **الشيخ أحمد بن مرزوق الحبيباتي** : أحد أعيان مدينة قسنطينة و مشاهيرها: و فقهائها المبرزين كان يدرس الفقه و التوحيد، و العربية بسائر فنونها و تخصصاتها بمساجد قسنطينة و زواياها، كان متصفا بالورع و التقوى، و البعد عن مواطن الريبة و الشبهات، ناشرا للعلم و المعرفة إلى

---

[293] أحمد حماني: صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس. 2 / 277 مق د 56.

أن لقي ربّه بقسنطينة في العاشر من محرّم عام 1355هـ الموافق لعام 1938م[294].

5 ـ محمد الشاذلي القسنطيني.

3 ـ الجامع الأخضر: الجامع الأخضر أحد الجوامع الثلاثة الجامعة الباقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة.

أما مؤسسه فهو حسين بك بن حسين 1149-1167هـ / 1736-1754م فحكم البلاد 17 عاما مقتفيا أثر سلفه في سياسة التعمير و الإنشاء فنظم المدينة و خطط شوارعها و أنشأ منازل رفيعة و بناءات ضخمة لكامل أعيان البلد، و حافظ على توطيد الأمن طيلة مدة حكمه. و كما كان له ولع بالعمارة كانت له عناية فائقة بالعلم فقد وجد في المحفوظات الكتابية إذن صدر منه لعائلة ابن وادفل في تأسيس مدرسة عليا للحقوق بالمسجد الذي أمرهم بتأسيسه في عين فوا. و بني الجامع الأخضر للتعليم كما هو منقوش فوق مدخل بيت الصلاة، ما نصه :[295]

«أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم، و تشييد بنائه للصلاة و التسبيح و التعليم ذو القدر العلي و التدبير الكامل و حسن الرأي، أميرنا و سيدنا حسين باي أدام الله أيامه. و كان تمام بنائه أواخر شهر شعبان سنة ست و خمسين و مائة و ألف و دفن مؤسسه – رحمه الله – في التربة المجاورة

---

(294) كمال غربي: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية. 107.

(295) سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 196، 199-200.

للجامع مع عائلته و بعض العلماء رحمهم الله أجمعين»، و يسمى بالجامع الأعظم.

تبلغ مساحته الإجمالية 520م2.[296] و قد أخذ شهرته التي عمت الآفاق في الجزائر و غيرها و ذلك في عهد أبي النهضة الجزائرية فقيد العروبة و الإسلام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله الذي قام بالتدريس فيه لطلبته و تفسير القرآن الكريم به مدة 25 سنة.

و الجامع الأخضر يوجد بالجزارين قرب رحبة الصوف بقسنطينة و هو الآن تقام فيه الصلوات الخمس ، و الجمعة و تارة بعض الدروس العامة في الوعظ و الإرشاد أما عهد ازدهاره أيام كان الشيخ عبد الحميد بن باديس حيا. فقد انتهى و لله الأمر من قبل و من بعد.[297]

هذا و قد درّس به ثلة من العلماء[298] منهم :

1 ـ عبدُ القادرِ الرَّاشدي : العلامة المحقق المجتهد الأصولي الكلامي قرافي وقته، و عضد زمانه، نسبة الرواشد مدشر من مداشر فرجيوة، توفي أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر.

له من المؤلفات كتاب حافل في مباحث الاجتهاد، يدل على تبحره في علمي الكلام و الأصول، ادعى فيه الاجتهاد، و له حاشية محشوة

---

(296) استقينا هذه المعلومة من الأستاذ حسين بوعافية مسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر الدينية بمديرية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة، و ذلك من خلال إعداده لبطاقة فنية لهذا المسجد.

(297) سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 196، 199-200.

(298) راجع غربي كمال: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، 122.

بالتحقيق و الإتقان على شرح السيد للمواقف العضدية، و تأليف صغير الحجم تعرض فيه لكثير من عائلات قسنطينة و قبائلها، و بيان الشريف منهم و العربي و البربري، و له قصيدة فائضة في غاية من البلاغة في مدح النبيّ صلّى الله عليه و سلّم، تولى قضاء قسنطينة و فتواها مرارًا ا هـ. من خط الشيخ الونيسي. و له رسالة في تحريم الدخان، شحنها أولا ببيان شافٍ في حال الدخان، ثم جلب من الأدلة المقتضية لحرمته ما لا مزيد بعده، و له رسالة في وزن الأعمال ضافية تعرّض فيها لمباحث علم الكلام، و ناقش فيها بوجه خصوصي العلماء القائلين بالتأويل في مبحث المتشابه، كما أن له قصيدة شرحها في الرد على أضداده في قضية المتشابه مطلعها:

خبّرا عنّي المؤوّلَ أنّي ... كافرٌ بالذي قضتْهُ العقولُ

ما قضتْهُ العقولُ ليسَ من الدّين ... إنّما الدّين ما حوتْهُ النقولُ

و له تعليقات جمة، و فتاوى و مسائل ابتكارية جليلة، و تفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي ا هـ. من خط الشيخ محمود كحول القسنطيني.

قال الورتيلاني في «رحلته»: و قد وقعت بينه و بين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة، و منازعة كبيرة في مسألة، حتى رموه بالتجسيم بل بعضهم كفره، و من الإسلام أخرجه، و ذلك خطر كبير في الدين، قال الشيخ زروق: إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة إسلامية أهون عند الله من إخراج مسلم واحد بشبهة كفرية، و ذلك من تلامذته و محبيه، و هذه

المسألة قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[299] فقال هو في اليد: إنها حقيقة، و مع ذلك إنها ليست جارحة و لا جسمًا، بل يستحيل ذلك لأنه يؤدي إلى الحدوث و الإمكان، و قدح في التأويل لها بقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق، لأن التأويل محوج إلى الدليل و الخروج من الحقيقة إلى نوع من المجاز، فلم يكترث بالتأويل إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل، و لأن التأويل و إن كان صحيحًا ففيه ابتغاء الفتنة و إنما تنتفي على التسليم في صحة التأويل، و إن كان في علم الله كذلك لأن المصيب في العقائد واحد، فقد اتفق أهل السنة قاطبة على نفي الجارحة، و ما يؤدي إلى الإمكان و الحدوث و التجسيم، فمن قائل: إن له يدًا حقيقة، و العلم بها موكل إلى الله تعالى، فلا يستلزم هذا التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جلَّ جلاله، فأنَّى أو كيف أو متى يلزمه، و إنما هو تحامل عليه سببه الحسد و البغض و التنافس، و إنما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم، بل و قد نسبوا إليه كثرة الرشوة و غير ذلك مما لا يناسبه، بل سمعت من بعضهم أنه قال: صرح بالتجسيم غيرما مرة، فقلت حين اجتماعي بهم: مجرد هذا الإطلاق لا يلزم عليه ذلك إذ عليه أكثر الأمة، و منهم من أولها بالقدرة، و منهم من توقف، فلما أراني الرسالة الموضوعة لهذا الكلام، رأيتها منقحة سالمة من سوء الاعتقاد خصوصًا التجسيم، و غايتها أنه يبطل أدلة المؤول و يصحح القول به

---

[299] سورة : ص 75 .

حقيقة، غير أنها لا يعلمها إلا الله، لكن هذا كله بعد نفي التجسيم، و ما يشعر بالإمكان و الحدوث، و قد بالغوا في تضليله إلى أن أرادوا الفتك به عند السلطان، فسلم و الحمد لله، و نجا من شرهم، غير أنهم أخرجوه عن الموضع المعدّ له من القضاء، و صيَّروه لأنفسهم بالتعلق ممن كان متمكنًا من السلطان، نعم قلبي سالم من جميعهم، و محب في جانبهم، و راغب فيما عندهم، و معظم ما هو لديهم، و قد قال خليل: و لا عالم على مثله كالتيوس، فبينهم قرح و على غيرهم لا قدح و لا جرح، فإن كانت الشريعة لم تقدح فيهم، فكيف بمثلي أن يجعله غرضًا لسهام الناس، و يرميهم بالأغراض الخبيثة و الخصال الذميمة، طهرهم الله من تلك الأوصاف و نزههم من هذه الأخلاق الخسيسة ا هـ[300].

2 ـ الشيخ عبد الحميد بن باديس (1305 – 1359هـ / 1889 – 1940م) : عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: من كبار رجال الإصلاح و التجديد في الإسلام، و رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر منذ بدء قيامها سنة 1931 إلى وفاته. ولد بمدينة قسنطينة و بها بدأ دراسته الأولى، ثم انتقل إلى تونس سنة 1908 فأتم دراسته في جامعة الزيتونة. و في السنة 1912 اتجه إلى الحجاز و أدى فريضة الحج، و عاد إلى قسنطينة بعد سنة فأقام بها يعلم النشء الجزائري و يعدّه من أجل المستقبل، و في السنة 1926 أصدر جريدة «المنتقد»

---

(300) الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف 2 / 34-37.

و لكنها لم تعمر طويلاً، فقد عطلتها السلطات الاستعمارية بعد أن صدر منها 18 عددًا فأصدر بعدها (1926) مجلة «الشهاب» و قد صدر منها في حياته نحو 15 مجلدًا تعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر و نهضتها الحديثة فيما بين الحربين الأولى (1914) و الثانية (1939). و أصدر - فيما بعد - صحفًا أخرى كالشريعة، و السنّة المحمدية، و الصراط، و لكنها أيضًا لم تعمر طويلا. و كان شديد الحملات على الاستعمار الفرنسي، و حاولت الحكومة الفرنسية إغراءه ببعض المناصب فامتنع و قاومه أبوه - و كان له مقام محترم عند حكومة الجزائر - و قاطعه إخوة له كانوا من الموظفين و هو مستمر في جهاده، و قد امتد نشاطه إلى المدن الجزائرية الأخرى كمدينة الجزائر و تلمسان و وهران و غيرها. و أنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرًا من المدارس. توفي بقسنطينة في أوائل الحرب العالمية الثانية سنة 1940، و قد قيل أنه مات مسمومًا. له «تفسير القرآن الكريم».،الذي اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما ،ونشرت نبذ منه ،ثم جمع بعض تفسيره باسم " مجالس التذكير ".[301]

4 ـ جامع حسن باي : هذا الجامع أيضا من أهم مساجد المدينة، و كان قبل الاحتلال الفرنسي يعرف باسم (جامع سوق الغزل) و المراد بالغزل: (الصوف المهيأة للنسج)، أمر ببنائه الباي حسن المعروف باسم (قليان)

---

[301] نويهض : معجم أعلام الجزائر 82-83 ،والزركلي : الأعلام 3 /289 ومحمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس " كتاب كامل " ، ومصطفى حميداتو : عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ وجهوده التربوية ، " كتاب كامل عن ابن باديس" .

و يكنى أيضا بأبي كمية، الذي حكم قسنطينة مدة 25 سنة أي من عام 1125 إلى عام 1150هـ (1713-1737م) و تم بناء هذا المسجد في عام 1134هـ/1721م، و كان عهد بتصميمه و بنائه إلى كبير كاتب دولته الحاج عباس بن علي من آل عبد الجليل (ابن جلول) حسبما دلت عليه كتابة عربية منقوشة على رخامة وجدت بإحدى بيوت قصر الباي المجاور للمسجد. و يقال إن الحاج أحمد باي بن محمد الشريف آخر بايات قسنطينة زاد في سعة هذا المسجد المجاور لقصره.

و في أيام الاحتلال الفرنسي، استقرت القيادة العسكرية الفرنسية بقصر الباي المذكور، و لكنها تحرجت من مجاورة المسجد لها، فانتزعته من المسلمين، و حولته إلى كنيسة كتدرائية.

و ظل كذلك إلى أن ردته السلطة الثورية بعد الاستقلال إلى أصله الإسلامي في عام 1382هـ/1963م. و كان يتولى التدريس فيه جماعة من علماء المدينة، تبلغ مساحته الإجمالية 612م^2.[302]

وجامع حسن باي يعرف أيضا بجامع سوق الغزل ويقع شرق قصر أحمد باي إلى الغرب من شارع ديدوش مراد الذي يعرف في زمن الاستعمار الفرنسي بشارع كرمان و يعرف حاليا عند العامة بشارع فرنسا Rue de France يطل على ساحة شوشان عبد الباقي من الناحية الشمالية و من

---

[302] استقينا هذه المعلومة من بطاقة فنية أعدّتها مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة أمدّنا بها الفاضل حسين بوعافية أحد مسؤولي مصلحة المساجد و الشعائر الدينية بالمديرية.

الغرب على نهج بودشيش بلقاسم تقول بعض الدراسات إن هناك من يرى أن بناء الجامع كان من طرف الباي بوكمية و ليس الحاج عباس.

ولجامع سوق الغزل (حسين باي) عدة واجهات، الواجهة الغربية و الواجهتين الشرقية و الجنوبية.

و ممن درّس به :

1 ـ الشيخ ابن الطبال : العلامة الجليل الشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن الطبال، فريد عصره، و وحيد دهره علما و عملا، حامل لواء المذهب الحنفي على عاتقه، له اليد الطولى في البديع و الأصول و المنطق أخذ عن كثير، و لازم الشيخ العباسي حتى تخرّج عنه، و تولّى التدريس بمدرسة الجامع الأخضر، و الخطابة و الإمامة بجامع سوق الغزل، توفي سنة 1250هـ[303].

2 ـ مصطفى العجمي القسنطيني : العلامة الشيخ مصطفى العجمي فريد الوقت و الزمان كان يشار إليه في الفقه المالكي و حله لمعضلاته أكمل شرح الشيخ سالم السنهوري على مختصر خليل، و تولى الإمامة بجامع سوق الغزل، حتى مات في حدود سنة 1240 [304].

3 ـ الشيخ بلقاسم الزغداني .

---

[303] الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف 2 / 224.

[304]. نفسه 2/ 444.

4 ـ **الشيخ بوجمعة جعلاب** : ولد بضواحي تاملوكة ولاية قالمة سنة 1923م، قرأ القرآن الكريم على والده، و حفظه عليه، قبل بلوغه الحلم أدخله والده المدرسة الخيرية المستقلة بعين البيضاء ولاية أم البواقي حاليا سنة 1939م فدرس على شيوخها آنذاك حوالي عامين، درس مبادئ في الفقه و النحو و مبادئ في الحساب و الرياضيات و غيرها ...

و كان في تعلمه مجتهدا متخلقا، مما جعله محببا لدى شيوخها و بخاصة شيخه الخضر بن العربي بوكفة الحركاتي.

ـ و بطموحه و نصيحة شيخه الخضر المذكور رحل إلى جامع الزيتونة بتونس في أكتوبر عام 1944م، و بقي بجامع الزيتونة إلى جويلية سنة 1955م حيث تخرج بحصوله على الشهائد التالية:

- الأهلية عام 1949م.
- التحصيل عام 1952.
- العالمية من كلية الشريعة شعبة أصول الدين بالجائزة الأولى جائزة الباي جويلية 1955 و هذه أعلى شهادة في ذلك التاريخ بجامع الزيتونة و قد نظرت هذه الشهادة بالجزائر بشهادة الليسانس في اللغة.
- شهادة الماجستير في النحو العربي بجامعة منتوري بقسنطينة رجب 1416هـ / 13 ديسمبر 1995م.
- و له بحث بعنوان سيبويه قدمه سنة 1975م و نجح فيه سنة 1976 الموافق لجمادى 1 1396هـ.

- رجوعه إلى الوطن سنة 1955م.

وكان أول تدريس له بجمعية التربية و التعليم التابعة لجمعية العلماء سنة 1956-1957م فجمعية السلام، فالكتانية، فثانوية الحرية 1964 فثانوية يوغرطة. و كانت مدة تدريسه في حياته 40 سنة و 6 أشهر، و في الجامعة المركزية بقسنطينة درس بها مدة أربع عشرة سنة عدة مقاييس من سنة 1980 إلى آخر سنة 1993م ثم تقاعد بعد ذلك.

- انخراطه في جمعية النور للمحافظة على القرآن الكريم كعضو، فرئيس متطوع بمكتب الجمعية عام 1991م إلى 2014م.

- تولى الإمامة و الخطابة، و الوعظ و الإرشاد بمساجد قسنطينة مدة (24) أربع و عشرين سنة منتدبا من قبل مديرية الشؤون الدينية تارة و متطوعا تارة أخرى لاسيما في مسجد الباي (حوالي 8 سنوات و توقف عن الخطابة سنة 2008 لكبر سنه).

- كان عضوا منتخبا في بلدية قسنطينة من سنة 1975 إلى 1979م.

- متزوج وله ثلاث بنات متزوجات و إطارات في التعليم الإبتدائي و المتوسط و الثانوي، و ذكران أحدهما طبيب متخصص في الأمراض الصدرية و له عيادة خاصة به، و الثاني مهندس دوله محلّف متخصص في الزخرفة.

و الشيخ في الخير غايته مع إخوانه في مكتب الجمعية التي تهتم بالشباب من الذكور و الإناث، في العمل على تحفيظ أكبر عدد من طلبتها

و طالباتها للقرآن الكريم، و قد حقق الله ذلك لهذه الجمعية التي تلقى الدعم من المحسنين و السلطات المحلية و الولائية خدمة للدين و الوطن، مما شرف هذه الأمة[305].

5 ـ مسجد سيدي بومعزة : يقع سيدي بومعزة في نهج الشيخ عبد الحميد بن باديس رقم 26 بقسنطينة. كان في أول أمره مركزا للمكتب الابتدائي العربي الذي تأسس سنة 1922 و انتهى سنة 1927 ثم سيدي بومعزة الذي هو محل للتعليم و الصلاة قد صار فرعا تابعا للجامع الأخضر مثل سيدي قموش و بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله في 1940/04/16 رجع سيدي بومعزة فرعا تابعا لمدرسة التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة و بقي على هذا الحال إلى أن أغلقت مدرسة التربية و التعليم و فروعها بقسنطينة من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1957 زمن الثورة التحريرية الكبرى ثورة أول نوفمبر 1954. ثم بعد ذلك رجع فرعا تابعا لجمعية الحياة الإسلامية بقسنطينة. هذه الجمعية كان يرأسها أحد المصلحين و هو السيد غيموز .

و في عهد الاستقلال جعل سيدي بومعزة مدرسة و قد وقع تغيير اسم سيدي بومعزة باسم زغدود و صارت المدرسة تسمى مدرسة – زغدود –

---

(305) وثيقة أمدنا بها أ. صالح بوحيلة أستاذ التعليم القرآني المنتدب للإشراف على جمعية النور للمحافظة على القرآن الكريم.

و منذ مدة أزيل اسم مدرسة زغدود و انتهت المدرسة و رجع سيدي بومعزة سكنى و هذا من غرائب الأمور.

إن سيدي بومعزة له ماض تليد حافل بالأعمال المفيدة في تاريخ الجزائر العربية المسلمة فهو – تاريخا – مدرسة و مسجد للصلاة و التعليم – قد لعد أدوارا هامة في نشر العربية و الإسلام بالجزائر زمن الاستعمار الفرنسي الغاشم و لهذا تجب المحافظة عليه و الإبقاء على اسمه كتراث جزائري للأجيال ليعرف الأبناء ما هي الأعمال الجليلة التي قام بها أجدادهم الكرام للمحافظة على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة بفضل مراكز التعليم هذه في أحلك الأحوال.[306]

6 ـ مسجد سيدي قموش : يقع مسجد سيدي قموش في زنقة الخط 23 رقم 3 هذه الزنقة تتفرع من نهج بن عميرة مولود و نهج بن عميرة يتفرع من نهج 19 جوان (نهج فرانس سابقا) بقسنطينة هذا المسجد هو من أملاك آل باديس بقسنطينة منذ القديم و بعد الاحتلال الفرنسي. أخذت إدارة الدومين هذا المسجد الذي كان حبسا لأن الاستعمار الفرنسي بعد احتلاله للوطن قرر أن يضرب الإسلام في الصميم إذ اعتبر أن كل مكان ديني سواء كان محبسا أم لا، له الحق في الاستيلاء عليه و أخذه. و ذلك نكاية في الدين. و في الأشخاص الذين حبسوا أرزاقهم في سبيل الله قصد المنفعة العامة أو الخاصة. و بالفعل فرنسا استولت على مسجد سيدي

---

(306) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 204.

قموش الذي هو ملك محبس على آل باديس. و أن عائلة ابن باديس اشترت المسجد من جديد بعد الاستيلاء عليه.[307]

ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن التاسع الهجري، و هو ملك لآل ابن باديس، قام السيد محمد المصطفى والد الشيخ ابن باديس بإدخال إصلاحات بالمسجد سنة 1924م، تبلغ مساحته الإجمالية 80م^2، كان العلاّمة عبد الحميد بن باديس يلقي دروسه فيه، كما يوجد به ضريح العالم الجليل سيدي بركات ، و هو من أسلاف العائلة الباديسية، و المسجد لا زال لحد الآن تقام به الصلوات الخمس و كذا الدروس.[308]

7 ـ مسجد سيدي ميمون : من أقدم المساجد بالمدينة أنشئ خلال سنة 1700م، و كان يضم مكاتب المحكمة الشرعية الإسلامية قبل نقلها و تحويلها من طرف السلطات الاستدمارية إلى مسجد "الأربعين شريفا" جدد بناؤه خلال الثمانينات ، تقام به إلى يومنا صلاة الجمعة و الدروس و التعليم القرآني للصغار، تبلغ مساحته الإجمالية 338م^2 و هي المساحة المبنية.[309]

---

[307] المرجع نفسه، 201.

[308] استقينا هذه المعلومات من السيد الفاضل حسين بوعافية مسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر الدينية بمديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة.

[309] راجع في ذلك البطاقة الفنية للمسجد المعدّة من قبل مدير الشؤون الدينية لولاية قسنطينة، و هي مخطوطة أمدّنا بها الأستاذ الفاضل حسين بوعافية المسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر الدينية.

8 ـ مسجد الأربعين شريفا : يعتبر من أقدم المساجد بالمدينة، لا نعرف بالضبط تاريخ نشأته و لا مؤسسه الحقيقي يقع ضمن النسيج العمراني بوسط المدينة العتيقة، تقام به صلاة الجمعة و الدروس و التعليم القرآني للصغار، تبلغ مساحته الإجمالية 182م^2 و هي المساحة المبنية.[310]

9 ـ مسجد سيدي عبد الرحمن القروي: من أقدم المساجد بالمدينة، بني خلال القرن 16م.

جدد بناؤه سنة 1161هـ الموافق لسنة 1738م، يتكون من الطابق الأرضي و العلوي.

قلصت مساحته إلى 110م^2 و جدد بناءه المحسنون في سنة 1968م.

كان آخر المدرسين به الشيخ الفقيه محمد الشريف الوزان

أحد مشاهير فقهاء قسنطينة، ولد في 17 ماي 1907م بقسنطينة، كان من المبرّزين في ميدان الفتوى، إذ كان فارسها الأول دون منازع، بين عصريّه الشيخ مرزوق بن الشيخ الحسين كان إذا استعصى عليه أمر بعض الفتاوى، أرسل أصحابها للشيخ محمد الشريف الوزان ليفتيهم، و هذه دون شك شهادة عمليه من عالم لعالم، و أكرم بها من تزكية و شهادة.

هذا و قد بقي الشيخ محمد الشريف الوزان، خطيبا يؤم الناس و واعظا، و مصلحا، و مفتيا عبر عقود من الزمن، إلى أن وافاه الأجل يوم:

---

(310) هذه المعلومات مستقاة من بطاقة فنية للمسجد أمدّنا بها السيد حسين بوعافية مسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر الدينية بمديرية الشؤون الدينية بقسنطينة.

26 نوفمبر 1989م عن عمر ناهز 82 سنة، بعد حياة مليئة ببث العلم و نشره[311].

والمسجد الآن تقام به صلاة الجمعة و الدروس، تبلغ مساحته الإجمالية 200م2.[312]

10 ـ مسجد الأمير عبد القادر : [313] :إن مركب الأمير عبد القادر مسجدا و جامعة و ضريح محمد الخامس بالرباط هما الصرحان الوحيدان عبر العالم اللذان تم إنجازهما في القرن العشرين باحترام الفن الإسلامي القديم. و المعلم عبارة عن موسوعة هندسية ذات طابع معماري إسلامي،حيث تمازج فيه الفن الإسلامي العريق في أحسن صوره إذ تبرز فيه الهندسة الإسلامية كما بدأت بالمشرق الإسلامي مرورا بكل العصور الإسلامية إلى

---

(311) كمال غربي: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية. 147.

(312) أمدنا بهذه المعلومات الفاضل حسين بوعافية مسؤول بمصلحة المساجد و الشعائر بمديرية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة.

(313) هذه المعلومات مستمدة من التقرير الماتع التفصيلي المعد من قبل المهندس صالح مارس رحمه الله الذي كان يتابع كل العمليات التقنية والفنية المتعلقة بمسجد الأمير عبد القادر .

غاية العصور الأندلسية التي تجلى فيها الفن الإسلامي في أحسن صوره و يمكننا لتوضيح ذلك أن نسجل النقاط الآتية:

* و المسجد بمشروعه العظيم يبرز التأثر الكبير بالفن الزخرفي بمسجد قرطبة بأسبانيا (من حيث الأبعاد و الزخرفة).

* و المسجد عبارة عن مسح تاريخي للحضارات التي مرت بها الجزائر كالرومانية و البيزنطية و مدى تأثر الفن الإسلامي بها.

* و هو معرض دقيق للخصائص الزخرفية و المركبات العديدة التي ثبت إتقانها و إدخالها منذ وصول الإسلام إلى المغرب و إسبانيا و منها أفاريز المداخل و الطنوف المتواجدة على الواجهة و الأقواس التي على شكل نعال الحصان الحديدي و المقرنسات و غيرها، هذه الأخيرة كما هو الحال في قصر ألميرا بإسبانيا ثبت العمل به في التركيب الزخرفي لكثير من العناصر كتيجان الأعمدة و كتائف الأفاريز و الأقواس و هلم جرا...

ثالثا- المساجد العاملة[314]

1- سيدي عفان بنهج مورلان. 2- سيدي بوعنابة: أسفل بطحاء آل لفقون. 3- السيدة حفصة بنهج عبد الله باي. 4- سيدي مغرف بنهج عبد الله باي. 5- سيدي راشد بأسفل قنطرة سيدي راشد. 6- سيدي عبد المؤمن بنهج ملاح السعيد (بريقو) بحي السويقة، و كان يعرف باسم

[314] أي تقام في بعضها الصلوات الخمس، و الجمعة و الدروس و في البعض الآخر لا تقام الجمعة و إنما الصلوات الخمس و بعض الدروس فقط.

زاوية القادرية. 7- سيدي محمد (بوعبد الله الشريف) بنهج الدباغين. 8- سيدي الذرار بحي الحدادين (نهج كومب 107). 9- سيدي فتح الله بناحية مقعد الحوت شمال رحبة الصوف (نهج هنري نامية). 10- سيدي فيس (زاوية العمارية من قبل) يقع بدرب بن شريف قبالة دار آل شريف [315].

رابعا- المساجد المندثرة

لقد قضت الآلة الاستعمارية على العديد من الجوامع بمدينة قسنطينة منها: 1- جامع الشيخ عمر الوزان: كان موقعه برحبة الجمال حيث المسرح البلدي و الساحة الواقعة خلفه. 2- جامع رحبة الصوف[316]. 3- جامع سيدي عبد الرحمن المناطقي: كان موقعه قبالة فندق الزيت و شارع روو اتجاه نحاية الرصيف. 4- جامع سيدي بن عيناس: كان موقعه بالناحية السفلى من رحبة الجمال في نهج إشال. 5- جامع سيدي علي الطنجي و كان موقعه في نهج بيدو بالحي العربي القديم. 6- جامع سيدي الشاذلي. 7- جامع سيدي بوشداد: كان موقعه قريبا من باب الجابية. 8- جامع سيدي الهواري: كان موقعه بنهج فارنة. 9- جامع سيدي علي القفصي: و موقعه كان بالشارع الكبير شرقي المدينة، وراء شارع قسطنطين، شمال زاوية التلمساني. 10- جامع سيدي إبراهيم الراشدي. 11- جامع سيدي

---

[315] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر، 244-248.

[316] في الهامش ابن شغيب، 250.

فليسة. 12- جامع سيدي هوارن. 13- جامع سيدي مفرج: كان موقعه بأعلى الطابية في نهج ليون. 14- جامع سيدي نقاش: كان موقعه بنهج دموايان خلف قصر أحمد باي. 15- جامع سيدي بركات العروسي: كان موقعه بناحية الكازينو (رحبة الزرع القديمة) و هو أول جامع دخله جيش الاحتلال الفرنسي يوم الجمعة 15 رجب 1253هـ الموافق لـ 13 أكتوبر 1837م. 16- جامع سيدي بوقصيعة: كان موقعه بين الحديقتين العموميتين الواقعتين خلف كل من البريد و قصر العدالة. 17- جامع سيدي الجليس: كان موقعه بساحة سيدي الجليس، هدمته فرنسا سنة 1851 و أقامت على أنقاضه مدرسة لتعليم الفرنسية و العربية و بعض المهن، ثم حوّل بعد الاستقلال لإكمالية أطلق عليها اسم الشهيد ولد علي. 18- جامع سيدي صفار: كان موقعه قريبا من زاوية التلمساني في اتجاه القنطرة. 19- جامع سيدي الدبي: كان موقعه بساحة باب الوادي في مكان البريد الآن. 20- جامع سيدي علي مخلوف: كان موقعه مكان مقر البلدية. 21- جامع الجوزة: كان موقعه بنهج شوفالي، و على أنقاضه أقيمت مدرسة البنات الموجودة هناك. 22- جامع: كان موقعه بنهج أومال. 23- جامع سيدي الفسيل: كان موقعه بين نهجي باسي و دامريمون. 24- جامع سيدي عبد القادر. 25- قبة البشير. 26- جامع سيدي فرقان. 26- ستي فريخة. 27- جامع سيدي بورغود.[317]

---

[317] المرجع نفسه، 248-255.

بعد عرضنا لهذا العدد من المساجد، نقول إن فرنسا التي جثمت على صدور الجزائريين ردحا من الزمن لم تستطع محْوَ هُويتهم و لا ثنيهم عن الإسهام في بناء دور العبادة، إذ أثبتت الإحصائيات أن عدد المساجد بقسنطينة في سنة 2014م قد بلغ 385 مسجدا منها 278 عاملة يضاف لهذا كله 85 مسجدا كمشاريع في طور الإنجاز[318] و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على تجذّر هذا الدين الحنيف في قلوب أبناء هذا الوطن الحبيب.

[318] أمدّتنا بهذه الإحصائيات مصلحة المساجد و الشعائر عن طريق أحد مسؤوليها الأستاذ الفاضل حسين بوعافية مديرية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة.

المبحث الثاني

الزوايا بقسنطينة

مدخل: لقد كانت الزوايا عبر العصور تمثل السلطة الروحية للمسلمين و لم تكن الجزائر بدعا في ذلك، إذ كان الناس يدفعون بفلذات أكبادهم لها قصد تدريسهم مبادئ الإسلام، مما جعلها تقف حصنا منيعا ضد الاستعمار الفرنسي محافظة بذلك على الدين الحنيف و لغته السمحة، بل تجاوز دورها إلى الإسهام في تحرير الوطن، فكم من مجاهدينا من كانت انطلاقته الأولى في الالتحاق بجيش التحرير من الزاوية، و كم من الزوايا من أعلن فيها النفير العام، و من أدل الدّلالات على دورها في الثورة شعور فرنسا بخطورتها لاسيما تلك الزوايا التي كان يدرس بها مئات الطلبة، فراحت تمنع فيها تدريس أبواب الجهاد في الفقه الإسلاميّ و تفسير القرآن و مبادئ العقيدة، و لم يسمح فيها إلاّ بتحفيظ القرآن دون سواه، بل تجاوز الأمر مصادرة أملاكها الوقفيّة كما حصل ذلك مع زاوية الشيخ الحدّاد

بصدوق التي طاردتها الإدارة الفرنسيّة بعد ثورة المقراني 1871م،[319] هذا و قد حاولت فرنسا إنشاء زاويّة عصريّة موازيّة بالقرب من الزوايا الأصليّة الداعيّة لتحرير الوطن عن طريق الجهاد في سبيل الله، اعتقادا من فرنسا أنّ الزاويّة الجديدة ستكون تحت سلطانها و نظرها، و ذلك انطلاقا من مشروع "ديبون و كوبولاي" الذي يسمح لفرنسا أن تسيطر على الزوايا و الطرق الصوفيّة.[320]

و رغم ذلك فقد أدّت الزوايا دورها كاملا غير منقوص في الدفاع عن الوطن، فثورة الأمير عبد القادر مثلا ما كان لها أن تأخذ هذا الحجم من الذيوع و التأييد و الانتشار لولا استنادها على الطريقة "القادريّة" الدينيّة و كذلك بالنسبة لثورة الشيخ بوعمامة الذي كان هو نفسه شيخ طريقة و كذا ثورة المقراني ما كسبت التأييد و العون من الشعب إلاّ بعد انضمام الشيخ الحدّاد و أولاده – شيخ زاويّة صدوق – إلى صفوفها، و هم الذين قادوها بعد استشهاد المقراني و وهبوا الوطن أغلى ما يملكون.[321]

مما سبق يتضح الدور الرسالي لبعض الزوايا، مما جعل المستعمر يحوّل بعضها إلى كنائس، أو ثكنات عسكرية، أو إلى مخازن و إسطبلات، و رغم

---

[319] يحي بوعزيز: مقال بعنوان: "البعد الحضاري الديني و الاجتماعي لثورة نوفمبر 1954-1962 ص 7.

[320] محمد الطاهر عزوي: مقال بعنوان: "العوامل التي استعملها الاحتلال الفرنسي لمحاربة الدين الاسلامي منذ الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال"، ص 14.

[321] عمار قليل: المرجع السابق، ج1، ص 137-138.

هذا التضييق ظهرت للوجود العديد من الزوايا بمدينة قسنطينة نوردها على النحو الآتي:

1 ـ زاوية بن عبد الرحمان: و هي إحدى زوايا الطريقة الرحمانية[322].

كانت تسمى زاوية بشتارزي، و مؤسسها العلامة الشيخ **عبد الرحمن بن أحمد القُسَنْطِيني (توفي 1222هـ/1807م)** : العلامة الفهامة ،الولي الهمام الشيخ السيد الحاج عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش، باش تارزي الجزائري منشأ، سكن قسنطينة ونشر فيها الطريقة الرحمانية. له «عمدة المريد» في بيان الطريقة، لم ينسج ناسج على منوالها و «منظومة الرحمانية » التي شرحها ابنه الشيخ مصطفى و «غنية المريد» شرح به نظم مسائل التوحيد و هي 40 مسألة، وفي شرحها من التحقيق ما يدل على أن الشيخ يتكلم عن بصيرة، وعلم لدني ، مات سنة 1221 ،أو 1222 هـ[323]

---

[322] **الطريقة الرحمانية** : أسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجي (ت 1208هـ)، تعلّم بقريته، ثم توجّه إلى المشرق، و درس في الأزهر، و هناك تلقى الطريقة الخلوتية، ثم نشرها في الجزائر، فكثر أتباعه و زواياه، و مما يحسب للطريقة الرحمانية معرفتها بموقفها المعادي للاستعمار الفرنسي .

أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1 / 506-509. ط: عالم المعرفة بيروت لبنان 2011م. هـ 98.

[323] الزركلي: الأعلام، 298/3، وكحالة: معجم المؤلفين، 117/5، و الحفناوي: تعريف الخلف 2 / 7 ـ 6

بها قبور لأهل بشتارزي. و قد جدد بناءها المحسنون فأصبحت من أهم الزوايا بالمدينة، حيث تقام فيها الصلوات الخمس و تنظم فيها الاحتفالات بالمناسبات الدينية. تبلغ مساحتها الإجمالية 79،206م².[324]

2- الزاوية الطيبية: منشئ الطريقة الطيبية العلامة الصالح "الطيب الوزان"[325] سنة 1750م، و قد حرصت الزاوية على تعليم القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة حيث تخرج منها العديد من المشايخ منهم الشيخ أحمد حماني .

3- زاوية الهدى: تسمى زاوية بن رضوان و كانت مقرا للمحكمة الإباضية، و كان بها قبر المرحوم محمد بن رضوان[326]، و تتكون من طابق علوي فقط، تقام بها

---

[324] استقينا هذه المعلومات من مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة أمدّنا بها أحد مسؤولي المساجد و الشعائر الدينية بها الأستاذ حسين بوعافية.

[325] **الطيب الوزان** : ولد الشيخ الطيب بمدينة "وزان" بالمغرب، وهو منشئ الطريقة الطيبية ،ومرسي دعائمها بقسنطينة ،هذه الطريقة التي دخلت للجزائر حوالي سنة 1800م، على يد الولي الصالح "محمد الشريف بن شريط" الذي حبس الزاوية على ذريته، و دفن بعد وفاته فيها. و لا يزال ضريحه موجودا إلى اليوم.

استقينا هذه المعلومات من مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية قسنطينة أمدّنا بها أحد مسؤولي المساجد و الشعائر الدينية بها الأستاذ حسين بوعافية.

[326] **محمد بن رضوان** : هو أحد أقطاب الإدارة في العهد التركي بقسنطينة، إذ تقلد منصب قائد الدار، و هي وظيفة تشبه شيخ البلدية حاليا، و يشغلها آغا متقاعد، مكلف بالإدارة، و شرطة المدينة و تموين رجال الميليشيا برواتبهم الشهرية، كما تمتد مسؤوليته إلى القسم الأكبر من أملاك البايلك

الصلوات و تنظم بها الاحتفالات و المناسبات الدينية، تبلغ مساحتها الإجمالية: 160م^2 و هي المساحة المبنية.[327]

4- زاوية التيجانية السفلى: و هي المعروفة باسم الزاوية التجانية[328] في الشط ، تأسست سنة 1800م كمسجد للصلوات الخمس، تقام بها صلاة الجمعة و تقدم فيها الدروس ،و التعليم القرآني للصغار، تبلغ مساحتها الإجمالية 02،396م^2.

5- زاوية السيدة حفصة: أنشئت الزاوية خلال سنة 1600م و تتكون من طابق أرضي. تقام بها الصلوات الخمس و الدروس و التعليم القرآني. و تبلغ مساحتها الإجمالية 60م^2.

و عقاراته، و مخازن الحبوب، و أئمة المساجد و وعاظها، و القضاة، و للفقي الذين عليه أن يدفع لهم أجورهم، و أرزاقهم المستحقة، و إليه يعود أمر حفظ الأمن بالمدينة .

يحي بوعزيز: مدخل حول بايلك قسنطينة على عهد الأتراك، 1514-1837 الخاص بكتاب محمد الصالح بن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة. 29.

(326)(3)17 الشؤون الدينية نفسه.

(328) **الطريقة التجانية** : أسّسها أبو العباس أحمد بن المختار التجاني (ت 1239هـ)، تنتشر في شمال إفريقيا و غربها، من أهم كتبها و مصادرها: «جواهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» لعلي بن حرازم

.عبد الله بن دجين السهلي: الطرق الصوفية نشأتها و عقائدها و آثارها 95-97، ط : 2 دار كنوز إشبيليا.

6- زاوية التيجانية العليا: لا نعلم مؤسسها الحقيقي، تتكون من طابق علوي و تعرف باسم زاوية لفقون و بها قبر العلامة الشيخ عبد الكريم الفقون من مشاهير علماء القرن العاشر الهجري[329]. تبلغ مساحتها الإجمالية 200م^2 و هي المساحة المبنية. و هي حاليا تقام بها الصلوات الخمس و تقع بحي الخرازين.[330]

7- زاوية النجارين: و تدعى أيضا زاوية حنصالة. و موقعها بحي النجارين (نهج السعيد رواق رقم 19) تقام فيها الصلوات الخمس و بها بيت لتعليم القرآن للأطفال. و هي باقية إلى اليوم. و آخر من تولى تعليم القرآن بها على منهاج أهله كبير حفاظه الشيخ عبد المجيد بسطانجي، المتوفى ضحى يوم الأربعاء حوالي الساعة 11 إلاّ ربعا بتاريخ العشرين شعبان سنة 1392

---

[329] **عبد الكريم بن محمد الفَكُّون (توفي 1073هـ/1663م)** : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني: أديب، من أعيان المالكية في المغرب، من أهل قسنطينة و ربما قيل له «القسمطيني» بالميم. كان يلي إمارة ركب الجزائر في الحج. و لما تقدمت به السن انقبض عن الناس و ترك الاشتغال بالعلوم، و سُمع يقول: قرأتها لله و تركتها لله. و توفي بالطاعون في قسنطينة. من كتبه «شرح نظم المكودي» في الصرف، و «شرح شواهد الشريف على الأجرومية» و «حوادث فقراء الوقت» و «ديوان» مرتب على حروف المعجم في المدائح النبوية، و رسالة في «تحريم الدخان» قال العياشي: و مروياته مستوفاة في فهرسة شيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي.

الزركلي: الأعلام، 56/4، و محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، 309.

[330] بطاقة فنية للزاوية أعدّتها مصلحة المساجد و الشعائر الدينية بمديرية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة أمدّنا بها الفاضل: حسين بوعافية.

الموافق 27 سبتمبر 1972 و عمره نحو 92 سنة [331] تغمده الله برحمته الواسعة و رزق المسلمين من يقوم مقامه.[332]

8- زاوية نعمان: كان بهذه الزاوية عدة مقابر. و يظهر من تسميتها أنها من منشآت الباي محمد نعمان الذي حكم قسنطينة من سنة 1226 إلى سنة 1229هـ (1811-1813م) ، و قد هدمها المستعمرون و أقاموا على أنقاضها دار الإسعاف الصحي (ميزون سكور)، و الدور المحيطة بها بسوق الحدادين (نهج كومب) و نهج (23 لين) و ما زالت الزاوية و المقابر ظاهرة في خريطة الأملاك القديمة هناك (كاداستر).[333]

9- زاوية التلمساني: و موقعها بنهج قسطنطين، و قد ضم جانب منه إلى النهج الجديد الذي أطلق عليه اسم (تيار)، و كان جيش الاحتلال الفرنسي استولى على هذه الزاوية و أصبحت تابعة لفرقة الهندسة العسكرية، و بعد

---

[331] **الشيخ عبد المجيد بستانجي** : هو عبد المجيد بن بريّك بن الحاج حم بستانجي، ولد بمدينة قسنطينة عام 1300هـ/1882م أحد تلاميذ الشيخ صالح بن مهنا و مقرّبيه، و محلّ ثقته، إذ كان يسلم له كتبه لإعادة نسخها، فكان ينسخها بإتقان، مما يدل على أنه صاحب معرفة و دراية، كما كان الشيخ عبد المجيد نموذجا حيا للورع و الصلاح و التقوى، إذ لا تراه في الزاوية الحنصالية إلاّ تاليا لكتاب الله تعالى، أو منكبًا على نسخ المصاحف الكريمة، أو المدائح النبوية الشريفة، هذا و قد تخرّج على يديه من حفظة القرآن الكريم جمع كبير، إذ كان - رحمه الله تعالى - يدرسه و يتلوه آناء الليل و أطراف النهار إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم 27 شعبان سنة 1392هـ / الموافق لـ 17 سبتمبر 1972 حيث دفن بمقبرة قسنطينة، فجزاه الله عن كتابه خير الجزاء، ز أجزل له المثوبة و العطاء .

سليمان الصيد: صالح بن مهنا القسنطيني - حياته، تراثه - 57-60. ط1، 1404هـ/1983م.

[332] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر، 255.

[333] محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر، 257-258.

مدة تخلى عنها، ثم أجرّتها السلطة الحاكمة للراهبات بعقود تجددت ثلاث مرات. ثم تخلين عنها. و بعد عام 1880م (1298هـ) استولى عليها اليهود، و كانوا يومئذ مهيمنين على مكاتب الإدارة الفرنسية، سيما منها المالية، و كانت الزاوية تابعة لأملاك الدولة، و هي بالطبع إدارة مالية يسيطر عليها اليهود و يديرون شؤونها كما يريدون، فتآمروا و استحوذوا على الزاوية، و جعلوها معبدا لهم و عشا للصهيونية. و بعد الاستقلال طالب المسلمون برد زاوية التلمساني إلى أصلها. و قدموا للإدارات المعنية – و وزارة الأوقاف – الحجج الإدارية الصحيحة التي أثبتت سرقة اليهود لهذه الزاوية. و لما طلبت وزارة الأوقاف من معتمد اليهود في قسنطينة أن يدلي بالحجة التي ملكوا بها هذه الزاوية عجز عن إحضار أية بيّنة، لأنهم سرقوها كما قلنا و حينئذ وافقت الولاية و إدارة أملاك الدولة على طلب المسلمين برجوع الزاوية إلى أصلها، و جعلها مدرسة قرآنية نظامية عصرية. و انتزعت وزارة الأوقاف هذه الزاوية من حوزة اليهود، غير أن مفتشية الأوقاف بقسنطينة يومئذ لم توافق، بكل أسف على تعليم القرآن بها و استعملتها كمطعم لتلاميذ المعهد الإسلامي.[334]

---

[334] المرجع نفسه، 258.

المبحث الثالث

المدارس الأثرية بقسنطينة

وسنتناوله من خلال النقاط الآتية :

أولا ـ مدرسة الكتانية

كانت فكرة صالح باي هي أن يبني مسجدًا لعبادة الله، و مدرسة لتزويد الشباب بعلم عال. و تحقيقًا لهذا الغرض شرع في بناء مسجد سيدي الكتاني، و المدرسة الملحقة به. و قد تم بناء هذه الأخيرة في سنة 1189 هجرية (الموافق لسنة 1775 ميلادية).

و أمر كذلك ببناء مدرسة أخرى في سنة 1789م بقرب مسجد سيدي لخضر التي أصبحت فرعًا له، و التي يدرس فيها كما هو الأمر في مدرسة سيدي الكتاني أساتذة يعينهم رئيس المقاطعة، و يتقاضون أجورهم من ميزانية المساجد، و هم يعلمون النحو، و الفقه، و تفسير القرآن و التوحيد، و علم الحديث أو السنة المحمدية.

و بما أننا نتحدث عن التعليم، فإن القارئ قد يكون ممنوناً إذا أطلعناه هنا على النظام المتبع في عهد صالح باي داخل مؤسسات التعليم العمومي. فإذا قارناه بالنظام المتبع في نفس الوقت داخل ثانوياتنا في فرنسا فإننا نرى أنه لم يكن أقل منه مستوى، و إن القانون الذي نورد ترجمته فيما يلي لهو نفسه – على الرغم من أنه صيغ لمدرسة خاصة – المطبق على جميع المدارس مع تفاوت قليل لأننا نقرأ في البداية بأنه صيغ بموافقة صالح باي و الأعضاء الذين يتكوّن منهم المجلس، و إليك القانون الذي صدر في شهر سبتمبر 1780م[335] .

تشتمل المدرسة على مسجد (أو قاعة تصليح للصلاة و الدرس) و على خمس غرف تخصص واحدة منها للأستاذ و الأربع الباقية للطلبة و على مايضة للوضوء، و غرفة المهملات.

و عدد الطلبة الداخليين ثمانية، و ينامون بمعدل اثنين في كل غرفة. و هناك وكيل يكلّف بالمدخولات و المصاريف، و بواب لكنس المدرسة و إشعال المصابيح في القاعة المخصصة للصلاة.

و يبلغ مرتب الأستاذ ثلاثين ريالاً سنويًا، و مرتب الوكيل 8 ريالات، و البواب يتقاضى سبعة ريالات. بينما يمنح لكل طالب مبلغ قدره ست ريالات.

---

(335) أوجين فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي من 1792م إلى 1837م، ص 46-53.

و يقوم الأستاذ بإلقاء ثلاثة دروس في اليوم يكون الأول عند مطلع الشمس و يدوم إلى الساعة الحادية عشر. و الدرس الثاني من الثانية عشر زوالاً إلى العصر (حوالي الساعة الثالثة بعد الزوال)، و الثالث من الثالثة و النصف زوالاً إلى غروب الشمس.

و يقرأ الطلبة كل يوم أربعة أحزاب من القرآن، حزبين بعد صلاة الصبح، و حزبين بعد صلاة العصر، و يختمون في كل مرة بالابتهال إلى الله و الدعاء بالرحمة لمؤسسي المدرسة.

لا يقبل في المدرسة إلا شبان يحفظون القرآن جيدًا سواء كانوا يسكنون البادية أم المدرسة، من المذهب الحنفي أم المالكي على السواء على شرط أن لا يكونوا متزوجين.

لا يمكن لأي تلميذ داخلي أن ينام خارج المدرسة، إلاّ لعذر خطير أو لزيارة أهله. تكون أيام العطلة عشرين يومًا أو ثلاثين على الأكثر، و إذا لم يدخل التلميذ بعد هذا الأجل، و لم يثبت أنه كان مريضًا فإنه يطرد و يعطي مكانه لأحد الطلبة الخارجيين الذين يزاولون الدروس و إذا تعذر ذلك فلطالب آخر.

و كل تلميذ يقضي 10 سنوات في المدرسة دون أن يحصل على تقدم و دون أن يظهر قابلية لدراسة العلوم، يطرد و يعوض بآخر.

و كل تلميذ لا يقيم علاقات طيبة مع زملائه، أو كان شريدًا في أعماله أو كلامه يوجه إليه إنذار أول ثم ثان، فثالث، و إذا لم يعتدل و يغير ما بنفسه فإنه يطرد.

لا يسمح للموظفين و الطلبة الخارجيين أن يقضوا الليل داخل المؤسسة بأي عذر كان.

كل تلميذ لا يثابر على دروس الأستاذ يطرد.

لا يمكن إدخال المواد الغذائية، و الثياب، و أدوات الطبخ إلى المدرسة اللهم إلا ما كان ضروريًا لاستعمال سكانها.

لا يسخن التلاميذ أكلهم إلا بالفحم، و لا يكون ذلك أبدًا بالحطب.

و لا يجوز لهم كذلك غسل ثيابهم داخل المدرسة[336] .

ومن جهة أخرى فإن التعليم كان إحدى اهتماماته الدائمة و قد وجد مساعدًا له في ثلاثة من الراسخين في العلم هم عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي وشعبان بن جلول القاضي الحنفي و العباسي القاضي المالكي الذين ضموا جهودهم إلى جهوده لرفع الذوق في الدراسات العميقة و الآداب التي تتدهور يومًا بعد يوم ،و علاوة عنى التشجيعات التي أعطيت للخواص الذين تطوعوا من تلقاء أنفسهم لمساهمة في العمل الرامي إلى البحث و الإحياء، فقد خصص جزء من دخل المقاطعة لبناء المساجد

---

(336) المرجع نفسه، ص 46-53.

و المدارس لا في قسنطينة فحسب، بل في عدة مدن أخرى حتى في الواحات كما رأينا ذلك من قبل و زودها بكثير من الأحباس أو أعاد إليها تلك التي كانت مبدئيًا مخصصة لها بإرادة المحبسين و التي أضاعها الوكلاء أو سوء تسييرهم إن لم تستغل لفائدتهم الشخصية.[337]

ثانيا ــ مدرسة الجامع الأخضر

كانت بجوار هذا المسجد المدرسة الملاصقة له المدفون فيها مؤسس المسجد و هذه المدرسة قد أدّت ما أسست من أجله من نشر العلم و العرفان في العهد التركي بقسنطينة.

يقول عنه الشيخ ابن باديس باعتباره مدرسة : " أما بداية تعليمي فيه فقد كانت أوائل جمادى الأولى عام 1232هـ و كان ذلك بسعي من سيدي أبي لدى الحكومة فأذنت لي بالتعليم فيه بعد ما كانت منعتني من التعليم بالجامع الكبير بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود بن الموهوب.

و قد يسر الله لنا بفضله القيام بالتعليم فيه إلى اليوم و الله نسأل أن يجازي كل من أعاننا فيما قمنا به كل خير و أن ييسر لنا القيام بخدمة العلم

---

(337) أوجين فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي من 1792م إلى 1837م، ص 46-53.

فيما بقي من العمر، و أن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين آمين. و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.[338]

هذا و من حسنات جمعية العلماء أن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصدر بيانا في منشور[339] بإمضاء رئيس جمعية العلماء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[340]

---

[338] عمار الطالبي: ابن باديس حياته و آثاره، 4/36-37 و قارن بـ: أوجين فايسات: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي من 1792م إلى 1837م، 48-49.

[339] صدر من مدينة قسنطينة في 19 أكتوبر 1943.

[340] **البَشِير طالب الإبراهيمي** : محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي: مجاهد جزائري، من كبار العلماء. انتخب رئيسًا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ولد سنة: 1306 هـ/1889 م ،و نشأ بدائرة سطيف في قبيلة ربغة الشهيرة بأولاد إبراهيم (ابن يحيى بن مساهل) تفقه و تأدب في رحلة إلى المشرق (سنة 1911) فأقام في المدينة إلى سنة 17 و في دمشق إلى حوالي 1921 ،و عاد إلى الجزائر و قد نشطت حركة صديقه ابن باديس ، الذي أنشأ معه جمعية العلماء المسلمين سنة : (1931) و تولى ابن باديس رئاستها و الإبراهيمي النيابة عنه. و أُبعد إلى صحراء آفلو سنة :(1940) و بعد أسبوع من وصوله إلى المعتقل توفي ابن باديس، و قرر رجال الجمعية انتخاب الإبراهيمي لرئاستها. و استمر في «معتقل آفلو» من سنة 1940-1943 ثم أطلق. فأنشأ في عام واحد 73 مدرسة بل كتّابا، و كان هدفه نشر اللغة العربية. و جعل ذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، إبعادًا لتدخل سلطات الاحتلال. و تهافت الجزائريون على بناء المدارس فزادت على 400 .

زج بالإبراهيمي في السجن العسكري (سنة 45) و عذب.و أفرج عنه فقام بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس و الأندية. ثم استقر (سنة 52) في القاهرة و اندلعت الثورة الجزائرية الكبرى (54) فقام برحلات إلى الهند و غيرها لإمدادها بالمال. و عاد إلى الجزائر بعد انتصارها، فلم يجد مجالاً للعمل. فانزوى إلى أن توفي سنة : 1385هـ/1965م ، و كان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة و دمشق و بغداد. و له شعر منه «ملحمة» في تاريخ الإسلام و المجتمع الجزائري و الاستعمار، قال: إنها 36 ألف بيت و كان ينشر مقالاته في جريدة البصائر، بالجزائر و هو رئيس

يعلن فيه الأمة الجزائرية الكريمة بأن المجلس الإداري لجمعية العلماء المنعقد بمكتب الرئاسة بقسنطينة يوم 17 أكتوبر 1943 قرر استمرار التعليم المسجدي الديني لتلامذة الجامع الأخضر و سيدي قموش و سيدي بومعزة و على الطلبة أن يلتحقوا بتبسة للدراسة هناك بدلا من قسنطينة و ذلك لدواع ضرورية قاهرة و أسند كالمعتاد في السنتين الماضيتين القيام بذلك التعليم إلى كفاءة الأستاذ النفاع الشيخ العربي التبسي[341]

تحريها، فجمعت المقالات في كتاب «عيون البصائر – ط» و هو من خطباء الارتجال. المفوهين، و له كتب ما زالت مخطوطة، منها «شعب الإيمان» في الأخلاق و الفضائل، و «التسمية بالمصدر» و «أسرار الضمائر العربية» و «كاهنة أوراس» قصة روائية و «نشر الطي من أعمال عبد الحي» .

الزركلي: الأعلام 6 / 54.

[341] **الشيخ العربي التبسي** : هو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات الجذري التبسي، ولد سنة 1308هـ/1891م بدوار سطح التابعة لبلدية العقلة دائرة الشريعة ولاية تبسة، مات والده و عمره ست سنوات، دخل الكتاب و حفظ كتاب الله في سن العاشرة ليلتحق بزاوية أولاد رشاس و يمكث بها ما يزيد عن السنتين، ليلتحق بعدها بزاوية خنقة سيدي ناجي ببسكرة التي بقي يغترف من علومها ست سنوات لينتقل بعدها للجريد منتسبا لزاوية مصطفى بن عزوز النفطي الجريدي، حيث قضى بزاوية نفطة ثلاث سنوات و بضعة أشهر لينتقل بعدها للزيتونة التي حاز على جميع شهاداتها المتمثلة في الأهلية، و التحصيل و التطويع، كما رحل لمصر منضما لطلاب الأزهر الذي حاز منه على عالمية الأزهر الخاصة بالغرباء سنة 1925م، و عالمية الأزهر الكبرى سنة 1927م، و بعد عودته للجزائر ساهم في بث التربية و التعليم و الإصلاح من خلال دروسه و خطبه، و نشاطاته حيث شغل منصب إدارة المدرسة الابتدائية بمدينة سيق من 1929م إلى 1932م، و إدارة مدرسة تهذيب البنين و البنات بتبسة من سنة 1933-1947م ثم إدارة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس من 1947م إلى 1956م، كما كان عضوا عاملا بجمعية العلماء منذ تأسيسها سنة 1931م، ليشغل منصب الكاتب العام بها ابتداء من 1936 إلى 1945م، و منصب نائب رئيس الجمعية من سنة 1946 إلى سنة 1956، و هكذا بقي الشيخ العربي كتلة من النشاط، و الصدع بالحق، و المجاهرة بالثورة ضد فرنسا إلى أن اختطفته قوات الجيش الفرنسي

الكاتب العام لجمعية العلماء مع التنويه بذكره والإفصاح عن شكره على ما قام به في السنتين الماضيتين من المواظبة على تلك الدروس النافعة لأبناء الأمة في دينهم و لغتهم ،و ما بذله من جهد و أظهره من حزم و عزم في استمرارها على أكمل وجه .[342]

ثالثا ــ الجمعية الخيرية الإسلامية بقسنطينة

تأسست بمدينة قسنطينة منذ سنة 1917 باسم الجمعية الخيرية الإسلامية كان مقرها في نهج علي[343] موسى بالرماح. ثم غيّر اسم النهج في عهد الاستقلال باسم نهج الإخوة شراك و يوجد في مكان الجمعية الخيرية الآن الفرع البلدي الإداري و الاجتماعي بالخيرية.

ليلة الخميس 04 رمضان 1377هـ/الموافق لـ 1957/04/04، و منذ ذلك الحين لم يظهر له أثر حيث اغتالته أيادي الإستدمار الملوثة بدماء العلماء و الأبرياء، فرحمه الله و أسكنه جنات و نهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

أحمد عيساوي: مقال بعنوان: التبسي الزيتوني الأزهري (1308-1377هـ/1891-1957م) منشور ضمن كتاب: العالم الشهيد الشيخ العربي التبسي، ص 20-63، المنشور بمناسبة الذكرى الخمسين للاستقلال، و تخرج الدفعة الخامسة و العشرين لطلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، شعبان 1433هـ/جويلية 2012م، ط: بمؤسسة الرجاء للطباعة و النشر قسنطينة.

[342] سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 196، 199-200.

[343] كان مقر إدارة الجمعية الخيرية سابقا في نهج ناسيونال (نهج العربي بن مهيدي) رقم 61 بقسنطينة و في أول تأسيسها كان مقرها في فندق الزيت و هو المقر الأول لها و فندق الزيت لا زال يحمل هذا الاسم إلى الآن و يوجد في الرصيف بقسنطينة. سليمان الصيد: المرجع السابق ، 196، 199-200.

من أبرز مهامها رغم أن فترة تأسيسها تزامنت مع اندلاع الحرب الكونية الكبرى :

1 ـ القيام بمساعدة المرضى و إعانة الفقراء و المساكين .

2 ـ شراء جميع المواد اللازمة لها في وقت غلو الأسعار .

3 ـ تعليم اللغة العربية.

جاء في مجلة الشهاب[344] – بشرى لطلاب اللغة العربية – ليكن في علم السادة الآباء و الأبناء الراغبين في تعلم اللغة العربية أننا قد عزمنا بحول الله على استئناف دروس جديدة لسنتنا الثانية بمكتب الدروس العربية الذي كنا فتحناه السنة الماضية ببناية الجمعية الخيرية و لا زالت دروسه قائمة إلى اليوم و قد استأنفنا قراءة السنة الثانية في فاتح أكتوبر سنة 1929 فعلى السادة الآباء الذين يريدون تقديم أبنائهم أن يسارعوا و ليبادروا بتقييدهم قبل الفوات .... و في الجمعية الخيرية هذه وقعت الحفلة السنوية لمكتب الدروس العربية ببناية الجمعية الخيرية.[345]

وقد أسس هذا المكتب[346] بسعي صاحب هذه المجلة [347] و السادة عمر بن جيكو[348] ،وحسين بن شريف[349]، ومحمد

---

[344] ج9، ص 48، سنة 1929.

[345] مجلة الشهاب، ص 36 و ما بعدها، ج11، سنة 1929.

[346] أي مكتب الدروس العربية الذي تأسس سنة 1928 بعدما انتهى المكتب الابتدائي العربي سنة 1927 و قد انتهى أيضا مكتب الدروس العربية سنة 1930 عندما تأسست جمعية التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة.

البنزرتي[350] ، ومحمد النجار[351] و كان المباشر للتعليم فيه الأستاذان السيد الشريف الصائغي[352] و السيد محمد النجار و كان هذا الثاني ناظرا

---

[347] المقصود به الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله .

[348] **السيد عمر بن جيكو** : من رجالات الإصلاح المخلصين، المحسنين، الذين ساندوا الشيخ عبد الحميد بن باديس – رحمه الله تعالى –، إذ كان عضوا في جمعية التربية و التعليم الإسلامية إلى تاريخ غلق مدرسة التربية و التعليم من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1927م زمن الثورة التحريرية، كما كان عضوا فعالا في الجمعية الخيرية الإسلامية، التي تبرّع لها سنة 1927م بثلاثين ألفا من الفرنكات، و هو مبلغ إذا قيست قدرته الشرائية الآن، فإنه يقدر بالملايين، و لزيادة البيان للتعريف بمترجمنا، فهو صاحب معمل الدخان بقسنطينة، و قد بقي بن جيكو وفيا لمبادئه الإحسانية إلى أن وافاه الأجل يوم 02 أوت 1982م. عفا الله عنه و أدخله مستقر رحمته و رضوانه .

سليمان الصيد: نفح الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من الأخبار. 175-176.

[349] **حسين بن شريف** : أحد المؤسسين لمكتب الدروس العربية بقسنطينة سنة 1928م، و العضو المنتخب بالجمعية الخيرية الإسلامية .

سليمان الصيد: نفح الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من الأخبار. 178، 182

[350] **محمد البنزرتي** : أحد مؤسسي مكتب الدروس العربية بقسنطينة سنة 1928م .

سليمان الصيد: نفح الأزهار عمّا في قسنطينة من الأخبار. 178.

[351] **الشيخ محمد النجار** : كان ناظرا لمكتب الدروس العربية الذي تأسس سنة 1928، بعدما توقف المكتب الابتدائي العربي سنة 1927م، كما كان أستاذا لتعليم اللغة العربية به، و يعد هذا المكتب جزءا من الجمعية الخيرية الإسلامية، هذا المكتب الذي واصل نشاطه لغاية سنة 1930م لتحل محله جمعية التربية و التعليم الإسلامية .

سليمان الصيد: نفح الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من الأخبار. 178.

[352] **محمد الشريف الصائغي** : ينتمي لعائلة الصياغ الشهيرة بعين البيضاء و مسكيانة، كان يساعد الشيخ ابن باديس في تدريس الطلبة، و ذلك بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين، حيث كثر الطلبة بكل من الجامع الأخضر، و سيدي قموش، إذ كان الشيخ الصائغي يتكفل بتدريس التاريخ، و الجغرافيا و الحساب، و كان ممن تتلمذ عليه الشيخان أحمد حماني و أخوه الصادق حماني، كما كان عضوا فاعلا

عليه من طرف الجماعة المؤسسة و كان المتعلمون فيه على طبقات أربع يتعلمون من الساعة الخامسة إلى التاسعة على تقسيم و ترتيب.[353] **رابعا ـ المكتب الابتدائي العربي**

تأسس هذا المكتب في سيدي بومعزة[354] سنة 1922 بقسنطينة و فيه قال الشيخ مبارك الميلي [355]

في المكتب الابتدائي العربي إلى أن غادره في شهر ماي سنة 1925م لأسباب اضطرته لذلك، ليؤسس في أواخر هذه السنة نفسها مكتبا ابتدائيا بمسقط رأسه بمسكيانه لتلقين مبادئ العربية، كما انتصب لنفع العموم بفتح دروس فقهية بالجامع الأعظم بها .

أحمد حماني: صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس. 2 / 288، و قارن بـ : سليمان الصيد: نفح الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من الأخبار. 185.

(353) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص 171، 175، 178.

(354) سيدي بومعزة كان من مراكز التعليم في عهد الشيخ عبد الحميد بن باديس و بعد وفاته رحمه الله صار فرعا تابعا لمدرسة التربية و التعليم بقسنطينة كبقية الفروع الأخرى بمدينة قسنطينة التابعة لمدرسة التربية و التعليم كفرع الجزارين و أولاد ابراهم و فرع الشباب طريق ميلة و حي باردو و سيدي مبروك و غير ذلك و في عهد الاستقلال رجع سيدي بومعزة مدرسة و حول اسم المكان من سيدي بومعزة إلى اسم زغدود و هذا من مصائب بعض الجزائريين الذين يغيرون أماكن من التراث الوطني إلى أسماء أخرى دون مراعاة للأجيال و للمستقبل و هذا بقصد منهم أو بجهل للأمور و هذه هي الطامة الكبرى في كلا الأمرين و سيدي بومعزة اليوم بتاريخ 10 مارس 1985 هو سكنى و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص 171، 175، 178.

(355) **الشيخ مبارك الميلي** : هو الشيخ مبارك بن محمد بن رابح بن علي براهيمي، الميلي، ولد حوالي 1316 أو 1317هـ / 1898م بقرية أرمامن من ناحية موزال منها بدوار أولاد مبارك، و لما بلغ عمره أربع سنوات مات والده و كفله جده رابح الذي أدخله الكتّاب الذي حفظ فيه كتاب الله في سن مبكّرة، غير أن جده هو الآخر مات و هو يؤدي الحجة الرابعة بالبقاع المقدسة، فكفله عمّه أحمد الذي

" إن أوّل مكتب عربي على نمط عصري بهذه البلاد هو المكتب العربي بسيد بومعزة و مساحته لا تتجاوز الأربعين مترا مربعا ،و قد كنا في تلك المدة نشكو قلة الإقبال من التلامذة و ذلك المكتب هو النواة الأولى لجمعية التربية و التعليم التي أصبحت مساحة مدرستها اليوم ثلاثمائة متر مربع و هي في غاية الضيق لكثرة الواردين عليها من المتعلمين ،و من المدة التي كان فيها هذا المكتب بسيدي بومعزة و اليوم ثلاثة عشرة سنة،و هي مدة ما بين بعثة النّبي صلّى الله عليه و سلّم و هجرته "،و باستدعاء من طرف المكتب الابتدائي قدم إلى هذا الطرف حضرة العالم الأمثل الشيخ مبارك الميلي بقصد تعاطي التدريس به خلفا عن الفاضل الشيخ محمد الشريف الصائغي. الذي اعتزل المكتب المذكور لأعذار قدمها .

رفض مواصلته لدراسته، بل كلّفه بأعمال الرعي و الفلاحة، غير أن توقانه و حبه للعلم جعله يهرب إلى زاوية الشيخ الحسين بالقرب من ميلة، إلاّ أنّ عمه أرغمه على العودة لدواره، فرجع على مضض، و بعد فترة فرّ إلى معهد الشيخ محمد الميلي بميلة، و قد كانت للشيخ محمد الميلي مكانة عالية عند عمه أحمد، فلم يستطع إرجاعه بعدما تبناه الشيخ محمد الميلي علميا، و ذلك لما لمسه فيه من نجابة و نبوغ، و هكذا واصل تعليمه، إلى أن صار من علماء هذه الأمة، و عضوا فاعلا في جمعية العلماء المسلمين، و كاتبا مبدعا في جرائدها، و أستاذا مبرزا في مدارسها، و مؤلفا قدير، إذ ترك لنا كتابا حول تاريخ الجزائر و رسالة حول الشرك و مظاهره، و بقي هذا حاله وديدنه إلى أن وافاه الأجل .

محمد علي دبّور: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/1921م إلى عام 1395هـ/1975م. 3 / 12، 28-29 و 32، و 40-44. ط:1، 2013، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر .

و عن المكتب الابتدائي كتب الشيخ محمد الشريف الصائغي :

"..... أسس (المكتب) بنيانه سنة 1341هـ (موافق 1922) بواسطة جماعة من خيرة الناس على قصد تقدم النشئ العربي. و إحياء لغته القويمة بخطة مرسومة وضعوها له على الأسلوب العصري المفيد ،وقد بدأ هذا المكتب أعماله غرة رجب من عام 1341هـ ففتحنا أعماله بالاعتماد على العناية الربانية. لأنه يرى نفسه وحيدا و لا حافظ له إلا هو عز شأنه. و مقسما دروسه إلى أربعة أقسام، قسمين لأبناء الكتاتيب القرآنية. و قسمين لأبناء المكاتب الفرنسية. يعمل بجد و اجتهاد" [356] .

و جاء من إدارة مكتب سيدي بومعزة أن بالمكتب ثلاث طبقات أوقات القراءة فيها كلها خارجة عن أوقات الكتاتيب القرآنية ،و المكاتب الفرنسية كما أن التعليم في المكتب بناء على نظامه الجديد. يشتمل على مبادئ اللغة العربية و العقائد و الآداب الإسلامية و مبادئ تاريخية. و فيه فصل لتعليم القراءة و الكتابة ودرس خصوصي ساعتان يوم الخميس و يوم الأحد. للذين لا يمكنهم الحضور إلا فيهما من أبناء المكاتب الفرنسية[357]

....

---

[356] جريدة النجاح، عدد 212 بتاريخ 1925/06/12.، وقارن بـ : سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص 185-186 و 195.

[357] جريدة النجاح، عدد 242 بتاريخ 1925/10/30، وقارن بـ : سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص 185-186 و 195.

هذا هو المكتب الابتدائي العربي الذي تأسس في سيدي بومعزة سنة 1922 و انتهى سنة 1927 بعد ما أدى مهمته على أكمل وجه في ذلك الوقت الصعب.[358]

خامسا ـ جمعية التربية و التعليم الإسلامية

صدر الترخيص لهذه الجمعية و الاعتراف بها من طرف الحكومة الفرنسية في الجريدة الرسمية فكانت أول جمعية في قسنطينة من نوعها. و قد كانت جمعية مكتب التعليم العربي حجر الأساس في تكوينها .

و غرض الجمعية مفهوم من اسمها و هاك من قانونها الأساسي الذي صادقت عليه الحكومة، ما يشرحه لك بوضوح:

(المادة الثانية: مقصود الجمعية هو نشر الأخلاق الفاضلة، و المعارف العربية الفرنساوية و الصنائع اليدوية بين أبناء و بنات المسلمين.

المادة الثالثة: تسعى الجمعية لمقصدها هذا، أولا – بتأسيس مكتب للتعليم، ثانيا – بتأسيس ملجأ للأيتام، ثالثا – بتأسيس ناد للمحاضرات رابعا – بتأسيس معمل للصنائع، خامسا – بإرسال التلامذة على نفقتها إلى الكليات و المعامل الكبرى.

المادة الرابعة: بما أن مقصد الجمعية هو التربية و التعليم لا غير، فإنها تحرم على نفسها الخوض في المسائل السياسية، و الاختلافات الحزبية و المذهبية، و الشخصية، بأي وجه من الوجوه).

---

[358] سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص 185–186 و 195.

و أما مالية الجمعية فإنها تتكون مما يدفعه الأعضاء المشتركون و هو فرنكان في الشهر، و من تبرعات المحسنين، و من الإعانات الحكومية و من واجب تعليم التلامذة القادرين على الدفع .[359]

سادسا ـ مدرسة التربية و التعليم الإسلامية

تأسست سنة 1936، و كان أصلها دارا فاشتريت بمبلغ (135.000) فرنك قديم و أدخلت عليها إصلاحات، فأصبحت مدرسة. و بعد الاستقلال أدخلت عليها إصلاحات، و أصبحت تشرف عليها وزارة التربية الوطنية الجزائرية. و هي واقعة بنهج عبد الحميد بن باديس رقم 17 بقسنطينة.[360]

---

[359] عمار الطالبي: ابن باديس حياته و آثاره، 3/184-187، و جريدة الشهاب، ج2، م7، ص 115-117.

[360] عمار الطالبي: ابن باديس حياته و آثاره، 3/185.

المبحث الرابع

النوادي بقسنطينة

وسنتناوله على النحو الآتي :

أولا ـ نادي صالح باي (1908)

ومن أبرز أهدافه :

1- البحث على المسائل الأدبية الفنية الاقتصادية الاشتراكية الإسلامية لتبلغ أملها بالحصول على نشر العلوم .... بين الأمة الإسلامية.

2- إحياء ما اندرس من صنائع قسنطينة و تجاراتها .

3- مساعدة الفقراء و مواساتهم ، و إعانة الضعيف و العاجز و المريض .

4- بث الأفكار المتعلقة بالمقاصد الحسنة ، الخيرة بين مسلمي قسنطينة خصوصا و باقي إخوانهم عموما.

5- تأسيس مجالس الاجتماع بحيث يقصدها كل مسلم لرياضة فكره و اقتباس المعارف اللازمة له بعد الفراغ من كده على حصول ما تقوم به بنيته.

6- تأسيس مكتبات يجد فيها المشترك كتبا و مجلات و جرائد متنوعة تقرأ بالمحل و تعار.

7- ترتيب مسامرات علمية ،أدبية ،فنية ،و دروس عمومية و صناعية.

8- انبثاق مكتب خاص مهمته تقديم الإرشاد لمن يستشيره في أي أمر كان.

9- ترتيب وتأسيس جمعيات متعددة للإعانة ، و مواساة الفقراء ترتيبا موافقا للقانون الدولي المؤرّخ في 1898/04/16.

10- بيع المأكولات و المشروبات على استقامة ، و نشر تجارتها على مقتضى ما هو موجود عند الأورباويين.

11- إحداث إدارات القرض العمومي و إدارات للمدافعة على حقوق الخدمة للمسلمين.

12- السعي في إحداث و جلب كل ما فيه صلاح للأمة وفق مقاصدها.

13- إن الجمعية لا مدخل لها في السياسة ، و لا مقصد عن جهة الدين إذ الناس أحرار فيه. إذ المفاوضة في هذين الأمرين ممنوعة بناديها محل جلساتها.

14- يعين مؤقتا مكان النادي بالمكتب العلمي الإسلامي بنهج عبد الله باي رقم 10 قسنطينة.

هذا و يوجد في وثيقة تأسيس النادي بأن السيد أريب ARRIPE رئيس مجلس العمالة بقسنطينة هو الذي أسس هذه الجمعية

الخيرية. و أن الوالي العام للجزائر السيد جوناز JONNART قد بعث بتاريخ 19 ماي 1908 إلى السيد عامل عمالة قسنطينة ما يلي:

جوابا عن مكتوبكم المؤرخ بـ 27-4 المنصرم. أخبركم بأني أقبل أن أكون رئيسا للجمعية الخيرية التي أسسها السيد أريب رئيس مجلس العمالة بقسنطينة. و أطلب منكم تهنيته بدلي عن مشروعه الحسن. و أنني أأذن اجتماع أعضاء الجمعية بالمكتبة الإسلامية. كما أرى بفرح انخراط المشائخ و الموظفين من مسلمي الجزائر. في سلك هاته الجمعية العائد نفعها على الأمة الإسلامية.

هذا وإن نادي صالح باي يعتبر نواة الإصلاح لمجتمعنا الصناعي و الاقتصادي لو دام سائرا على الخطط و المبادئ. التي أسس عليها. و لكن أغراض الدخلاء المفسدين زحزحته حتى نسفته.[361]

ونادي صالح باي يوجد في مكانه اليوم معمل للملابس في نهج عبد الله باي رقم 10 بقسنطينة. و نهج عبد الله باي هذا هو نهج يتفرع من نهج العربي بن مهيدي. و يبتدي منه و ينتهي في السويقة (الحي العربي) بمدينة قسنطينة.[362]

---

[361] مجلة الشهاب، ج2، ص 574 سنة 1934،وقارن بـ : سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 124-125.

[362] سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 122-125.

ثانيا ـ نادي السعادة

إن هذا النادي كان مقره في نهج حملاوي[363] (كاورو سابقا) في القسم الأخير من النهج بالقرب من رحبة الجمال بقسنطينة ، وقد أسس سنة 1925 و مما جاء في جريدة النجاح[364] عنه ما يلي: نادي السعادة وفق جماعة من منتوري – قسنطينة إلى تأسيس نادي عربي لفراغ قسنطينة منه. و في مساء يوم الثلاثاء 1925/07/28 وقع اجتماع بعض الفضلاء بقهوة السعادة. و بعد افتتاح الجلسة وقعت محاورات في الغرض المقصود. و ألقى بعض الأدباء كلمات في الموضوع ،و أخيرا حصل الوفاق على تعيين خمسة من الفضلاء يقومون بتأسيسه و تشكيل جمعيته.

و في يوم الإثنين 1925/08/17 وقع استدعاء البعض ممن يلزم حضورهم إلى المجلس المنعقد بنهج كاورو قرب رحبة الجمال ،وتم انتخاب المكتب التأسيسي للنادي ....[365]

---

(363) نهج الشهيد حملاوي (داودي سليمان) يبتدي شمالا من نهج هنري ديفان، هذا النهج يمر أمام بلدية قسنطينة. و ينتهي جنوبا بنهج الإخوة برامة (يتفرع هذا النهج من رحبة الجمال) قاطعا نهج ديدوش مراد ،و نهج العربي بن مهيدي . سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 124-125.

سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 126.

(364) جريدة تصدر بقسنطينة عدد 219 بتاريخ 1925/07/31،نقلا عن : نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 126.

(365) سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 126-128.

ثالثا ـ نادي الاتحاد

وقع افتتاح هذا النادي و تدشينه في الساعة الثامنة و النصف مساء ليلة يوم الثالث عشر ربيع الأول سنة 1351هـ الموافق لمساء يوم 1932/07/16 هذا و إنّ الغرض الذي أسس النادي من أجله هو الاتحاد و التعارف ، و ربط العلائق بأواصر المحبة. و بث روح الثقافة بواسطة الخطب و المحاضرات.

يضاف لذلك أن هذا النادي كان مكانا يجتمع فيه الحجاج و غيرهم ،كما كانت تلقى فيه محاضرات و مسامرات من علماء و أدباء جزائريين و غير جزائريين.

و قد اجتمع في هذا النادي. أعضاء جمعية التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة. للموافقة على الهيئة الجديدة للمجلس الإداري لها.(366)

رابعا ـ نادي عبد الحميد بن باديس

يقع هذا النادي بمعبر رابلي سابقا Passage Rabelais مطلا على نهج العربي بن مهيدي. مقابلا للجامع الكبير بقسنطينة. هذا النادي يقع في الطابق الأول من العمارة الموجود فيها. و هو الآن مقر للكشافة الإسلامية الجزائرية.

---

(366) سليمان الصيد: نفحات الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار، 131-133 و 144-145.

بدأت فكرة تأسيسه سنة 1945. ليعلن عنه في الذكرى الخامسة لوفاة فضيلة الأستاذ الرئيس المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس التي تقع يوم 1945/04/16، آملين من هذا النادي أن يحقق الأغراض التي كان يسعى الشيخ بن باديس إلى تحقيقها .[367]

[367] المرجع نفسه ، 150-151 و 154.

المبحث الخامس

الجرائد الصادرة بقسنطينة

وهي كثيرة ،وهذه أبرزها :

1- جريدة قسنطينة journal de constantine: و هي أول جريدة صدرت في قسنطينة و كان ذلك في شهر أفريل 1848 على يد الصحفي: قيند (Guinde) و كان تصدر مرة كل خمسة أيام، و قد عمّرت ثلاث سنوات إلى أن توقفت عن الصدور سنة 1851م.[368]

2- التقدم القسنطيني (Progrés de Constantine): و قد ولدت على أنقاض جريدة قسنطينة برئاسة الصحفي قيند نفسه.

---

[368] الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر 2/165-166.

3- الإفريقي بريد قسنطينة: أنشئت في شهر يوليو 1851 لتكون ناطقة باسم الإدارة المحلية الفرنسية في شرق البلاد، برئاسة المسيو قيند و قد كان موقفها معاديا للإسلام و المسلمين في الجزائر.[369]

4- المستقل L'indépendant:و هي جريدة ذات اتجاه جمهوري صدر عددها الأول يوم 3 يونيو سنة 1859م بقسنطينة،
و كانت تصدر يومي الثلاثاء و الجمعة من كل أسبوع.[370]

5- نشرة المعمّرين (Bulletin des colons): كانت تصدرها الجمعية الجزائرية لحماية المعمرين و مستقبل الجزائر.[371]

6- جريدة حقوق الإنسان (Droits de l'homme): صدرت سنة 1871 في شكل نشرة تعبر عن آراء بعض الجمهوريين الذين تبنوا النظام الجمهوري في فرنسا والتزموا الدفاع عن الجمهورية الحقيقية و حقوق الإنسان، و قد تعرض مديرها لمضايقات إثر نشره مقالا انتقد فيه بعض الضباط مما أدّى إلى الاعتداء عليه جسديا و توقيف الجريدة في السنة نفسها أي 1871م.

7- الراديكالي (le radical): نشأت على أنقاظ جريدة حقوق الإنسان، ذات اتجاه جمهوري، شعارها الحرية و المساواة و الأخوة

---

[369] المرجع نفسه 167/2 و 169.

[370] الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر 172/2.

[371] المرجع السابق 179/2.

و التضامن و كان أول صدور لها يوم 25 يونيو 1871م، و كانت تظهر ثلاث مرات في الأسبوع أيام الإثنين، و الأربعاء، و الجمعة، برئاسة تحرير شخص يدعى قوندران (Gondran).[372]

8- تقدم الشرق (le Progrès de l'est): ظهرت للوجود يوم 29 ديسمبر 1875، و كانت جمهورية الوجهة، سياسية المشرب، أصدرها صحفي كبير في ذلك الوقت يدعى (Arthure de Fonvielle) بتكليف من السياسيين الأوروبيين المقيمين بقسنطينة لتكون ظهيرا لهم في الحملة الانتخابية التي كانت يومها على الأبواب.[373]

9- المنتخب: صدرت سوم 23 أفريل 1882م بقسنطينة، و هي أسبوعية كان رئيس تحريها فرنسيا يدعى بيار اتيان (Pierre Etienne). و كانت جل موادها تكتب بالفرنسية ثم تعرّب من قبل مترجمين جزائريين كأحمد بن لفقون، و احميدة بن باديس، و حسونة بن العموشي، و حمو بن يوسف و كان خطها يدعو إلى المساواة بين الأهالي الجزائريين و الأوروبيين في الحقوق و التمثيل النيابي، و الانخراط في الخدمة العسكرية، و الدخول للمدارس الحكومية، مما دعا فرنسا إلى التضييق عليها و الاعتداء على مديرها موراس (Mauras) و مثول مترجميها أمام

---

[372] الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر 3/61-63.

[373] الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر 3/76-77.

القضاء، و مطالبة الأهالي من سحب اشتراكاتهم فيها، مما اضطرها لتوقف عن الصدور يوم 23 جانفي 1883م بعد أن أصدر أربعين عددا.[374]

10- المبصّر: صدرت هذه الجريدة بقسنطينة برئاسة الفرنسي (Pierre onissa) و هي مزدوجة اللغة و حاولت السير على نهج المنتخب فلقيت مصيرها نفسه.[375]

11- الاستراحة (L'entracte): و هي جريدة نصف شهرية بدأت في الصدور عام 1883م، و كان رئيس تحريرها يدعى (Drago) و كان خطها العام الاهتمام بالنقد و الأدب، و البرامج المسرحية.

12- التقدم الجمهوري (Progrès de L'Algérie): ظهرت للوجود عام 1887 برئاسة (Schwod) و كانت تصد ثلاث مرات في الأسبوع.

13- الثورة (la révolution): أنشئت عام 1889 على أساس أن تصدر مرتين في الشهر و كان يديرها المسيو (Schwob)، و كانت ذات اتجاه اجتماعي، حيث كانت لسان حال العمال يومئذ.[376]

14- المعركة (le combat): صدرت عام 1889م و هي جريدة أسبوعة و كانت لسان حال الاشتراكيين.

---

(374) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م، 51-53.

(375) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 157، و محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م، 53.

(376) الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر 178/2.

15- (Le Clairon Boulangiste): صدرت عام 1889م ممثلة مطالب و وجهات نظر الجناح الوطني من أوروبيي قسنطينة

16- (les chroniques Algériennes): أنشئت سنة 1889م تصدر مرتين في الشهر و كان خطها العام الاهتمام بمجالات الفن و الأدب.[377]

17- الجمهوري (le Républicain): أنشئت عام 1879 منطلقة بالصدور خمس مرات في الأسبوع، ثم صارت يومية تعنى بشؤون البلديات و المحافظات، ذات اتجاه رديكالي، و قد كان مديرها يدعى (Forcioli) و رئيس تحريرها يدعى مورينو (Morinaud)، و قد عمّرت طويلا إلى أن انقطع صدورها عام 1890م.[378]

18- المسلم: صدرت بمدينة قسنطينة سنة 1909م من قبل الصحفي الفرنسي دليس (DALIS) و لم تستمر طويلا، و كان اتجاهها ينحو منحى الذب عن المصالح الوطنية و الذب عن حماها.[379]

19- النجاح: جريدة أسبوعية صدرت بقسنطينة في شهر أوت سنة 1919 و استمرّت في الصدور لغاية 1956م و السبب في ذلك أنها كانت لها مطبعة خاصة بها، و مكتبة تابعة لها و قد كانت بداية أمرها تعنى

---

(377) الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر 179/2.

(378) المرجع نفسه 178/2.

(379) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م، 69.

بشؤون الثقافة و الأدب، ثم تنكبت الصراط السوي فراحت تتكلم عن رجال الطرق و القياد و الباشاغوات مما جعل فرنسا تغض عنها الطرف مؤسسها الأول هو الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي ، ثم انضم لها الشيخ مامي إسماعيل الذي دعّمها إلى أن توقفت زمن الثورة التحريرية سنة 1956.[380]

20- المنتقد: هي جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء، تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس، من كل أسبوع، صدر العدد الأول منها يوم الخميس 11 ذي الحجة 1343هـ الموافق لـ 02 جويلية 1925م، و نظرا لتوجهها الإصلاحي لم يدم صدورها مطولا فكان العدد الثامن عشر آخر أعدادها و كان ذلك يوم الخميس 10 ربيع الثاني 1344هـ الموافق لـ 29 أكتوبر 1925م، و قد كانت تحت الإشراف المباشر للشيخ عبد الحميد بن باديس، إدارة الشيخ أحمد بوشمال و إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمهما الله تعالى-.[381]

21- الشهاب: هي امتداد لجريدة المنتقد المعطّلة تحمل شعارها ذاته، صدر العدد الأول منها يوم 12 نوفمبر 1925 و انطلقت كأسبوعية ثم واصلت

---

(380) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 158.

(381) استقينا هذه المعلومات من خلال تصفّحنا لأعداد جريدة المنتقد بدءا من العدد الأول إلى العدد 18 و الأخير.

الصدور مرتين في الأسبوع إلى أن حاصرتها ضائقة مالية في سنتها الرابعة فأصبحت تصدر مرة في الشهر ابتداء من غرة رمضان 1347هـ الموافق لـ شهر فيفري 1929م، و قد كانت الشهاب بحق مجلة راقية تؤرخ للحركة الفكرية الجزائرية في تلك الحقبة من الزمن و كانت لسانا ناطقا لجمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها سنة 1931 إلى أن توقف صدورها في شهر أوت سنة 1939م.[382]

22- البرق: هي جريدة أسبوعية اجتماعية أدبية، انتقادية سياسية اقتصادية، فكاهية، شعارها: «خدمة الوطن و المصلحة العامة، و استثمار المال» تبرز كل يوم اثنين، صاحب امتيازها رحموني محمد عبد المجيد، و هي ذات خط إصلاحي، يكتب فيها جملة من رجال الإصلاح البارزين كالشيوخ محمد سعيد الزاهري الذي له باع كبير في الكتابة فيها، و الطيب العقبي، و مبارك الميلي ،و محمد الأمين العمودي و غيرهم.

طبعت بالمطبعة الجزائرية من عددها الأول الذي صدر يوم 07 مارس 1927 إلى العدد السادس عشر، و من العدد 17 صارت تطبع بمطبعة النهضة بتونس لغاية العدد 23، هذا و قد اتخذت من بطحاء سيدي الجليز رقم 19 بقسنطينة مقرًّا لها.[383]

---

(382) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 158.استقينا هذه المعلومات من خلال تصفحنا لأعداد الشهاب و قارن بـ محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م، 101-106 و سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 161.

(383) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 162.

23- المبصّر الإفريقي: جريدة نصف شهرية صدر العدد منها في نوفمبر 1931 و كانت مزدوجة اللغة، و كان الهدف منها الدعوة لتأييد الدكتور الطبيب محمد الصالح بن جلول في الانتخابات الإقليمية التي كانت ستجرى في تلك الفترة الزمنية، و قد يرأس الجانب العربي منها الشيخ محمد الصالح خبشاش و الجانب الفرنسي شندرلي ، و قد صدرت منها أعداد قليلة و توقفت بانتهاء المهمة التي من أجلها أنشئت.[384]

24- السنة النبوية المحمدية: صدر العدد الأول منها في 01 مارس 1933 تحت إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس، كما أسندت رئاسة تحريرها للشيخين الطيب العقبي، و محمد السعيد الزاهري، أمّا شعارها فكما يتضح من غلافها إذ على ميمنته قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[385] و على ميسرته قوله – صلّى الله عليه و آله و سلم –: «من رغب عن سنتي فليس مني»[386] و كان الهدف من إنشاء هذه الجريدة التي هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين كما هو مسطور فوق غلافها هو التصدي لبعض العلماء المزيفين الذين انشقوا عن جمعية العلماء المسلمين، و ساروا في فلك المستعمر الغاشم مؤسسين جريدة الإخلاص في

---

(384) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، و فليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية 262/4 ط بيروت عام 1933م.

(385) الأحزاب : 21 .

(386) البخاري : الجامع الصحيح ،كتاب : النكاح ،باب : الترغيب في النكاح ،حديث رقم : 5063 ، 9/ 104 .

1932/12/19، و جريدة المعيار في 1932/12/16 لتشويه صورة العلماء الحقيقيين، غير أن المستدمر الفرنسي لما لامس نهجها الإصلاحي التنويري و بتحريض من العلماء المزيفين المنشقين الذين أسسوا جمعية أسموها «جمعية علماء السنة» أوقفت الجريدة بقرار من وزير الداخلية الفرنسي في 1933/06/22 بعدما صدر منها 13 عددا.[387]

25- جريدة الجحيم: هي جريدة صدرت بمدينة قسنطينة و كانت تطبع بطريقة سرية جعلت عنوانها في نهج بن عاشير رقم 16 بالجزائر العاصمة و صاحب امتيازها السيد جوكلاري محمد الشريف صدر العدد الأول منها يوم 1933/03/30. تقوم بتحريرها نخبة من شبان الزبانية تتنفس يوم الخميس من كل أسبوع. شعارها: العصا لمن عصى. كانت تصدر في أوراق حمراء صدر منها 7 أعداد فقط و عطلت بأمر من وزير الداخلية الفرنسي كان من كتابها الأدباء الشبان المصلحون الشيخ محمد السعيد الزاهري و الشيخ عبد الرحمان غريب و الأستاذ محمد الأمين العمودي و غيرهم و قد كان هذا الثالوث المقتدر و غيره استطاع أن يرد على جريدة المعيار البذيئة بما تستحق من لطم و صفع و كلام مقذع و الظلم بالظلم و البادي أظلم.[388]

---

[387] محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، 198-201.

[388] سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 163.

26- الشريعة النبوية المحمدية: جريدة أسبوعية، تظهر كل يوم اثنين و قد أنشئت لتحلّ محلّ جريدة السنّة المعطلة فصدر العدد الأول منها يوم الاثنين 24 ربيع الأول 1352هـ الموافق لـ 17 جويلية 1933م تصدرها جمعية العلماء المسلمين تحت إشراف رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس مع إسناد رئاسة تحريرها للشيخين الطيب العقبي، و محمد السعيد الزاهري، أمّا صاحب امتيازها فالشيخ أحمد بوشمال، و قد كان شعارها كما هو مبين على صفحتها الأولى من اليمين قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾[389] و من اليسار قوله - صلّى الله عليه و سلّم -: «من رغب عن سنتي فليس مني» [390] ، و قد صدرت منها سبعة أعداد، إذ صدر العدد السابع و الأخير يوم الاثنين 28 أوت 1933 ليصدر بعده يوم قرار تعطيلها من قبل السلطات الفرنسية.[391]

27- الصراط السّوي: هي كسابقتها تعد لسان حال جمعية العلماء المسلمين تصدر تحت إشراف رئيسها و يرأس تحريرها الأستاذان العقبي و الزاهري أما صاحب امتيازها فالشيخ أحمد بوشمال، كتب فوق صفحة عنوانها قوله تعالى: ﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السّوي و من اهتدى﴾[392] و عن يمينها قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك

---

(389) الجاثية 18.

(390) سبق تخريجه.

(391) استقينا هذه المعلومات من خلال تصفحنا لبعض أعداد جريدة الشريعة النبوية المحمدية.

(392) طه 135.

على شريعة من الأمر فاتبعها﴾[393] و عن يسارها قوله - صلّى الله عليه و آله و سلم -: «من رغب عن سنتي فليس مني»، و قد ظهر عددها الأول في 11 سبتمبر 1933، و بعد صدور 17 عددا منها عطلت بقرار من وزير الداخلية الفرنسي مؤرخ في 23 ديسمبر 1933.[394]

28- أبو العجائب: و هي نشرة فكاهية، نقدية، تهذيبية، صدر العدد الأول منها يوم 1934/05/24، يرأس تحريرها الشيخ محمد العابد الجلالي و يديرها الشيخ أحمد بوشمال، و صاحب امتيازها منياي محمد، تطبع بالمطبعة الجزائرية الإسلامية، تظهر كل يوم خميس في أربع صفحات خصصت الصفحة الأخيرة منها للإعلانات، صدر منها 10 أعداد.[395]

29- الميدان: جريدة اجتماعية، سياسية، جزائرية، تصدر كل يوم أحد صاحب امتيازها الحاج الطيب بن حملة و مدير تحريرها حسن الوارزقي ظهر العدد الأول منها في 27 جوان 1937م، و استمرت طباعتها بقسنطينة لغاية العدد الحادي عشر ثم تحولت لتطبع بالعاصمة بالمطبعة العربية، و هي تعتبر الناطق الرسمي بلسان الدكتور محمد الصالح بن جلول فهي تدافع عنه، و تؤيد جمعية النواب المسلمين، و تنتقد كل من يخالف ذلك اتخذت من هذين البيتين شعارا لها:

---

[393] الجاثية 18

[394] سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 163-164، و محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، 264 و 266.

[395] سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 164.

يشهد التاريخ أن لن نُقْهَرا ⁂ نحن في الهيجاء آساد الشّرى

سيرة العز و عهد الشمم ⁂ و إذا متنا نعيما للورى

و استمرت في الصدور إلى أن تعطلت من قبل الإدارة الفرنسية في شهر فيفري 1938 بعد أن صدر منها 28 عددا.[396]

30- النصر: مجلة شهرية مصورة بمدينة قسنطينة إبان الحرب العالمية الثانية و هي دعائية، سياسية، و قد أصدرتها السلطات الفرنسية باللغة العربية لخدمة مصالحها فقد كانت موجهة بصفة خاصة إلى الجنود المسلمين الجزائريين الذين جندتهم في صفوفها، استمرت حتى ماي 1944.[397]

31- الشعلة - قسنطينة، 1949: أسبوعية للكفاح و الانتقاد، المشرف على الإدارة «أحمد بوشمال» صاحب الامتياز «الصادق حماني» رئيس لتحرير الأديب المعروف «أحمد رضا حوحو» أصدرها بقسنطينة في 15 ديسمبر من سنة 1949 و اتجاهها إصلاحي وطني تهتم بالموضوعات السياسية و الثقافية. و تعنى بصفة خاصة بنقد الشخصيات الاجتماعية و الثقافية و السياسية، تحت ركن «في الميزان». كما كانت تخصص ركنًا للشعر الشعبي تحت ركن «تحت السياط نغني» و ركن «مسامير للنقد» أيضا. و هي ذات مستوى فكري رفيع، استمرت في الصدور حتى فيفري

---

(396) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، ص 303-312. و سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 164.

(397) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، ص 338.

1951 أصدرت خلاله أربعة و خمسين عددًا، صدر آخرها في 1951/02/08.[398]

32- جريدة البصائر[399]: بدأت بالصدور في مدينة قسنطينة ابتداء من العدد 84 و ذلك يوم الجمعة 1937/10/29 جاء فوق عنوانها الآية الكريمة ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها و ما أنا عليكم بحفيظ﴾[400] أما هذه الآية الكريمة فهي مكتوبة تحت العنوان و ذلك في أعداد البصائر التي صدرت في عاصمة الجزائر و ذلك ابتداء من العدد 1 إلى 83 و هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سلسلة الجزائر و قسنطينة تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع المدير المسؤول و رئيس التحرير[401] مبارك بن محمد الميلي صاحب الامتياز الشيخ محمد خير الدين و بقيت الجريدة على هذا المنوال في قسنطينة باسم

---

(398) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، ص 347. و قارن بـ: سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 166-167.

(399) صدر العدد الأول من جريدة البصائر بالجزائر العاصمة يوم الجمعة 1935/12/27 مدير الجريدة و رئيس تحريرها الطيب العقبي صاحب الامتياز الشيخ محمد خير الدين و بعد العدد 83 انتهى الصدور بالجزائر و انتقل إلى قسنطينة و تغيرت إدارتها من الشيخ الطيب العقبي إلى الشيخ مبارك بن محمد الميلي أما صاحب الامتياز فبقي الشيخ محمد خير الدين هذا و يلاحظ بأن العدد 83 الأخير الذي صدر بعاصمة الجزائر لا يوجد فيه اسم الشيخ الطيب العقبي و إنما جاء فيه باسم مدير الجريدة المسؤول و صاحب امتيازها الشيخ محمد خير الدين ثم ابتداء من العدد 84 بدأ صدورها بقسنطينة باسم الشيخ مبارك الميلي و الشيخ محمد خير الدين.

(400) الأنعام : 104 .

(401) ابتداء من العدد 84.

الشيخ مبارك الميلي و الشيخ محمد خير الدين إلى تاريخ 1939/08/25 حيث توقفت في هذا التاريخ و قد صدر منها 180 عددا في ظرف أربع سنوات انتهت سنتها الأولى بعدد 50 بتاريخ 1937/01/08 و ابتدأت سنتها الثانية بعدد 51 بتاريخ 1937/01/15 و انتهت السنة الثانية بعدد 89 و ابتدأت سنتها الثالثة بعدد 90 بتاريخ 1937/12/10 و انتهت السنة الثالثة بعدد 140 و ابتدأت السنة الرابعة بعدد 141 بتاريخ 1938/11/25 و انتهت نهائيا بعدد 180 بتاريخ 1939/08/25 بعد اندلا ع الحرب العالمية الكبرى الثانية.

وجريدة البصائر سجل حافل بالأمجاد لا يستغني عنها أي باحث أبدا ،فهي كالشهاب جريدة و مجلة لا يمكن لأي كان أن يكتب عن الجزائر العربية المسلمة في العصر الحديث دون الرجوع إلى الشهاب و البصائر.

ثم بعد الحرب العالمية الثانية صدرت جريدة البصائر في سلسلتها الثانية بعاصمة الجزائر و ذلك من سنة 1947 إلى سنة 1956 المدير و صاحب الامتياز المسؤول العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علامة الجزائر في عصره إخلاصا و عملا صاحب العلم الغزير و القلم السيال الراقي في الدفاع عن الوطن و العروبة و الإسلام رحمه الله.

عنوان الجريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع[402] شعارها العروبة و الإسلام ما أحلى هذا الشعار العظيم في الوطن الجزائري وطن العروبة و الإسلام بحق. هذا و ألاحظ هنا بأن جريدة البصائر في سلسلتها الأولى بالجزائر و قسنطينة ففي الجزائر كانت تطبع في المطبعة العربية للشيخ أبو اليقظان أحد أعضاء جمعية العلماء في ذلك الوقت و الصحافي المقتدر الشهير صاحب الصحف المتعددة أما في قسنطينة فكانت تطبع في المطبعة الجزائرية الإسلامية.[403]

33 ـ النصر: وهي جريدة يومية عمومية ،إخبارية ،تأسست يوم : 28 /سبتمبر 1963 م، وكانت ناطقة بالفرنسية ،لغاية تعريبها في : 01 / جانفي 1972 م، مقرها الاجتماعي بالمنطقة الصناعية 24 /فيفري 1956 قسنطينة، مسؤول النشر والرئيس المدير العام بها حاليا، أي في جانفي 2015 م العربي ونوغي ،ومدير التحرير :سليم بوفنداسة، ورئيس

---

(402) كانت في سنة 1948 مثلا تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع و عنوانها البصائر ملك جمعية العلماء و لسان حالها، شعارها العروبة و الإسلام ،المدير المسؤول و صاحب الامتياز و رئيس التحرير محمد البشير الإبراهيمي ،و جريدة البصائر في سلسلتها الثانية (1947-1956) قد طبعت في عدة مطابع بالجزائر و كانت تجعل في الجهة اليمنى من عنوان الجريدة آيات قرآنية و أحاديث نبوية و حكم عربية بعنوان : من أدب القرآن ،من أدب السنّة النبويّة ،من حكم العرب ،و تارة لا تجعل ذلك حسب الظروف و المقام.

(403) سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، 165-166.

التحرير :عبد القادر طوابي ،ورئيس تحرير الموقع التفاعلي :محمد [illegible] [404].

34 ـ الأصيل : جريدة الشرق الجزائري يومية إخبارية مستقلة،تصدر بالفرنسية عن مؤسسة: EURL Inter med-infos ،مقرها الاجتماعي والإداري ،24 شارع بالوزداد ،قسنطينة ،المدير العام مسؤول النشر : ناصر الدين خنفار. [405]

35 ـ الجمهور: جريدة يومية إخبارية مستقلة،تصدر عن مؤسسة الجمهور كوم للاتصال والخدمات، ثم غيرت تسميتها لتصبح تسمى بالجمهور الرياضي، مقرها الاجتماعي والإداري، دار الصحافة، المنطقة الصناعية الرمال، قسنطينة، المدير العام مسؤول النشر: علي بن طاهر، ومسؤول التحرير بها: محمد بوحصان . [406]

---

[404] جريدة النصر،العدد :14603 ،الصادر في :31 /جانفي 2015 الموافق لـ : 10 / ربيع الثاني 1436 هـ . ص 21

[405].جريدة الأصيل ،العدد :6518 ،الصادر في :31 /جانفي 2015 الموافق لـ : 10 / ربيع الثاني 1436 هـ . ص 19 .

[406].جريدة الجمهور الرياضي ،العدد :2810 ،الصادر في :31 /جانفي 2015 الموافق لـ : 10 / ربيع الثاني 1436 هـ . ص 2

36 ـ المؤشر : جريدة يومية إخبارية مستقلة،تصدر بالعربية ،والفرنسية عن مؤسسة : EURL LE POINT PRESSE،مقرها الاجتماعي والإداري ،نهج عبان رمضان 23 مكرر ،قسنطينة ،المدير العام ومدير النشر مزازيغ زبير .[407]

[407].جريدة المؤشر ،العدد :1171 ،الصادر في :31 /جانفي 2015 الموافق لـ : 10 / ربيع الثاني 1436 هـ . ص 22 .

الخاتمة

بعد هذا التطواح والتطواف في عرض تاريخ ومآثر مدينة قسنطينة توصلنا إلى النتائج الآتية :

أولا ـ لقد تعاقبت على قسنطينة حضارات مختلفة ، بدءا من النوميديين ،وانتهاء بعصرنا الحاضر ،مما جعل لبعض هذه الحضارت بصمتها لا سيما في المظاهر العمرانية بالمدينة ، **مما جعلها** تزخر بإرث عمراني كبير ،متمثلا في جسورها ،وقصورها ، وآثارها المنبئة على أن حضارة عظيمة مرت من هنا .

ثانيا ـ إن قسنطينة بسكانها البربر المناجيد كانت عصية على المحتلين عبر تاريخها الحافل بالأمجاد والبطولات .

ثالثا ـ إن قسنطينة كانت بحق حاضرة من حواضر العلم والمعرفة ،تزخر ببيوتات العلم الكثيرة ،كعائلات ابن قنفذ ،وابن لفقون ، وآل باديس وأضرابهم، فضلا عن كونها كانت تزخر بالمساجد ، والزوايا ، والمدارس هذه الحواضن التي كانت تعج بدروس العلم المختلفة مما جعلها محجا يؤمه

طلبة العلم من شتى أصقاع،قصد النهل مما تحويه من رضاب علومها النافعة وسلسبيلها الغض .

رابعا ـ لقد كانت قسنطينة ـ رغم رزوحها تحت نير الاستعمار البغيض ـ مدينة إعلامية ،بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى،ولأدل على ذلك من ذلكم الكم الهائل من الصحف والجرائد الصادرة فيها في تلك الحقبة .

وفي الأخير :فهذا جهد المقل ،المعترف بقلة باعه وزاده ، وصلى الله وسلم وبارك على الرحمة المهداة ،والنعمة المسداة سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأزواجه وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أ

. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ط: دار صادر بيروت لبنان 1385هـ/1965م .

. أوجين فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، 1792م-1837م، تحقيق صالح نور، ط: 1 ، سنة : 1432 هـ/ 2010 م ، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر.

. أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار ط ؟ ت ؟.

ب

. بجاجة عبد الكريم: معركة قسنطينة 1936-1937،تعريب : محمد الهادي لعروق ،ط ؟ ،ت ؟ ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر .

ت

. تركي رابح :التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط : 1395 هـ / 1975 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ،ط ؟ ،1329 هـ ، د ؟ ،مصر .

ج

. ابن الجزري شمس الدين : غاية النهاية في طبقات القراء، ط: 3 1402 هـ / 1982 م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

. الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ،ط ؟ ،2014 م ،دار الأمة الجزائر .

ح

. ابن الحاج النميري: فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، ط 1، 1990 م دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان .

. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، ط: 1 ، 1418 هـ / 1997 م منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

. الحفناوي: أبو القاسم محمد : تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر 1991م

. حميداتو مصطفى محمد: عبد الحميد ابن باديس رحمه الله وجهوده التربوية كتاب الأمة، العدد 57 ط : 1 ، المحرم 1418 هـ/ ماي 1997 م السنة السابعة عشرة.

خ

. ابن خلدون: العبر من ديوان المبتدأ و الخبر ، ط: بولاق، 1284 القاهرة.

. ابن خلكان : وفيات الأعيان ،تحقيق : إحسان عباس ،ط ؟ ،دار صادر بيروت ،لبنان.

د

.دبوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة ،ط ؟،1971م ،المطبعة العربية غرداية ،الجزائر .

أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/1921م إلى عام 1395هـ/1975م ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر .

. الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي و المؤسسات، نقله إلى العربية :حمادي الساحلي ط : 1 ، 1994 م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

ر

. رشيد بوروبة: الدولة الحمادية تاريخها وحواضرها، ط 2007 ، وزارة الثقافة، الجزائر .

. رشيد بوروبة: ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، الجزائر ، نقلا عن عبد العزيز فيلالي : مدينة قسنطينة في العصر الوسيط ، دراسة سياسية عمرانية ثقافية .

ز

. الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ط سنة : 1982 م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ط : 2 ، 1966 المكتبة العتيقية تونس .

الزركلي : الأعلام ط: 15، أيار ، مايو، 2002 م ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان.

س

. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان. .

السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

. سطحي سعاد: وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية نموذجا ،مقال منشور بمجلة المعيار ، العدد العاشر

. سعد الله أبو القاسم: محمد الشاذلي القسنطيني 1807 . 1877 م دراسة من خلال رسائله وشعره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

. سلامة عبد الرحمن : التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية ، 15 – 16 ، مكتبة الشعب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر

. سلمان نصر : المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي :، مقال منشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد العاشر رجب 1422 هـ / سبتمبر 2001 م

. سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ط: 1 1994 م.

. سليمان الصيد: تاريخ الجزائر القديم، طبعة 1966/2م، مطبعة البعث قسنطينة.

. السليماني أحمد وآخرون :المكنون الحضاري الفنيقي القرطاجي في نوميديا القديمة " الكائنة في الجزائر الحالية" من خلال الدلالات واللقى الأثرية والأنصاب الندرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، ط سنة : 2007م الجزائر

ش

. الشريف الإدريسي :وصف إفريقية و المغرب، ط ؟ ،ت ؟ د ؟ .

. شنيتي محمد البشير: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

. شنيتي محمد البشير: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي،ط سنة 1984 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

. شنيتي محمد البشير: سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا " 146 ق . م ـ 40 م " ط : 2 1985 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

ط

. الطّالبي محمد: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)، تعريب المنجي الصيادي ، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، ط : 2 ، 1415 هـ/ 1995 م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان.

ع

. عادلة علي الحمد : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ، ط سنة : 1980 م ، دار ومطابع المستقبل، بلفحالة بالقاهرة ، وصفية زغلول بالإسكندرية مصر.

. عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، ط : 1 ، 1971م، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

. ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار المغرب، ط سنة : 1950م بيروت لبنان .

. العربي إسماعيل: دولة بني زيري – ملوك غرناطة، ط سنة: 1982م، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

. العربي إسماعيل: دولة بني حماد – ملوك القلعة و بجاية، ط سنة 1980م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

. العربي إسماعيل: عواصم بني زيري – ملوك أشير، بجاية، غرناطة، المهدية ط : 1، 1404هـ/1984م، دار الرائد العربي ، بيروت، لبنان.

. العروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ط سنة : 1984م، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

. عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني و الروماني «القسم الإفريقي»، ط: سنة 2004م ، مكتبة الحضري ، الإسكندرية مصر.

. عزوي محمد الطاهر: مقال بعنوان: "العوامل التي استعملها الاحتلال الفرنسي لمحاربة الدين الإسلامي منذ الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال"

. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، لبنان .

. ابن العنتري محمد الصالح:مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، ط سنة : 1394هـ/1974م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

. ابن العنتري محمد الصالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، ط سنة 2007م، مراجعة وتقديم وتعليق: يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر.

. عويس عبد الحليم: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط: 2، 1411هـ/1991م، درا الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة، ودار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، مصر.

. عيبش يوسف : الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب ـ دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ،ط : 1 ،دار بهاء الدين الجزائر ،ودار عالم الكتب الحديث ،الأردن .

غ

. غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، ط: 1 1998م، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

. غانم محمد الصغير: سيرتا النوميدية،- النشأة و التطور، مساهمة أ. زينب بلعابد، و مساعدة: أ. عبد المالك سلاطنية، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.

. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمي من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه وعلق عليه عادل نويهض ط : 1 1969 م، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان.

. غربي كمال: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ط سنة: 2012م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار ذاكرة الناس للنشر، الجزائر.

ف

. فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 ـ 1850 ،ط ؟ 2007 ،ديوان المطبوعات الجامعية .

. ابن الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية تحقيق :أبي القاسم سعد الله ،ط ؟ ،1987 م ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان .

. فيلالي عبد العزيز : مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية) ،ط : ؟ ،1423 هـ /2002 م ،دار البعث قسنطينة الجزائر

ق

. ابن قنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تقديم وتحقيق : محمد الشاذلي النيفر ،وعبد المجيد التركي ،ط ؟ ،1968 ،الدار التونسية للنشر ،تونس .

. ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات ،معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة : 11 ـ 807 هـ ،حققه وعلق عليه : عادل نويهض ، ط : 4 ،1403 هـ / 1983 م ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان .

ك

ابن كثير : البداية و النهاية ،ط ؟ ،مكتبة المعارف ، بيروت لبنان .

. كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ،ط ؟ ،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان .

ل

. لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري " 11 م " ط ؟ ،1979 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

م

. مازن المبارك : اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ، ط : 2 سنة 1985 م ، دار النفائس ومؤسسة الرسالة .

.مالك بن أنس : المدونة الكبرى ،برواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم ،ط ؟ ت؟ دار الفكر بيروت لبنان .

. محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي و الحاضر — تاريخ مدينة قسنطينة،ط ؟ ،1400 هـ / 1980 م ،مطبعة البعث قسنطينة الجزائر .

. المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة 1368هـ/1943م، القاهرة، مصر .

ابن مريم ،أبو عبد الله محمد بن محمد التلمساني : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،ط :؟ ،1986 ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

المطوي محمد العروسي :السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ،ط ؟ ،1406 هـ / 1986 م ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان .

. مفدي زكرياء : إلياذة الجزائر ، نشر وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

المقَّري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق : إحسان عباس ،ط ؟ ،1408 هـ /1988 م ،دار صادر ،بيروت لبنان .

. مهري محمد العربي: محاضرة مخطوطة حول مدينة قسنطينة.

ن

ناصر محمد : الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ،ط : 3 1427 هـ / 2007 م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

و

- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة،دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق :محمد زينهم محمد عزب ،ط ؟ ،2001 ، مكتبة : مدبولي ، القاهرة ، مصر .

ي

- ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق :فريد عبد العزيز الجندي ،ط : 1 1410 هـ /1990 م ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

مواقع الأنترنت :

http://ar.wikipedia.org/wiki

www.marefa.org/index.php

http://constantine-sara.blogspot.com

http://aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions

http://www.newscirta.com/content/blog-01/2015cne.com/4http://www..html33post_

http://www.fmaorof.com/vb/showthrd

الملاحق

أولا ـ ملحق شعري يؤرخ لقسنطينة من تأليف الأستاذ الدكتور : نصر سلمان بعنوان :

المزنة الهتونة في تاريخ

قسنطينة المصونة

لقد طلب مني الأستاذ الكبير الدكتور عبد العزيز فيلالي مرات عديدة كتابة قصيدة حول تاريخ قسنطينة ماضيا وحاضرا ونظرا للمكانة العظيمة لهذا الرجل في قلبي وجدت نفسي مرغما أدبيا وأخلاقيا على تلبية طلبه مما جعلني أعود للاطلاع على بعض ما كتب حول مدينة قسنطينة فكان أول ما وقع بين يدي كتاب مدينة قسنطينة للأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلالي

والأستاذ محمد الهادي لعروق ثم اطلعت على كتاب تاريخ قسنطينة لأحمد مبارك العطار وعلى مطبوعة مكتوبة بالإعلام الآلي للأستاذ محمد العربي مهري بعنوان : " تاريخ مدينة قسنطينة " والتي كانت رغم صغر حجمها جامعة لتاريخ المدينة وقد أمدتنا بالكثير من المعلومات التاريخية المهمة كيف لا وصاحبها كان مدرسا للتاريخ وقد استفدت منها كثيرا في التعرف على تاريخ هذه المدينة كما أعانتني في شرح وتبسيط وتوضيح بعض ماورد في القصيدة وذلك من خلال ما احتوته الهوامش المرفقة بها.

والخلاصة أنه بالاعتماد على ما ذكرت من المراجع لاسيما المطبوعة الأخيرة تجلى لي تاريخ قسنطينة ماثلا للعيان فرحت أصوغه شعرا فكانت هذه القصيدة .

وفي الأخير أقول : جزى الله خيرا كل من أمدني بمعلومة كتابية أو شفوية حول مدينة قسنطينة ، سائلا الله عز وجل أن ينفعهم بذلك يوم العرض الأكبر عليه آمين آمين .

عَلىَ صَخْرَةٍ عُتِّقَتْ بِالْجَمَالِ

وَقَدْ زُخْرِفَتْ بِصُنُوفِ اللَّآلِي

وَجَدْنَا مَدِينَةَ سِرْنَا الْجَمِيلَةْ

مُهَيْمِنَةً فَوْقَ تِلْكَ الجِبَالِ

وَمُذْ فُلِقَ الصَّخْرُ شَطْرَيْنِ قَامَتْ

حَضَارَاتُهَا فَوْقَ وَادِي الرِّمَالِ(408)

وَبَعْدَ جَفَافِ الْبُحَيْرَةِ فِيهَا

تعَاظَمَ بُنْيَانُهَا فِي الْأَعَالِي(409)

حَضَارَتُهَا شَاهِدَاتٌ عَلَيْهَا

وَقَدْ طُرِّزَتْ بِصُنُوفِ الْكَمَالِ

وَفَوْقَ صُخُورِهَا قَدْ صُمِّمَتْ

---

(408) ــ بعد انفلاق الصّخر شطرين فتح المجال لمجرى وادي الرّمال.

(409) ــ المقصود بها بحيرة المنصورة؛ فبعد جفافها صارت أرضا يابسة؛ فتعاظم البنيان فوقها.

تَوَارِيخُ تِلْكَ الْعُصُورِ الْخَوَالِي

فَذَا عَصْرُنَا الْحَجَرِيُّ الْحَدِيثُ

بِهِ أُمَّةٌ مِنْ طِرَازِ الرِّجَالِ(410)

فَآثَارُ تِيدِيسَ شَاهِدَةٌ

عَلَى إِرْثِ أَسْلاَفِنَا الْمُتَعَالِي(411)

سَلاَمًا عَلَيْكِ بِلاَدَ الْجُسُورِ

سَلاَمًا يَلِيقُ بِهَذَا الْجَمَالِ

وَقَدْ كُنْتِ عَاصِمَةً نُومِيدِيَّهْ

وَلُؤْلُؤَةً فِي رُبُوعِ الشَّمَالِ(412)

وَقَدْ آخَى فِيكِ النُّومِيدِي الْفِينِيقِي

---

(410) ــ ويسمّى كذلك بالعصر النّيوليتي.

(411) ــ ذكرنا آثار تيديس كنموذج يقصد به التّمثيل فقط، وإلاّ فآثار قسنطينة في العصر الحجريّ الحديث كثيرة كآثار بونوّارة وعين مرزوق.

(412) ــ المقصود بالشّمال؛ شمال إفريقيّة.

تَوَارِيخُ تِلْكَ الْعُصُورِ الْخَوَالِي

فَذَا عَصْرُنَا الْحَجَرِيُّ الْحَدِيثُ

بِهِ أُمَّةٌ مِنْ طِرَازِ الرِّجَالِ(410)

فَآثَارُ تِيدِيسَ شَاهِدَةٌ

عَلَى إِرْثِ أَسْلاَفِنَا الْمُتَعَالِي(411)

سَلاَمًا عَلَيْكِ بِلاَدَ الْجُسُورِ

سَلاَمًا يَلِيقُ بِهَذَا الْجَمَالِ

وَقَدْ كُنْتِ عَاصِمَةً نُومِيدِيَّهْ

وَلُؤْلُؤَةً فِي رُبُوعِ الشَّمَالِ(412)

وَقَدْ آخَى فِيكِ التُّومِيدِي الْفِينِيقِي

---

(410) ــ ويسمّى كذلك بالعصر النّيوليتي.

(411) ــ ذكرنا آثار تيديس كنموذج يقصد به التّمثيل فقط، وإلاّ فآثار قسنطينة في العصر الحجريّ الحديث كثيرة كآثار بونوّارة وعين مرزوق.

(412) ــ المقصود بالشّمال؛ شمال إفريقيّة.

وَمَدَّ الْجَمِيعُ يَدًا لِلنِّضَالِ(413)

وَسَمَّى الْفِنِيقِيُّ أَرْضَكِ قِيرطَا

وَقِرْطَةُ تَعْنِي قِلاَعَ النِّزَالِ(414)

وَذَا مَاسِينِيسَا الْعَظِيمُ الْمُفَدَّى

نَقِيُّ الطَّوَايَا كَرِيمُ الْخِلاَلِ

بَنَى فَوْقَ أَرْضِكِ سُلْطَانَهُ

فَكَانَ مَلِيكًا عَظِيمَ الْجَلاَلِ

وَفِي عَهْدِهِ عَمَّ خَيْرٌ وَفِيرٌ

وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ صَعْبَ الْمَنَالِ

وَبَعْدَهُ جَاءَتْ بِيزَنْطَا الْحُقُودَهْ

---

(413) ــ لقد امتزج الفنيقيّون الوافدون من الشّام حوالي 1450 قبل الميلاد بالنّوميديّين وانصهرا في بوتقة واحدة.

(414) ــ لقد أطلق الفنيقيّون على قسنطينة تسمية "قيرطة" أو "كيرثن"؛ وهي كلمة كنعانيّة تعني "القلعة أو المدينة الكبيرة"، ثمّ حرّفها اللاّتينيّون إلى سيرتا.

مُحَمَّلَةً بِالْغَنَى وَالنِّكَالِ(415)

فَقَاوَمَهَا شَعْبِيَ الْبَرْبَرِيُّ

وَأَشْرَبَهَا مِنْ كُؤُوسِ الْوَبَالِ(416)

وَلَقَّنَ سِيزَارَ دَرْسًا كَبِيرًا

وَعَلَّمَهُ تَجْرِبَاتِ الْقِتَالِ(417)

فَخُرِّبَ بُنْيَانُهَا يَوْمَ ذَاكَ

وَقَدْ مُنِيَتْ حِينَهَا بِالْخَبَالِ(418)

وَبَعْدَ قُرُونٍ طِوَالٍ مَضَتْ

---

(415) ــ إنّ سكّان قسنطينة لم يستسيغوا البيزنطيّين، وقاوموهم بكلّ ما أوتوا من قوّة.

(416) ــ لقد قاوم شعب قسنطينة الأمازيغيّ البيزنطيّين مقاومة شرسة.

(417) ــ لقد دخلت قسنطينة خلال القرن الأوّل قبل الميلاد في عهد سيزار الرّومانيّ تحت النّفوذ والحكم الرّومانيّ.

(418) ــ استمرّ الحكم الرّومانيّ بها إلى أن خرّبها الأمازيغ بعد قتال عنيف وثورة عارمة سنة 308م.

أَعَادَ قُسْنْطِينُ سِحْرَ الدَّلاَلِ(419)

فَسَادَ النَّشَاطُ وَقَامَ الْبِنَاءُ

وَسُرَّ الْجَمِيعُ بِهَذِي الْفِعَالِ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ حَلَّ وِنْدَالُ فِيهَا

لِيَمْكُثَ قَرْنًا بِغَيْرِ جِدَالِ(420)

وَيَرْجِعَ مِنْ بَعْدِهِ غَاشِمٌ

لَئِيمُ الطِّبَاعِ خَبِيثُ الْخِصَالِ(421)

بِزَنْطِيُّ مُتَلِئٌ غِلْظَةً

---

(419) ــ المقصود به قسطنطين الأكبر الّذي حكم روما سنة 306م، وتوفّي سنة 377م، فلقد جدّد بناء قسنطينة بعد الخراب الّذي لحقها إثر ثورة الأمازيغ، فتعاظم بنيانها وسمّيت المدينة قسنطينة اختصارا لاسم قسطنطين، وقد خلّدته قسنطينة بتمثال ما يزال ليوم النّاس هذا أمام محطّة القطار.

(420) ــ بعد الرّومان دخلت قسنطينة تحت حكم الوندال من سنة 432م لغاية 534م؛ أي لمدّة تفوق بقليل قرنا من الزّمن.

(421) ــ بعد الوندالّيين عاد البيزنطيّون حوالي سنة 534م، فكانو ممقوتين من سكّانها الأمازيغ الّذين قاموا ضدّهم بعدّة ثورات؛ ممّا جعل العداء يستشري بين الطّرفين، وبقيت بينهما حالة الكرّ والفرّ إلى أن جاءت تباشير الإسلام الحنيف منقذة سكّان قسنطينة من ويلات البيزنطيّين واستبدادهم.

وَتَفْكِيرُهُ قَدْ حُشِي بِالْخَبَالِ

وَمِنْ بَعْدِهِ جَاءَ إِسْلاَمُنَا

لِيَدْخُلَ هَذِي الرُّبُوعَ الْغَوَالِي

وَيُخْرِجَ أَجْدَادَنَا مِنْ جَحِيمِ

وَيُنْقِذَهُمْ مِنْ أُتُونِ الضَّلاَلِ

وَيَمْحُوَ فِيهِمْ ظَلاَمَ الصَّلِيبِ

وَيَنْشُرَ فِيهِمْ ضِيَاءَ الْهِلاَلِ(422)

فَرَحَّبَ آبَائِي بِالْفَاتِحِينَ

وَتِلْكَ بِحَقِّ طِبَاعُ الرِّجَالِ

وَقَدْ حَضَنُوا الدِّينَ بَيْنَ الْحَنَايَا

وَلَبَّوْا نِدَاءَهُ فِي كُلِّ حَالِ

---

(422) ـ الهلال هو رمز الإسلام.

طَلاَئِعُ هَذَا الْمُهَاجِرِ فِينَا(423)

تُسَابِقُهَا صَيْحَةٌ مِنْ بِلاَلِ(424)

لَقَدْ عَمَّ إِسْلاَمُنَا فِي الرُّبُوعِ

وَعَاشَ الْجَمِيعُ بِهِ فِي الْمَعَالِي

وَجَاءَ بَنُو تَغْلُبٍ فَاتِحِينَ

فَدَانَتْ لَهُمْ سِرْتَا بِالْإِمْتِثَالِ(425)

وَمِنْ بَعْدِهِم جَاءَنَا الْفَاطِمِيُّ

سَلِيلُ الرَّسُولِ كَرِيمُ النَّوَالِ(426)

---

(423) ــ المقصود به أبو المهاجر دينار الّذي يرجّح كثير ممّن درس تاريخ قسنطينة أنّه هو من أدخل لها الإسلام، وقد كان واليا على إفريقيّة من سنة 55هـ إلى 62هـ.

(424) ــ المقصود بصيحة بلال هي «الله أكبر»؛ لأنّه رافعُ لواء التّكبير باعتباره مؤذّن رسول الله ﷺ.

(425) ــ أرسى الأغالبة قواعد دولتهم بتونس؛ حيث كان ولاؤهم للدّولة العبّاسيّة ببغداد، وقد كانت قسنطينة وأخواتها من مدن الشّرق الجزائريّ يؤدّون فروض الولاء والطّاعة لدولة الأغالبة.

(426) ــ في أواخر القرن الثّالث الهجري، التّاسع الميلادي قدم أبو عبد الله الفاطمي إلى بلاد المغرب حاملا معه – دعوتة الشّيعيّة، مفضّلا الاستقرار في حواضر كتامة فتأثّرت بذلك أهمّ مراكز كتامة كة ..نطينة، وميلة، وسطيف ..

وَقَدْ بَثَّ دَعْوَتَهُ فِي كُتَامَهْ

فَقَابَلَهَا النَّاسُ بِالْاِعْتِدَالِ(427)

وَهَا قَدْ أَتَى بَعْدَهُ عَبْدُ مُؤْمِنْ

وَقَدْ كَانَ مُلْكُهُ رَحْبَ الْمَجَالِ(428)

وَقَدْ سَارَ فِيهِمْ لِقَرْنٍ وَنِصْفٍ

وَأُوذِنَ مِنْ بَعْدِهَا بِالزَّوَالِ(429)

فَحَلَّ بِسَاحَتِهَا حَفْصِيُّونَ

---

(427) ــ أي أنّ أهل قسنطينة لم يتشيّعوا، وإنّما قابلوا هذه الدّعوة باعتدال كبير؛ فأخذوا بعض محاسنها دون الإغراق في التّشيّع.

(428) ــ بعد ذلك جاء الموحّدون وقد حاصر عبد المؤمن علي قسنطينة لغاية استسلام أميرها الحمّاديّ يحيى بن عبد العزيز سنة 548هـ الموافق لـ: 1154م، ومنذ ذلك الحين وهي تؤدّي فروض الولاء للموحّدين.

(429) ــ بقيت قسنطينة تحت الحكم الموحّدي حوالي قرن ونصف من الزّمن لغاية سقوطها إذ قامت على أنقاضها الدّولة المرينية بالمغرب الأقصى، والزّيانيّة بالمغرب الأوسط، والحفصيّة بتونس.

وَأَسَّسُوا قَاعِدَةً لِلْقِتَالِ(430)

وَفَضَّلَ أَغْلَبُ سَاسَاتِهَا

مُكُوثًا بِسِرْتَا بِغَيْرِ ارْتِحَالِ(431)

وَبَعْدَ قُرُونٍ مَضَتْ وَانْقَضَتْ

أَتَى آلُ عُثْمَانَ بِالإِنْتِقَالِ(432)

فَحَلُّوا مِتِيجًا ثَلاَثًا بِهَا(433)

---

(430) ـ امتدّ سلطان الدّولة الحفصيّة من طرابلس شرقا إلى بجاية غربا، وقد قسّمت الدّولة الحفصيّة إلى عدّة مناطق إداريّة، وعيّن على كلّ منطقة وال من الأسرة الحاكمة؛ فكانت قسنطينة عاصمة لإحدى مقاطعات الدّولة الحفصيّة، بل أسّسوا بها قاعدة حربيّة ممّا جعل منها مدينة مهمّة في تلك الحقبة الزّمنيّة.

(431) ـ فضّل كثير من قادة الجيش الحفصي الإقامة بقسنطينة؛ إذ كانت تمثّل القاعدة العسكريّة بعد تونس، وكان ذلك من راسة وترو وعدم ارتحال، وهذا لكونها منطقة حصينة بجبالها.

(432) ـ المقصود بآل عثمان هم العثمانيّون حيث كانت قسنطينة تمثّل المدينة الثّانية بعد العاصمة، وقد كانت فترة الخلافة العثمانيّة من أجمل وأزهى عهود قسنطينة لا سيما في عهد صالح باي الّذي شيّد مسجدا ومدرسة سيدي الكتّاني سنة 1773م.

(433) ـ لقد استمرّ حكم العثمانيّين بقسنطينة ما يزيد عن الثّلاثة قرون من الزّمن.

وَمِنْ بَعْدِهَا قُذِفُوا بِالنِّبَالِ(434)

فَضَاعَتْ خِلاَفَةُ أُمَّتِنَا

وَصَارَتْ مَحَاسِنُهَا فِي الْبَوَالِي

تَعَالَوْا لِتَبْكُوا مَعِي أُمَّةً

أَضَاعَتْ رَصِيدًا بِهِ لاَ تُبَالِي

وَرَدَّتْ مِنَ الْعِزِّ أَمْجَادَهُ

وَصَارَتْ تَجُرُّ ذُيُولَ الْبَوَالِي

وَقَدْ رَضِيَتْ بَعْدَ مَجْدٍ تَلِيدٍ

بِشُرْبِ الْهَوَانِ وَذُلِّ السُّؤَالِ

وَجَاءَ الْفَرَنْسِيسُ أَسُّ الْبَلاَيَا

(434) ــ وبعد ذلك جاءت فرنسا فقاومها أحمد باي إلى أن سقطت محتلّة سنة 1837م بعد مقاومة شرسة.

فَقَابَلَهُمْ شَعْبُنَا بِالنِّضَالِ(435)

وَقَدْ دُحِرُوا مَرَّتَيْنِ تِبَاعًا(436)

وَمَدُّوا لِضَمِّهَا كُلَّ الْحِبَالِ(437)

وَقَتَّلَ أَسْلاَفُنَا دَانْرِيمُونَ(438)

وَأَلْقَوْا بِجُثَّتِهِ فِي الزِّبَالِ

وَلَمْ تَتَمَكَّنْ فَرَنْسَا الْعَجُوزْ

بِرَغْمِ الْمَدَافِعِ وَالْإِحْتِلاَلِ

---

(435) ــ في نوفمبر 1836م حاول القائد الفرنسيّ الماريشال كلوزيل غزو قسنطينة فانطلق جيشه في كتائب قوامها 8000 مقاتل، ولكن أحمد باي بمعيّة أهل قسنطينة صدّوا حملته وقتلوا 500 جنديّ من جنود الاحتلال، وفي أوّل شهر أكتوبر 1837م عادت جنود فرنسا من جديد بجيش قوامه 13000 مقاتل - مدجّجا بالأسلحة والمدافع، وبعد مقاومة شرسة تمكّن من احتلال المنصورة.

(436) ــ المقصود أنّ أهل قسنطينة قاوموا القوات الفرنسيّة مرّتين؛ الأولى: سنة 1836م، والثانيّة: 1837م، إذ لم تستتبّ الأوضاع بالمدينة إلاّ سنة 1844م.

(437) ــ أي حاولت ضمّ قسنطينة بحبل ! أوتيت من قوّة؛ وذلك لأنّ الماريشال كلوزيل تفطّن لخطورتها إذ كانت ظهيرا ورافدا لمدّ المدن الأخرى بالمجاهدين، فأراد قطع ذلك عن طريق احتلالها.

(438) ــ في 12 أكتوبر 1837م جاء الجنرال دانريمون لتفقّد أمور جيشه فرمي بالرّصاص فخرّ صريعا.

مِنِ اخْضَاعِ سِرْتَا وَإِرْغَامِهَا

عَلَى أَنْ تُطَأْطِئَ دُونَ قِتَالِ

فَأَحْمَدُ بَايٍ وَأَعْوَانُهُ

تَعَاهَدَ كُلٌّ بِفِعْلِ الْمُحَالِ(439)

فَكَانَ الْإِخَاءُ وَكَانَ الْإِبَاءُ

وَكَانَ الْوَفَاءُ بِهَذَا الْمَجَالِ

فَقَامُوا بِدَحْرٍ لِمُسْتَعْمِرٍ

وَدَاسُوا عَلَى رَأْسِهِ بِالنِّعَالِ

وَشَاءَ الْإِلَهُ سُقُوطَكِ سِرْتَا

وَأَصْبَحَ شَعْبُكِ ضِمْنَ الْأَهَالِي

وَعَاثَ الْمُدَمِّرُ فِيكِ فَسَادًا

---

(439) ــ إنّ والي قسنطينة في العهد العثمانيّ أحمد باي أبلى بلاء حسنا هو ومن معه من أهل قسنطينة في صدّ جيوش فرنسا الغاشمة الآثمة.

وَحَطَّمَ أَسْوَارَكِ بِالثِّقَالِ(440)

وَدَامَتْ بَلاَيَاهُ قَرْنًا وَثُلْثًا

وَقَاوَمَهُ أُسْدُنَا فِي الْقِلاَلِ(441)

وَسَاقُوا شُعُوبَكِ لِلسُّخْرَةِ

كَمِثْلِ الْقَطِيعِ وِمِثْلِ الْبِغَالِ

وَقَدْ فَعَلُوا فِيكِ كُلَّ مَشِينٍ

وَصَارَ رِجَالُكِ ضِمْنَ الْمَوَالِي(442)

وَلَكِنَّ أُسْدَ الْجَزَائِرِ هَبُّوا

وَلَمْ يَرْتَضُوا بِصُنُوفِ الْأَمَالِي(443)

---

(440) ــ إنّ جيوش فرنسا لم تتمكّن من اقتحام أسوار قسنطينة إلاّ بعد قصفها بالمدافع الثّقيلة؛ ممّا مكّنها من إحداث ثغرة في الصور المقابل للكدية، وبعد معركة طاحنة تمكّنت من دخول المدينة.

(441) ــ القلال: جمع قلّة؛ وهي المنطقة المرتفعة؛ أي المقصود رؤوس الجبال.

(442) ــ الموالي: جمع مولى؛ وهي من الألفاظ المشتركة، إذ تطلق على السّيّد والعبد، والمقصود هنا أنّ فرنسا حاولت أن تجعل من سكّان قسنطينة عبيدا.

(443) ــ الأمالي: المقصود إملاءات فرنسا وأوامرها الّتي رفضها الشّعب الجزائريّ جملة وتفصيلا.

وَلَسْتُ بِنَاسٍ لِسَبْعٍ وَنِصْفٍ

سِنِيَّ الْجِهَادِ سِنِيَّ الْقِتَالِ(444)

فَقَدْ عَجَّلَتْ مِنْ خُرُوجِ فَرَنْسَا

فَشَدَّتْ كَتَائِبَهَا لِلرِّحَالِ

وَمِنْ رَحِمِ الْأَزَمَاتِ انْطَلَقْنَا

نُبَدِّدُ ظُلْمَةَ تِلْكَ اللَّيَالِي

فَهَذَا ابْنُ بَادِيسَ فِي سِرَّتِهِ

تُتَرْجِمُ أَقْوَالُهُ بِالْفِعَالِ

لَهُ فِي شِغَافِ الْقُلُوبِ مَكَانٌ

وَذِكْرٌ يَضُوعُ كَمِسْكِ الْغَزَالِ

فَقَدْ لَقَّنَ الْمُعْتَدِينَ دُرُوسًا

(444) ــ المقصود سنوات الثورة المباركة من نوفمبر 1954م لغاية جويلية 1962م.

بِسِحْرِ الْعُلُومِ وَهَجْرِ الوِصَالِ(445)

وَفِي الْجَامِعِ الْأَخْضَرِيِّ تَعَالَتْ

هُتَافَاتُ شَيْخِنَا بِالْإِبْتِهَالِ

وَبَحَّتْ حَنَاجِرُ طُلَّابِهِ

بِسَرْدِ الْعُلُومِ وَفَصْلِ الْمَقَالِ

مَجَالِسُ تَذْكِيرِكُمْ قَدْ تَسَامَتْ

خِلَالَ السِّنِيِّ السِّرَاعِ الطِّوَالِ(446)

جَرَائِدُكُمْ أَرَّقَتْ غَاصِبًا

فَقَامَ بِمَنْعٍ لَهَا مُتَتَالِي(447)

---

(445) ــ لقد هجر الشّيخ عبد الحميد بن باديس وصال فرنسا، وقال قولته الشّهيرة: "والله لو قالت لي فرنسا: قل: لا إله إلاّ الله ما قلتها.

(446) ــ كانت دروس الشّيخ ابن باديس تعرف بمجالس التّذكير، وقد جُمع بعضها وطُبع في كتابين؛ أحدهما: خاصّ بالتّفسير؛ وهو: "مجالس التّذكير من كلام العزيز الخبير"، وثانيهما: خاصّ بالحديث النّبوي الشّريف وشرحه ويسمّى: "مجالس التّذكير من كلام البشير النّذير"؛ وهي دروس في التّفسير وشرح السّنّة في غاية الأهمّيّة، فجزاه الله عن أمّته خير الجزاء. آمين.

(447) ــ جرائد جمعيّة العلماء المسلمين الّتي أقضّت مضجع الفرنسيّين؛ فكان يطاردها بالمنع؛ ومن أبرز الجرائد: الشّهاب، السّنّة، الصّراط، البصائر، المنتقد.

وَجَمْعِيَّةُ الْعُلَمَاءِ اسْتَمَاتَتْ

بِوَجْهِ الْعَدُوِّ بِغَيْرِ كَلَالِ(448)

وَإِنْ شِئْتَ ذِكْرًا لِأَعْلَامِ سِرْنَا

ذَكَرْتَ الْمِجَاوِيَّ(449)دُونَ فِصَالِ

وَثَنِّ بِأَحْمَدَ(450)وَالصَّائِغِيِّ(451)

وَأَبْنَاءِ لِفْقُونَ(452)رَمْزِ الْمَعَالِي

---

(448) ــ أي أنّ الجمعيّة لم تكلّ أو تملّ في توعية النّاس بضرورة الجهاد، وأنّ ما أخذ بالقوّة لا يردّ إلاّ بالقوّة، هذا فضلا عن أنّ كثيرا من الشّهداء من أعضاء الجمعيّة؛ كالشّيخ العربي التّبسّي أو من تلاميذها وما أكثرهم.

(449) ــ المقصود به الشّيخ عبد القادر المجاويّ المولود سنة 1848م، والمتوفّى سنة 1913م الّذي قام بإنشاء حركة إصلاحيّة لبثّ الوعي واليقظة في أوساط الأمّة فكان له دور فعّال بقسنطينة، وكان من تلاميذه حمدان لونيسي والمولود بن الموهوب وغيرهما.

(450) ــ المقصود بأحمد هنا؛ هو أحمد الخطيب الشّهير بقنفذ القسنطينيّ.

(451) ــ الصّائغيّ، هو مبارك بن عمر الصّائغيّ المتوفّى سنة 1270 هجريّة.

(452) ــ عائلة بلفقون من العائلات المعروفة بقسنطينة بالعلم والدّين؛ منهم أبو الحسن بن بلفقون، وعبد الكريم وابنه محمّد.

وَإِنِّي ذَكَرْتُ الَّذِينَ سَرَدْتُ

لِأَجْلِ الْوَفَاءِ وَقَصْدِ الْمِثَالِ(453)

وَإِلاَّ فَأَعْلاَمُ قِيرْطَا كَثِيرٌ

وَتَجْمَعُهُمْ دَوْحَةٌ مِنْ ظِلاَلِ

وَإِنْ شِئْتَ ذِكْرًا لِأَبْوَابِهَا

فَقُلْ سِتَّةٌ حُفِرَتْ فِي خَيَالِي

فَبَابُ الْجَدِيدِ(454)وَجَابِيَةٌ(455)

وَبَابُ حَنَانِشَةٍ فِي الشَّمَالِ(456)

---

(453) ــ إنّ هؤلاء الّذين ذكرتهم من أعلام قسنطينة كان على سبيل التّمثيل، وإلاّ فإنّ أعلام قسنطينة كُثُرٌ؛ منهم الشّيخ أحمد الحبيباني، ومصطفى باش تارزي، وصالح بن مهنا، والقائمة طويلة.

(454) ــ باب الجديد: كان شمال ساحة أوّل نوفمبر، وقد دمّره الاستعمار الفرنسيّ سنة 1925م.

(455) ــ باب الجابية: وهو الباب المؤدّي إلى منابع سيدي راشد.

(456) ــ باب الحنانشة: شمال غرب المدينة.

وَبَابٌ لِوَادٍ(457)وَقَنْطَرَةٍ(458)

وَبَابُ الرَّوَاحِ لِتَيْلِ الْغِلاَلِ(459)

بِهَا رَحَبَاتٌ تُدَغْدِغُ جَيْبًا

وَتُخْرِجُ مِنْهُ نَفِيسًا لِمَالِ

وَأَسْوَاقُهَا مِنْ قَدِيمٍ تَجَلَّتْ(460)

كَرَحْبَةِ صُوفٍ بِهَا وَالْجِمَالِ

وَسُوقِ الْجِزَارَةِ مَعْ سُوقِ عَصْرٍ

وَسُوقٍ لِغَزْلٍ بِتِلْكَ التِّلاَلِ

---

(457) ــ باب الوادي: ويسمّى باب ميلة؛ كان يؤدّي لمنطقة الكدية، وقد شُيّد مكانه قصر العدالة.

(458) ــ باب القنطرة: وقد بناه الأتراك سنة 1792م، وجدّد الاستدمار الفرنسيّ بناءه سنة 1860م.

(459) ــ باب الرّواح: ويؤدّي إلى منابع سيدي ميمون.

(460) ــ كانت بقسنطينة جملة من الأسواق المتخصّصة في تجارة أو حرفة بعينها؛ مثل: سوق الغزل، والجزّارين، إضافة إلى المساحات المحيطة بها المنازل، واختصّت بتجارة ما مثل: رحبة الصّوف، ورحبة الجمال، هذا فضلا عن الأسواق الصّغيرة الخاصّة بكلّ حيّ، والّتي يُطلق عليها السّويقة تصغيرا للسّوق.

وَزَائِرُهَا يَعْتَرِيهِ الذُّهُولُ

بِرُؤْيَةِ قَنْطَرَةٍ لِلْحِبَالِ(461)

وَجِسْرٍ لِسَيِّدِنَا رَاشِدٍ(462)

وَجِسْرٍ لِمَلاَّحَ رَمْزِ النِّضَالِ(463)

وَجِسْرٍ مُؤَدٍّ إِلَى مَسْبَحٍ

وَيَغْلُو مِيَاهًا لِوَادِ الرِّمَالِ(464)

وَأَتْرَاكُنَا قَدْ بَنَوْا جِسْرَهُمْ

---

(461) ــ قنطرة الحبال: وهي جسر سيدي مسيد؛ المسمّى بالجسر المعلّق؛ تمّ بناؤه سنة 1912م يبلغ طوله: 168م، وارتفاعه: 175م كما هو مبيّن على اللاّفتة المعلّقة في مدخله.

(462) ــ جسر سيدي راشد؛ يبلغ طوله: 247 م، وعرضه: 12 مترا، وعلوّه: 150 م يحمله: 27 قوسا، يبلغ قطر أكبرها: 70 مترا، انطلقت حركة المرور به سنة 1912م.

(463) ــ جسر ملاّح سليمان: يبلغ طوله: 125 م، وعرضه مترين ونصف؛ وهو عبارة عن ممرّ حديديّ خصّص للرّاجلين يربط بين محطّة السّكّة الحديديّة ووسط المدينة.

(464) ــ المقصود بالجسر المؤدّي إلى المسبح هو جسر الشّلاّلات؛ وسمّي بذلك لكون مياه وادي الرّمال الّتي تمرّ تحته تكوّن شلاّلات يتراوح علوّها بين 421 و 477 م، وقد تمّ بناؤه سنة 1928م.

بِعَزْمٍ كَبِيرٍ وَدُونَ اتِّكَالِ(465)

وَحَتَّى الشَّيَاطِينُ قَدْ شَارَكَتْ(466)

بِأَسْمَائِهَا فِي الْجُسُورِ الْجِزَالِ(467)

مَجَازٌ لِأَغْنَامِنَا قَدْ تَجَلَّى(468)

كَجِسْرٍ عَظِيمٍ شَدِيدِ الْفِتَالِ

صِنَاعَاتُهَا بَهَرَتْ زَائِرًا

وَزَانَتْ عُيُونَهُ بِالْإِكْتِحَالِ(469)

---

(465) ــ الجسر الّذي بناه الأتراك هو جسر باب القنطرة، وكان ذلك سنة 1792م، ثمّ جدّد الاستدمار بناءه سنة 1860م.

(466) ــ المقصود بذلك جسر الشّيطان؛ وسمّي بذلك لأنّ نابليون لما زار قسنطينة سنة 1865م ووجدها على صخرة وأنّ الوصول إليها صعب، فقال: هذه مدينة الشّياطين؛ فسمّي الجسر الّذي دخل قسنطينة من خلاله بجسر الشّيطان.

(467) ــ الجزال: جمع جزل؛ وهو المتين المحكم.

(468) ــ المقصود به: جسر مجاز الغنم.

(469) ــ المقصود بالاكتحال؛ أي برؤية هذه الصّناعات الباهرة الّتي تكتحل بها عين رائيها وتسعد بتلك الرّؤية وتُسرّ.

جَمَالُ النُّحَاسِ وَسِحْرٌ لِنَقْشٍ

عَلَى الْجِنْسِ وَالْخَشَبَاتِ الصِّقَالِ

وَطَرْزٌ عَلَى جُبَّةٍ مِنْ قَطِيفَةْ(470)

دَقِيقٌ سَلِيمٌ مِنَ الْإِخْتِلَالِ

تُبَاهِي بِهِ الْبِنْتُ أَتْرَابَهَا

وَتَزْهُو عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِخْتِيَالِ

مَسَاجِدُهَا قَلْعَةٌ لِلْعُلُومِ

وَإِشْرَاقَةٌ مِنْ بَرِيقِ الْهِلَالِ

مُؤَدِّيَةٌ دَوْرَهَا بِاهْتِمَامٍ

وَصَانِعَةٌ لِلْمُرِيدِ الرِّسَالِي

مُرِيدٌ يُرَاقِبُ رَبَّهُ دَوْمًا

وَيَخْشَى عَوَاقِبَ يَوْمِ الْمَآلِ

---

(470) ــ المقصود بذلك؛ جبّة الفرقاني الشّهيرة بقسنطينة؛ والّتي تصنع بالطّرز بفتائل الخيوط الذّهبيّة على قماش القطيفة؛ وهي رمز من رموز الصّناعات التّقليديّة بالمدينة.

يُسَايِرُ عَصْرًا وَيَعْرِفُ رَبًّا

وَيَأْخُذُ مِنْهَا أُصُولَ الْحَلاَلِ

كَمَسْجِدِهَا الأَعْظَمِيِّ الْكَبِيرِ(471)

كَثِيرُ الْعَطَاءِ عَظِيمُ النَّوَالِ

بِهِ دَرَّسَ الشَّيْخُ مَرْزُوقُ دَهْرًا(472)

عُلُومَ الشَّرِيعَةِ دُونَ اخْتِزَالِ

وَمَسْجِدِ سَيِّدَتِي حَفْصَةٍ

وَبَايٍ(473)وَمَيْمُونَ رَأْسُ الْفِضَالِ

---

(471) ــ المقصود بالجامع الأعظم: هو الجامع الكبير الّذي أقامه محمّد بوعلي البغداديّ سنة: 530هـ الموافق لـ: 1136م في عهد الدّولة الصّنهاجيّة وبالضّبط في عهد الحاكم الأمين يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس؛ وهو ببطحاء السّويقة، ويمرّ أمامه الآن شارع العربي بن مهيدي بالطّريق الجديدة

(472) ــ هو الشّيخ مرزوق بن الحسين الّذي كان ضليعا في الفقه المالكيّ، وكان مفتيا لمدينة قسنطينة في أواخر القرن الميلادي الماضي.

(473) ــ المقصود به مسجد صالح باي الّذي كان واليا على قسنطينة بين 1771م و1792م.

وَمَسْجِدِ سُوقِ لِغَزْلٍ تَبَدَّى(474)

لِنَشْرِ عُلُومِنَا فِي كُلِّ حَالِ

وَمَخْلُوف475)عَفَّان(476)ثُمَّ الْجُلِيسِ(477)

تَوَعَّدَهَا الْوَغْدُ بِالْإِغْتِيَالِ(478)

وَجَرَّبَ فِيهَا إِسَاءَاتِهِ

وَأَفْرَغَ فِيهَا جَمِيعَ النِّصَالِ

فَهَدَّمَ بُنْيَانَهَا ضَلَّ سَعْيًا

وَأُشْرِبَ مِنْ غَوْطَةٍ لِلْخَبَالِ

---

(474) ــ بُني مسجد سوق الغزل سنة 1730م في عهد الباي حسين، وفي فترة الاستدمار الفرنسيّ حُوّل إلى كنيسة ولم يعد لأصله كمسجد بعد الاستقلال.

(475) ــ لقد أقيمت دار البلديّة على أنقاض مسجد سيدي مخلوف.

(476) ــ جامع سيدي العفّان بنهج مورلان الحيّ العربي العتيق.

(477) ــ أي مسجد سيدي جليس الّذي كان شامخا بساحة سيدي جليس متوسّطا الحيّ الغربيّ، ولكن همجيّة الاستدمار الفرنسيّ أدّت إلى تحطيمه سنة 1851م، وأقيم مكانه مدرسة.

(478) ــ أي أنّ الاستعمار الفرنسيّ قام بتحطيمها وهدمها.

وَأَظْهَرَ عَنْ طَبْعِ لُؤْمٍ سَقِيمِ

وَكُلِّ مَظَاهِرِ هَذَا الْهُزَالِ

وَمَسْجِدِ سَيِّدِنَا خَضَرِيِّ(479)

بِهِ الذِّكْرِيَاتُ الْحِسَانُ الْغَوَالِي

بِهِ فَسَّرَ الشَّيْخُ(480) قُرْآنَنَا

فَقُمْنَا نُؤَرِّخُ لِلِاحْتِفَالِ

بِكُلِّيَّةِ الشَّعْبِ صَارَ احْتِفَالْ

مِنَ الْفَجْرِ حَتَّى بُلُوغِ الزَّوَالِ(481)

وَجَاءَتْ وُفُود الْمُهَنِّينَ تَتْرَى

---

(479) ــ المقصود الجامع لخضر وقد انتهت به الأشغال سنة 1743م في العهد التّركيّ، وكان الشّيخ عبد الحميد بن باديس يدرّس فيه ويبدع.

(480) ــ المقصود بالشّيخ هنا العلاّمة عبد الحميد بن باديس رائد النّهضة العربيّة وقائد الإصلاح في العصر الحديث بالجزائر.

(481) ــ المقصود بذلك الحفل العظيم الخاصّ بختم الشّيخ ابن باديس لتفسير القرآن الكريم، وكان ذلك بقاعة كلّيّة الشّعب يوم الاثنين 14 ربيع الثّاني 1357هـ الموافق لـ: 13 جوان 1938م.

يَلُفُّ الْجَمِيعَ سَنَاءُ الْجَلاَلِ

فَقَامَ ابْنُ بَادِيسَ فِيهِمْ خَطِيبًا

لِيَدْعُو الْجَمِيعَ إِلَى الْإِمْتِثَالِ

لِأَحْكَامِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ

وَمَا فِيهِ مِنْ عِزَّةٍ وَاعْتِدَالِ

وَيَجْدُرُ بِي بَعْدَ هَذَا وَذَاكَ

حَدِيثًا عَلَى تُحْفَةٍ لِلْجَمَالِ

فَمَسْجِدُ هَذَا الْأَمِيرِ الْوَدُودِ

تَرَبَّعَ عَنْ هَضْبَةٍ فِي فِيلاَلِي(482)

فَكَانَ فَلاَةً مِنَ الْإِتِّسَاعِ

وَكَانَ قَمِينًا بِنَيْلِ الْمَعَالِي

---

(482) ــ وهو موقع مسجد الأمير عبد القادر الّذي يقع بحيّ فيلالي.

وَكَانَ رَدِيفًا لِمَسْجِدِ عُقْبَةْ(483)

وَوَجْهًا مَصُونًا مِنَ الْإِبْتِذَالِ

وَكَانَ شَقِيقًا لِمَسْجِدِ فَاسٍ(484)

وَزَيْتُونَةٍ فِي الْهَوَى وَالْفِعَالِ(485)

وَلَكِنَّهُ فَاقَهُمْ رَوْعَةً

وَهَنْدَسَةً عِنْدَ فَتْحِ السِّجَالِ

بِهِ حَلَقَاتُ الْعُلُومِ تَوَالَتْ

مُهَيَّأَةً لِلْعَطَا وَالنِّهَالِ

---

(483) ــ المقصود به مسجد الفاتح الكبير عقبة بن نافع ﷺ الدّفين بسيدي عقبة ولاية بسكرة، والّتي بها مسجده العريق الّذي يعدّ مسجد الأمير عبد القادر صِنْوًا ورديفا له.

(484) ــ المقصود بمسجد فاس؛ جامع القرويّين الّذي كان قلعة من قِلاع العلم ومهوى لقلوب آلاف المتعطّشين للعلم في المغرب الأقصى خصوصا والعالم الإسلامي عموما.

(485) ــ المقصود به جامع الزّيتونه بتونس الّذي كان مسجدا وجامعة تخرّج منه آلاف العلماء من شتّى أصقاع المعمورة؛ وممّن درّس به العلاّمة الشّيخ ابن باديس - رحمه الله تعالى ..

مُدَرِّسَةٌ أُمَّهَاتِ الْعُلُومِ(486)

وَهَازِلَةٌ بِالنُّفُوسِ الضِّحَالِ

مَدَارِسُهَا مَصْدَرٌ لِلأَصَالَه

وَعَزْلُ الشَّوَائِبِ وَالِانْتِحَالِ

وَدَحْضُ الدَّخِيلِ وَجَلْبُ الْمُفِيدِ

وَهَجْرُ السَّفَاسِفِ وَالْإِنْحِلاَلِ

وَحَسْبُكَ إِنْ شِئْتَ عَنْهَا مِثَالاً

مَدَارِسُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْهِطَالِ(487)

مَدَارِسُ جَمْعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ

---

(486) ــ فجامع الأمير عبد القادر هو الآخر يعدّ منارة لنشر العلوم، لا سيما في عهد الفاضل مدير الشّؤون الدّينيّة والأوقاف الأستاذ: يوسف عزوزة الّذي أراد إحياء دروس مجالس التّذكير في مجالات العلم الشّرعيّ المختلفة ـ فجزاه الله خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعطاء ..

(487) ــ المقصود بذلك مدارس التّربية والتّعليم الكثيرة والمنتشرة في ربوع الوطن والتّابعة لجمعيّة العلماء المسلمين؛ وهي بحقّ مدارس هطال؛ أي غزيرة العلوم والعطاء.

مُؤَطَّرَةٌ بِالرِّجَالِ الْبِزَالِ(488)

كَمِثْلِ الْبَشِيرِ(489)وَذَاكَ التَّبَسِّي(490)

دُعَاةُ التَّكَتُّلِ وَالْاِتِّصَالِ

بِدَارِ الْإِمَامِ تَخَرَّجَ جَمْعٌ(491)

مِنَ الْعُلَمَاءِ الثِّقَاتِ الْعِقَالِ

وَرَاحَ يُؤَطِّرُ أَبْنَاءَ دِينِي

وَيُوقِظُ فِيهِمْ ضَمِيرَ النِّضَالِ

فَصَارَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَنَارٌ

---

(488) ــ الرّجال البزال: أي الرّجال المكتملة قدراتهم العلميّة والعقليّة، تقول: رجل بازل؛ أي كامل، وقديما قال الشّاعر العربيّ:

يمشون في الحلل المضاعف نسجها مشي الجِمال إلى الجِمال البُزّل أي؛الكُمّل

(489) ــ المقصود به الشّيخ العلاّمة الإبراهيميّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

(490) ــ المقصود به الشّيخ العربي التّبسّي ـ رحمه الله تعالى ـ.

(491) ــ دار الإمام اليوم ترمز إلى مدرسة الكتانيّة العريقة الّتي درس بها أناس كُثر من أساتذة وساسة مثل: الرّئيس الرّاحل: هواري بومدين ـ رحمه الله تعالى ـ.

مِنَ الْعِلْمِ يَكْفُرُ بِالْإِحْتِلاَلِ

فَعَادَتْ فَرَنْسَا إِلَى الْقَهْقَرِيِّ

وَبَاءَتْ دَسَائِسُهَا بِالْوَبَالِ

سَلاَمًا عَلَيْكَ ابْن بَادِيسَ دَوْمًا

سَلاَمًا يَلِيقُ بِفَضْلِ الرِّجَالِ

وَثُمَّ بَعْدَ هَذَا الَّذِي قَدْ بَذَلْتَ

قَرِيرًا لِعَيْنٍ وَمُرْتَاحَ بَالِ

فَإِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا بَعْدَكُمْ

أَقَامُوا صُرُوحَ الْعُلُومِ الْغَوَالِي

فَهَذِهِ جَامِعَةٌ لِلْأَمِيرِ

بِهَا صَيْحَةٌ لِلْإِمَامِ الْغَزَالِي(492)

---

(492) ــ يعدّ الشّيخ محمّد الغزاليّ ـ رحمه الله تعالى ـ أوّلَ رئيس مجلس علميّ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة.

تُدَوِّي تِبَاعًا بِسَاحَاتِ عِلْمِ

بِأَنَّ التَّعَلُّمَ أُسُّ الْمَعَالِي

وَأَنَّ الشَّرِيعَةَ أُمُّ الْعُلُومِ

وَهَذِي الْحَقِيقَةُ دُونَ احْتِمَالِ

فَيَا دَارِسًا بِالْأَمِيرِ هَلُمَّ

لِدَرْءِ التَّكَاسُلِ وَالْإِتِّكَالِ

فَأَنْتَ تُمَثِّلُ إِرْثَ الرَّسُولِ

وَصَحْبٍ كِرَامٍ وَأَهْلٍ وَآلِ

فَكُنْ عِنْدَ حُسْنِ ظُنُونٍ لِأُمَّهْ

تَوَعَّدَهَا الدَّاءُ بِالْاِعْتِلَالِ

وَدَاوِي جِرَاحَاتِهَا مِنْ جُذُورٍ

لِكَيْ يَأْذَنَ الْجُرْحُ بِالْاِنْدِمَالِ

وَهَذَا الصَّنِيعُ كَمِثْلِ النَّفِيرِ(493)

وَلَمْ يَكُ يَوْمًا مِنِ الْاِنْتِفَالِ(494)

فَجَامِعَةٌ لِلْأَمِيرِ تَسَامَتْ

بِمَا حَقَّقَتْهُ مِنَ الْاِفْتِعَالِ(495)

وَمَا خَرَّجَتْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ

وَمَا حَارَبَتْهُ مِنَ الْإِرْتِدَالِ

وَمَا قَدَّمَتْهُ لِأَبْنَائِنَا

مِنَ الْفَضْلِ وَالْعَمَلِ الْمُتَوَالِي

رَعَاكِ الْإِلَهُ حَبِيبَةَ قَلْبِي

---

(493) ــ المقصود أنّ طالب الأمير عليه واجب كبير نحو أمّته يصل إلى حدّ فرض العين كما هو الشّأن في حالة النّفير العامّ.

(494) ــ أي أنّ واجب خرّيج الأمير تجاه أمّته يعدّ واجبا عظيما، وأنّه لم يكن في يوم من الأيّام من باب النّافلة، وإنّما هو من باب الفرض والواجب المؤكّدين.

(495) ــ أي أنّ جامعة الأمير كانت فاعلة متفاعلة مع المحيط، ولم تكن جامدة متقوقعة على نفسها.

وَصَانَ حِمَاكِ مِنَ الْإِنْتِثَالِ(496)

وَلَسْتُ بِنَاسٍ كَرِيمَاتِ سِرْتَا

وَمَا نِلْنَهُ مِنْ حُظُوظِ الْجَمَالِ

وَمَا نِلْنَهُ مِنْ إِبَاءٍ وَعِزٍّ

وَمَا صُغْنَهُ مِنْ صُنُوفِ النِّضَالِ

فَهَذِهِ مَرْيَمُ(497)تِلْكَ فَضِيلَه(498)

كَفَرْنَ بِكُلِّ اللُّغَى وَالْأَمَالِي(499)

وَآمَنَّ بِالْبُنْدُقِيَّةِ حَلاًّ

وَلَمْ يَلْتَزِمْنَ بُيُوتَ الْحِجَالِ

---

(496) ــ الانتثال من النِّثال: وهي السّهام الحادّة الّتي تصيب في مقتل.

(497) ــ الشّهيدة مريم بوعتورة . رحمها الله تعالى .

(498) ــ الشّهيدة فضيلة سعدان . رحمها الله ﷻ .

(499) ــ أي كفرن بإملاءات المستعمر الفرنسيّ وتعليماته معلناتٍ التّمرّد عليها.

مَدِينَةَ سِرْتَا لَقَدْ جَفَّ حِبْرِي

وَحِبْرُ الْمُحِبِّ سَرِيعُ الزَّوَالِ

فَعُذْرًا إِذَا مَا تَقَاصَرَ شِعْرِي

عَلَى سَرْدِ تَارِيخِكِ الْمُتَتَالِي

فَأَنْتِ بِحَقِّ عَرُوسُ الـدُّنَا

وَمَا زِلْتِ لُؤْلُؤَةً فِي الشَّمَالِ

أَسَرْتِ قُلُوبَ الْمُحِبِّينَ قَسْرًا

وَقَدْ رَضِيَ الْقَلْبُ بِالْاِحْتِلَالِ

وَأَعْطَاكِ كُلَّ فُرُوضِ الْوَلَاءِ

كَمَيْتٍ يُقَدَّمُ لِلْاِغْتِسَالِ

يَشُمُّ تُرَابَكِ بَيْنَ الْحَنَايَا

فَيَزْدَادَ حُبُّكِ فِي الْاِشْتِعَالِ

فَرِفْقًا مَدِينَتِي بِالْعَاشِقِينَ

وَلاَ تُشْرِبِيهِمْ كُؤُوسَ النَّكَالِ

وَكُونِي لَهُمْ حُضْنَ أُمّ عَطُوفٍ

يُهَدْهِدُ أَبْنَاءَهُ بِالزِّجَالِ(500)

وَيَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيُسْكِنَهُمْ

عَلَى صَفَحَاتِ الْعُيُونِ الْخِجَالِ

وَيُرْضِعَهُمْ مِنْ لِبَانِ الرُّجُولَهْ

وَيُبْعِدَهُمْ عَنْ صُفُوفِ الرِّذَالِ

وَعِنْدَ الْخِتَامِ أُضَمِّنُ شُكْرِي

لِذَاكَ الصَّدِيقِ الْوَفِيّ فِيلاَلِي(501)

بِحُبِّكِ سِرّنَا خَتَمْتُ قَصِيدِي

وَصِرْتُ كَوَلْهَانَ بَيْنَ التِّلاَلِ

---

(500) ــ الزّجال: هي تلك الأغاني والأناشيد الّتي تصدح بها الأمّ وهي تمدهد وليدها لينام زيادة في العطف والشّفقة عليه.

(501) ــ المقصود به الأخ الكبير والصّديق الوفيّ الأستاذ الدّكتور: عبد العزيز فيلالي مدير جامعة الأمير عبد القادر السّابق.

ثانيا ـ البطاقة التقنية الفنية لمسجد الأمير عبد القادر

إن مركب الأمير عبد القادر مسجدا و جامعة و ضريح محمد الخامس بالرباط هما الصرحان الوحيدان عبر العالم اللذان تم إنجازهما في القرن العشرين باحترام الفن الإسلامي القديم.

و تحقيق مشروع قسنطينة كان منذ البداية يقتضي إبعاد عقبتين أساسيتين من الأهمية بمكان في بلادنا، إنهما:

عدم وجود مختصين في الهندسة المغربية

و انعدام الحرفيين النقاشين و واضعي القوالب و أهل التركيب

و هذا المشروع الهائل لم يكن ليرى النور لولا الجمع في إطار التكامل الضروري بين عبقرية و إبداع المهندس و المهارة اليدوية لدى الحرفي بقصد إعطاء المشروع كامل المميزات التي سنشير إليها أدناه حتى لا تتراكم الخصائص الزخرفية المتباينة في الميدان، و قد أخذت من هنا و هناك باعتبار توفرها.

و رغم الصعوبة المحققة لكن بفضل التعاون الدقيق تمكنا بخطوات ثابتة سمحت لنا ببلوغ الأهداف و قد كانت الهندسة المعمارية تتصور كامل الخصائص الزخرفية على أساس مقاسات حقيقية، ثم إن الحرفيين و مؤسسة التعهدات الثانوية، إنما كانوا يقومون انطلاقا من التصميم على مقياس 1/1 و من كراسات التكاليف، بصنع و وضع هذه الخصائص الزخرفية بكامل العناية والدقة اللازمتين.

الناحية الفنية:

و المعلم عبارة عن موسوعة هندسية ذات طابع معماري إسلامي و يشتمل على وحدات معمارية ذات طابع عريق على سبيل المثال قاعة الصلاة و مداخل المسجد المختلفة.

و قد تمت معالجة هذه العناصر بحيث أصبحت عبارة عن تمازج ذكي للفن الإسلامي العريق في أحسن صوره إذ يبرز فيها الهندسة الإسلامية كما بدأت بالمشرق الإسلامي مرورا بكل العصور الإسلامية إلى غاية العصور الأندلسية الذي تجلى فيها الفن الإسلامي في أحسن صوره و يمكننا لتوضيح ذلك أن نسجل النقاط الآتية:

* و المسجد بمشروعه العظيم يبرز التأثر الكبير بالفن الزخرفي بمسجد قرطبة بأسبانيا (من حيث الأبعاد و الزخرفة).

* و المسجد عبارة عن مسح تاريخي للحضارات التي مرت بها الجزائر كالرومانية و البيزنطية و مدى تأثر الفن الإسلامي بها.

* و هو معرض دقيق للخصائص الزخرفية و المركبات العديدة التي ثبت إتقانها و إدخالها منذ وصول الإسلام إلى المغرب و إسبانيا و منها أفاريز المداخل و الطنوف المتواجدة على الواجهة و الأقواس التي على شكل نعال الحصان الحديدي و المقرنسات و غيرها، هذه الأخيرة كما هو الحال في قصر ألميرا بإسبانيا ثبت العمل به في التركيب الزخرفي لكثير من العناصر كتيجان الأعمدة و كتائف الأفاريز و الأقواس و هلم جرا...

* و القوس المحدب الذي أتى عن طريق المسلمين ممثل في كثير من الأحيان بمناظر متنوعة كمعلى و كمفصص و ما إلى ذلك...

* و إنه لتذكير ذو بال بالتقنيات و مواد البناء و الخصائص الزخرفية المعتمدة منذ عصور قديمة بالجزائر فعلى سبيل المثال الأقواس بيضاوية الشكل المتواجدة بقلعة بني حماد.

* و هو واجهة حقه للفن العربي الإسلامي في الزخرفة و التجميل الهندسي المتعدد و المتناسق و قد تم تجسيد هذا الأسلوب في هذا الصرح العظيم

و كل ذلك منجز عن طريق النحت أو الصورة أو الجمع بينهما باستعمال مواد بناء عريقة مثل: الحجر الاصطناعي و الجبس و الرخام و الخشب و الزجاج و الخزف...إلخ.

و لن ننسى أن نشير في هذا المضمار إلى النقوش الأثرية الجميلة كالآيات

المنقوشة بالخط الكوفي ذي شكل زهري و كذلك الأمر بالنسبة إلى توزيعها

الذكي الذي تمت فيه مراعاة الفضاء الذي وزعت فيه توزيعا متقنا.

الجانب التقني:

ثم إن في سبيل تحقيق هذا الإنجاز بطابعه المتميز و المواصفات الخاصة استدعى ذلك اعتماد وسائل و أساليب خاصة نوجزها فيما يلي.

1- أنشأ مكتب الدراسات التقنية لسونا طراك خلية خاصة للدراسات الإسلامية بقصد التكفل بمتابعة إنجاز هذا المشروع.

و كان لابد أن تبلغ الدراسات مداها و أن تتابع كل خاصة زخرفية تدخل في تركيب الصرح المذكور و هذا سواء بالنسبة للخصائص التي ثبتت بواسطة الوسائل التابعة للمقاولة و الورشات المفتوحة باعتماد الحجارة الاصطناعية أو الرخام أو الخشب الثمين أو بالنسبة لما تؤديه في الميدان مؤسسة التعهدات الثانوية وطنية كانت أو أجنبية.

2- و تجدر الملاحظة أن جميع التصاميم الهندسية التي أعدتها الخلية المذكورة قد أنجزتها عمليا مؤسسة البناء ميلة بفضل الحرفيين

و الورشات المتعددة بحيث ظهر هذا الإنجاز في صورة لم يسبق لها مثيل،و مهلة الإنجاز كانت في غالب الأحيان معتبرة للغاية بالنظر إلى الطابع الفني المركب و على سبيل المثال نذكر:

نحت النموذج الأصلي عن طريق الجبس و صناعة قالب تاج العمود البيزنطي بقاعة الصلاة الكبيرة إنما تطلب عملا لمدة "16" شهرا.

نحت رأس المحراب بقاعة الصلاة الثانية و المكون من قطعة واحدة ضمن كتلة من الرخام من نوعية لونيكس المستخرج من جبال بلدية عين اسمارة بضواحي قسنطينة و كانت الكتلة الخام تزن "18" طن

و استغرق العمل مدة عشرين شهرا، و في النهاية أصبح وزن القطعة الرخامية طنين و نصف فقط مما جعل المحراب تحفة فنية رائعة.

- و الحزام من الظفائر الرخامية المحيط بسور المسجد و الذي يبلغ طوله حوالي الثلاث كيلومترات استغرق صنعه و تركيبه بالورشة عدة سنوات و للعلم نذكر أن هذه الظفائر قد تم إنجازها قطعة بطول متر و عشر سنتمترا لكل منها و استغرق إنجازه ما يعادل الـ12 ساعة عمل لكل حرفي.

و الأمثلة في هذا الصدد غير قليلة و مع هذا لا بأس أن نلفت الانتباه إلى ما تم إنجازه باستعمال الخشب الثمين بفعل النقش أو معالجته بطرق علمية متطورة كما يبرز ذلك في الأبواب و النوافذ و المشربيات...

3- و أما بالنسبة لمؤسسات التعهدات الثانوية، فكان لا بد أن تستجيب إلى المتطلبات الشاقة التي وردت ضمن دفتر الشروط كما هو الشأن بالنسبة للمهندس المعماري أثناء تبادل الآراء التقنية التي كان يمكن أن يطول أمدها و ذلك إلى إنهاء صنع العينة المرتجاة و من هنا يبرز الطابع الغير النموذجي و بالتالي يتأكد ثبوت وحدوية الخصائص المنجزة في هذا المشروع و هو ما يفسر القيمة البليغة لتلك الزخارف التي يجب صيانتها و المحافظة عليها بشتى الوسائل، دون أن ننسى أنها تحمل اليوم تراثا قيما و إرثا ثقافيا غير قابل للقياس على الإطلاق.

و قبل إنجاز أي جزئية من طرف الورشات الثانوية فإنه يتم عرض الفكرة على المهندس المختص و تنال قسطا مناسبا من النقاش و الإثراء ثم يتم

اعتماد الصورة اللائقة بها بحيث لا يقبل التقليد أو إنجاز المثيل بل لابد أن تكون صورة فريدة و رائعة و هو ما يفسر انسجام المشروع و ترابط خصائصه.

و علينا أن لا ننسى أن تلك المؤسسة، مؤسسة التعهدات الثانوية التي اختصت في نفس ظروف العمل بالعديد من المنتجات الوحيدة كـ:

أدوات الإنارة (الثريات من نوع بوهيم)

الزجاجيات المزخرفة و الزجاج الخاص من نفس النوعية

الخزف (24 نموذجا) و القرميد المبرنق اللماع

خزف إيطاليا

و البرونز من فرنسا

... إلخ

و نخلص في الأخير إلى هذه المميزات العريقة و الخصائص الفنية الدقيقة

و الزخارف العربية الإسلامية بما تم جمعه و تنظيمه في معلم واحد و مشروع كبير باجتماع كل هذه المكونات أصبح مسجد الأمير عبد القادر مفخرة للشعب الجزائري خاصة و العالم الإسلامي عامة كما هو جوهرة و درة قل نظيرها.

ـ التعريف بالعملية

أصحاب الفكرة: الجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر

المهندس: السيد مصطفى موسى

مكتب الدراسات: مكتب الدراسات التابع لشركة سونا طراك

صاحب المشروع: ولاية قسنطينة

ـ المشرف على المشروع: مؤسسة البناء ميلة

هيئة المراقبة: مؤسسة مراقبة أعمال البناء بقسنطينة

تاريخ بداية الأشغال: جانفي 1970

الفترة الممتدة من 1970 إلى 1978: العملية كانت تسير من طرف الجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر

الفترة الممتدة من 1978 إلى 1982 العملية تسير من طرف المركزية و مسجلة باسم وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف

الفترة الممتدة من 1982 إلى 1994 العملية أعيدت إلى ولاية قسنطينة و مسجلة باسم والي ولاية قسنطينة

الفترة الممتدة من 1994 و إلى غاية يومنا هذا: يسير المسجد من طرف الجمعية الدينية معتمدة في ذلك على المنح المقدمة من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف و ولاية قسنطينة و المجلس الشعبي البلدي و المحسنين.

- الموقع: المنظر الجميل الغربي قسنطينة

- الولاية: قسنطينة

- الدائرة: قسنطينة

- البلدية: قسنطينة

- اسم الأثر: مسجد الأمير عبد القادر

- طبيعة الأثر: هو تابع لوزارة الشؤون الدينية و الأوقاف

ـ المنافذ الموصلة للمعلم

* منفذ حي قدور بومدوس

* منفذ حي فيلالي

* منفذ نهج شيقفارة

* منفذ حي 5 جويلية

* منفذ حي المحاربين

* منفذ حي المنظر الجميل

- المعطيات القانونية: وقف

- محيط التصنيف: 13 هكتار

- مدى الرؤية: بما أنه أعلى نقطة في مدينة قسنطينة فبإمكاننا رؤيته من أي مكان (علو المنارتين 120 م)

- مدى الحفظ و الصيانة: منذ أن وضع الحجر الأساس لهذا المسجد و الجمعية تتابع الأشغال بحرص كبير دون هوادة إلى أن دشن سنة 1994.

و منذ 31 أكتوبر 1994 إلى غاية يومنا هذا مازالت الجمعية تواصل رسالتها بالإشراف على الحفظ و الصيانة لهذا المعلم و ذلك بتوظيفها لهيئة عمالية مختصة و هو لحد الساعة يوجد في حالة جيدة بالرغم من المشاكل و العراقيل التي تواجهها الجمعية بسبب ضعف الإمكانيات المادية (للعلم إلى غاية يومنا هذا فالمسجد ليست له ميزانية)

- **أهمية الأثر:** بعد أن برز للوجود صرح عظيم شامخ في سماء قسنطينة بكل آثار الفن الإسلامي، و قد تبلور بجميع أنواعه الخلابة في الميدان.

الوحيد في نوعيته، مسجد الأمير عبد القادر،هو الذي قدر الله له أن يجمع في تنسيق كامل كلا من الفن الشرقي و الفن المغربي و بكل اللوازم المختلفة

من حجر اصطناعي و من مرمر و زليج و جبس منقوش و خشب ثمين و إنارة بأسلوب خاص.

البطاقة التقنية لمسجد الأمير عبد القادر

التعريف بالمعلم

الكمية	تعريف
13 هكتار	المساحة الكلية
10هكتارات	المساحة العامة المبنية
12000 مصليا	قاعة الصلاة الخاصة بالرجال
3500 مصلية	قاعة الصلاة الخاصة بالنساء
20 مترا	قطر القبة
65 مترا	ارتفاع القبة
328 بقعة	موقف السيارات الشمالي
02	مقصورات الحراسة

طول الممرات الثلاث	130 مترا
مساحة ساحة التأمل	6000 متر مربع
ساحة المدخل الرئيسي	3000 متر مربع
مقصورة الحراسة بالمدخل الجنوبي	01
موقف السيارات بالمدخل الجنوبي	30 بقعة
شبكة السياج من البرونز	1300 مترا
المكاتب الإدارية	08
المخازن	02
قاعة الاجتماعات	100 بقعة
المساحة الكلية المغطاة بالرخام	9000 متر مربع
المكتبة	100 بقعة
القاعة الشرفية	02

09 أقسام	المدرسة القرآنية للصغار
04 أقسام	مدرسة محو الأمية
09 أقسام	مدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس للقراءات
01	مكتبة

البطاقة التقنية لمسجد الأمير عبد القادر:

الإنـارة :

الكمية	تعريف
	الإنارة العامة
176	أعمدة كهربائية مجهزة بمصباحين الاستطاعة 160 واط
72	الفوانيس المجهزة بمصابيح الاستطاعة 160 واط
05	الأعمدة المجهزة بمصباح الاستطاعة 160 واط

429 وحدة	المجموع:
	الإنارة الخارجية
22	كاشف الضوء الاستطاعة 1000 واط
08	كاشف الضوء الاستطاعة 500 واط
14	قنديل الاستطاعة 160 واط
44 وحدة	المجموع
	إنارة نافورات المياه
151	كاشف الضوء الاستطاعة 20 واط
247	كاشف الضوء الاستط عة 35 واط
398 وحدة	المجموع
	الإنارة الخاصة بقاعات الصلاة
101	الثريات المجهزة بـ 20 مصباح الاستطاعة 60

	واط
03	الثريات المجهزة بـ 30 مصباح الاستطاعة 60 واط
16	الثريات النحاسية المجهزة بـ 8 مصابيح الاستطاعة 75 واط
514	القناديل المجهزة بمصابيح الاستطاعة 60 واط
634 وحدة	المجموع

الكمية	تعريف
	الإنارة الخاصة بقاعة الوضوء
104	مصباح نيون
08	مصباح سقفي
06	مصباح حائطي

118 وحدة	المجموع

ملاحظة: هذا الجدول لا يحمل في طياته الإنارة الخاصة بالمكاتب الإدارية و المخازن

و في حالة انقطاع التيار الكهربائي فإنه يوجد لدينا مولد كهربائي بقوة 500 كيلو فولت أمبير ينطلق أتوماتيكيا.

الأجهزة الصوتية – أجهزة التدفئة – الشفاطة المركزية

الكمية	تعريف
	الأجهزة الصوتية
107	مكبرات الصوت الخاصة بقاعة الصلاة رجال
49	مكبرات الصوت الخاصة بقاعة الصلاة نساء
12	مكبرات الصوت الخاصة بالأذان

01	الجهاز المركزي للتحكم في الصوت الخاص بقاعة الصلاة رجال
01	الجهاز المركزي للتحكم في الصوت الخاص بقاعة الصلاة نساء
	أجهزة التدفئة
	أجهزة التدفئة الأرضية الخاصة بقاعة الصلاة رجال
44	مربع بمساحة 36 متر مربع / الاستطاعة 4500 واط
28	مربع بمساحة 36 متر مربع / الاستطاعة 5500 واط
04	مربع بمساحة 36 متر مربع / الاستطاعة 7000 واط
04	مربع بمساحة 36 متر مربع / الاستطاعة

	3800 واط
06	مربع بمساحة 36 متر مربع / الاستطاعة 5750 واط
01	خزانة التحكم الكهربائية
	أجهزة التدفئة المروحية الخاصة بقاعة الصلاة نساء
29	أجهزة التدفئة المروحية
01	خزانة التحكم الكهربائية
	الشفاطة المركزية
36	فتحات الشفط
02	التشغيل عن طريق محركين بقوة 4 كيلو واط لكل واحد

التجهيزات المرفقة :

الكمية	تعريف
01	نافورة الماء تسع 60 متر مكعب
01	متاهة من الرخام تتوسطها نافورة ماء
01	جدار مائي
24	مضخات كهربائية
23	قنوات السقي
02	خزانة التحكم الكهربائية
07	عمود يحتوي على حنفية إطفاء الحريق
01	خزان مائي يسع 13 متر مكعب
116	حنفيات خاصة بوضوء الرجال

11	حنفيات خاصة بوضوء النساء
16	مغسل خاص بالرجال
04	مغسل خاص بالنساء
09	مرشات
48	مرحاض خاص بالرجال
04	مرحاض خاص بالنساء
03 هكتار	مساحات خضراء

هذا التقرير من إعداد المهندس صالح مارس رحمه الله

ثالثا ـ عرض عن الشبكة الولائية للمدارس القرآنية بقسنطينة [502] .

1 ـ: واقع التعليم القرآني في الولاية: المدرسة القرآنية هي المنهل العذب الذي يغترف منه أبناء المجتمع حفظ القرآن الكريم ومبادئ الإسلام فينشأ عنها جيل متزن في تفكيره معتدل في سلوكه محب لوطنه ولأجل هذه الغايات الشريفة والنبيلة تسعى ولاية قسنطينة ممثلة في مديرية الشؤون الدينية والأوقاف إلى نشر التعليم القرآني عبر كامل تراب الولاية وتمكين مختلف فئات المجتمع خاصة أبنائنا الصغار دون 06 سنوات وكذا فئة محو الأمية من حفظ القرآن الكريم وتحصيل العلم النافع وقد سخرت المديرية كافة الموارد البشرية (معلمين ومعلمات) والمادّية اللاّزمة (مدارس وأقسام قرآنية تجهيزات) لإنجاح دور المسجد التعليمي خدمة للوطن والمواطن ، ومن الملاحظ أنّ التعليم القرآني بالولاية أصبح يعرف إقبالا منقطع النظير خصوصا خلال السنوات الأخيرة على المدارس والأقسام القرآنية باختلاف فئات التدريس المتاحة (صغار، كبار ومحو الأمية) وهو ما يوضحه الجدول الإحصائي التالي :

---

[502] هذه المعلومات استقيناها من مصلحة التعليم القرآني ، من تقرير حول واقع وآفاق المدارس القرآنية بولاية قسنطينة ،أعده الأستاذ بلال بالقندول كحصيلة للشبكة الولائية للمدارس القرآنية ،والتعليم الديني بولاية قسنطينة ،بطلب من الأستاذ عبد الحكيم خلفاوي رئيس مصلحة التعليم القرآني بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية قسنطينة ،وقد أمدني بهذا التقرير المانع ،والمشرح لوضع التعليم القرآني في الحاضر، مع استشراف المستقبل حوله ،فجزاهما الله عني وعن العلم خير الجزاء .

فئات التدريس الموسم الدراسي	صغار دون 06 سنوات	كبار	محو الأمية	المدارس النموذجية	جمعية النور	مدرسة القراءات	مدرسة الهدى	المجموع
2008- 2009	11708	2274	1410	636	320	1560	125	18033
2009- 2010	11345	3349	1777	635	244	1800	250	19400
2010- 2011	13578	2222	1886	677	260	2350	250	21223
2011- 2012	14772	2379	1553	744	282	2930	250	22910
2012- 2013	17224	2829	1280	593	293	2190	350	24759
2013- 2014	18890	3191	2043	697	305	2505	305	24821

– جدول يبين تطور عدد المسجلين بالمدارس والأقسام القرآنية خلال السنوات 06 الأخيرة: الإحصاءات بالأعمدة البيانية لتطور التعليم القرآني خلال السنوات 06 الأخيرة :

- **فئة الصغار دون 06 سنوات :**

تطور عدد المسجلين سنويا

لفئة الصغار دون **06** سنوات

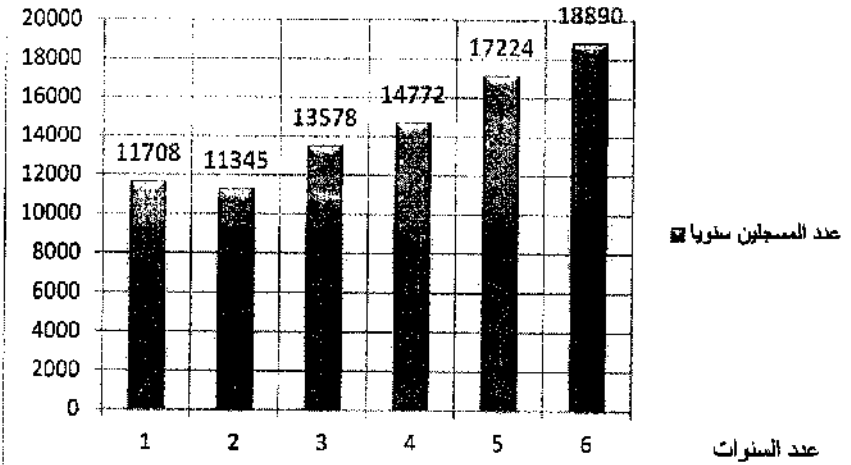

- **فئة الكبار :**

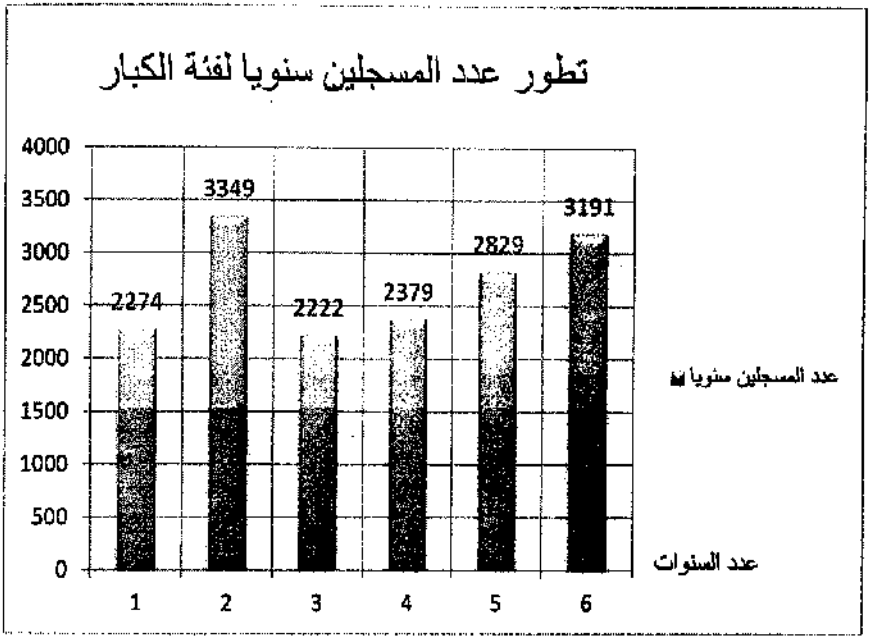

- **فئة محو الأمية :**

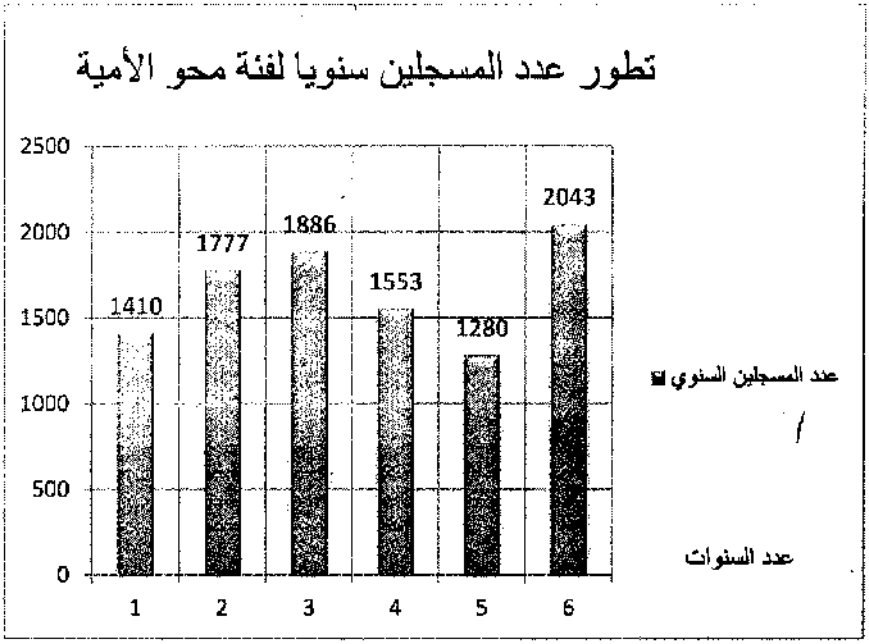

- **تطور الإقبال على التعليم القرآني بكل فئاته :**

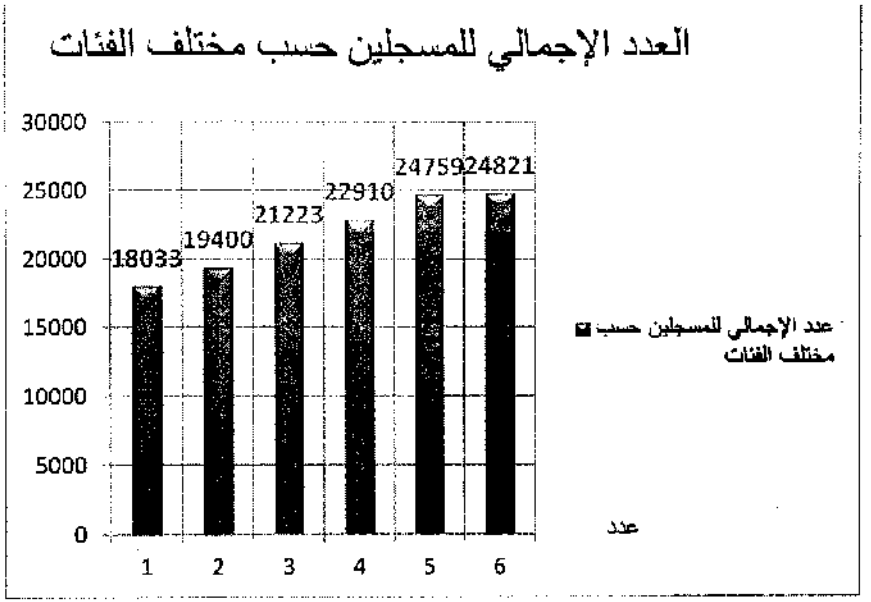

التحليـــل :

المتأمل في الأعداد الكبيرة والمتزايدة في الإقبال على التعليم القرآني بمختلف فئاته يدرك أن هناك جهودا تبذل وتتظافر للرقي به إلى مستوى التطلعات ، ولعل أهمّ الأسباب التي أدت إلى ذلك :

- التنظيم الإداري والمتابعة الجيدة لملف التعليم القرآني يظهر ذلك من خلال : (إعلانات انطلاق فترة التسجيلات – ملفات تسجيل – مناهج ومقررات مسخرة – قوائم بأسماء المسجلين – توقيت عمل – دفتر المناداة لمتابعة حضور وغياب التلاميذ – دفتر النصوص لمتابعة تطبيق المقررات – امتحانات تجرى – دفتر التلميذ –

مسابقات وحفل اختتام الموسم الدراسي- خرجات ميدانية تفتيشية - دورات تكوينية المعلمين والمعلمات - ندوات تربوية شهرية) كل هذه الإجراءات وغيرها أعطت مصداقية أكثر للتعليم القرآني بالمساجد والمدارس القرآنية.

- تفوق تلاميذ المدارس القرآنية من خلال المكتسبات التي يتخرجون بها (حفظ نصيب من القرآن الكريم ، الأحاديث النبوية ،الحروف والأعداد ، مبادئ الخط ، الآداب والأدعية ، الأناشيد وكذا التأهيل النفسي للمرحلة الابتدائية) وهو ما يشهد به المشرفون على التأطير في مدارس التعليم الابتدائي .
- تقليص الأقسام التحضيرية على مستوى المؤسسات التعليمة الابتدائية .
- **المنهاج التربوي** : وهو مقرر يتكون من أربع كتيبات (**مصحف جزء عمّ - كتابي في الآداب والأحاديث والأدعية - كتابي في القراءة والكتابة - كتابي في الحساب والتلوين**) أعدته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية قسنطينة خصيصا لفئة التلاميذ دون 06 سنوات والذي يراعي احتياجات أبنائنا في السنة الأولى من التعليم الابتدائي، كما يتم تعديله وتحسينه وتطويره من فترة لأخرى.

- المتابعة الصحية التي توفرها المديرية لتلاميذ المدارس القرآنية من خلال فرق وكوادر طبية مختصة تقوم بإجراء الفحص الطبي اللازم للأطفال وفي وقت مبكر وذلك بالتنسيق مع مديرية الصحة.

- تحفيظ القرآن الكريم إضافة إلى التكوين الشرعي الذي تقدمة المدارس القرآنية النموذجية العشر على مستوى الولاية والتي تعتمد في ذلك إمّا المناهج وفق التعليم الأصيل أو المناهج التربوية الحديثة وهو ما يتيح فرص توظيف للمتخرجين من هذه المدارس من خلال الالتحاق بمعاهد تكوين إطارات الشؤون الدينية (انظر الملحق رقم 01).

- التكوين المتخصص الذي تقدمه بعض المدارس على غرار مدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس للقراءات بمسجد الأمير عبد القادر " مدرسة مختصة في التجويد والقراءات ".

- تكفل المديرية بالفئة التي حرمت التعليم من خلال فتح أقسام لمحو الأمية بالمساجد، تطبيقا للاستراتيجية التي تنتهجها الجزائر للقضاء على الأمية في غضون 2030م.

- مساهمة الدولة ممثلة في المجلس الشعبي الولائي في تشجيع ودعم التعليم القرآني في الولاية من خلال المنحة السنوية التي توزع على

معلمي ومعلمات القرآن الكريم وكذا من خلال تجهيز المدارس والأقسام القرآنية

- طرح بدائل عن المدرسة القرآنية العادية على غرار المدرسة القرآنية الصيفية (الدراسة أيام العطل فقط) حيث تم تسجيل أكثر من **4314** طالب(ة)بالمدرسة الصفية للموسم الدراسي 2013-2014م

- **2 ـ : التأطير**

يسهر على تأطير هذه الأعداد الهائلة من المسجلين حسب مختلف فئات التدريس (صغار، كبار ومحو الأمية) أكثر من **777** معلم ومعلمة موزعين على مختلف المدارس والأقسام القرآنية وكذا حلقات التحفيظ عبر مساجد الولاية والجدول التالي يوضح ذلك :

البيان / فئة التدريس	المؤطر(ة) حسب الصفة				المجموع
	موظف	إدماج مهني	شبكة اجتماعية	في إطار التطوع	
الصغار دون 06 سنوات	49	57	60	379	545
الكبار	29	31	04	68	132
محو الأمية	02	86	01	11	100
المجمـــوع العـــام					777

- جدول يوضح عدد المؤطرين بدلالة فئات التدريس -

" خلال الموسم الدراسي 2013-2014م "

ملاحظة :

- بالنسبة لفئة محو الأمية تعوض خانة الإدماج المهني بـ التعاقد مع الديوان 71 + التعاقد مع المكتب الولائي اقرأ 15 المجموع : 86) .

الإحصاءات بالدوائر النسبية :

التأطير بالنسبة لفئة الصغار دون 06 سنوات :

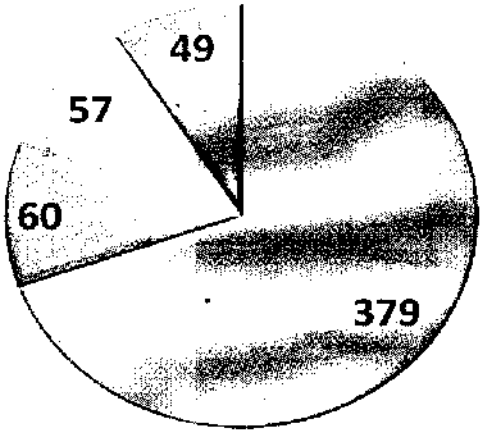

التأطير بالنسبة لفئة الكبار :

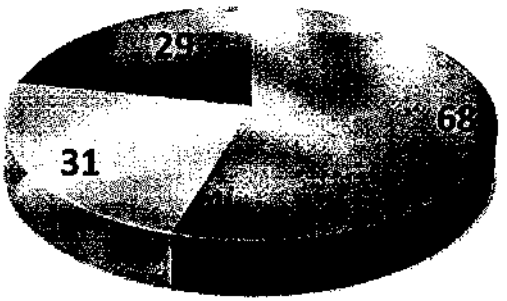

التأطير بالنسبة لفئة محو الأمية :

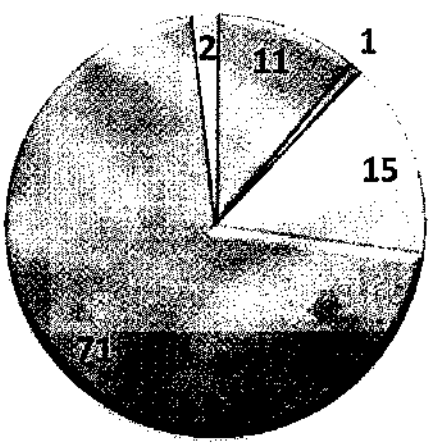

التحليل :

- الملاحظ أن التعليم القرآني للصغار والكبار يعتمد بنسبة كبيرة على المتطوعين والسبب في ذلك راجع إلى الإقبال المتزايد سنويا على المدارس والأقسام القرآنية.

- في حين أن فئة محو الأمية تعتمد بنسبة كبيرة في التأطير على التعاقد مع الديوان الوطني لمحو الأمية .

- تمثل صيغة عقود ما قبل الإدماج والعقود في إطار الشبكة الاجتماعية أحد أهم البدائل المتاحة للتقليل من التطوع.

- يبقى عدد معلمي القرآن الكريم الموظفين غير كاف لتغطية كل الأقسام والمدارس القرآنية من حيث التأطير .

3 ـ : النشاطات العلمية والثقافية :

تسعى المديرية دائما لإقامة نشاطات علمية ثقافية قرآنية خدمة لمعلمي القرآن الكريم والتلاميذ على حد سواء ويتمثل ذلك في :

- تخصيص التكوين المستمر لهذا الموسم لتعليم التجويد تجسيدا لمشروع " اقرأ القرآن كما أنزل ".

- استغلال الندوات الشهرية التربوية لتقديم محاضرات في علوم القرآن الكريم .

- إقامة دورات تكوينية في علوم القرآن لتقوية معارف معلمي القرآن منها :

1- دورة " **التلفظ بحروف القرآن الكريم** " من تأطير: الأستاذة/ مديحة صالح مهدي " العراق ".

2- دورة " **القاعدة النورانية** " من تأطير : الأستاذة/ مديحة صالح مهدي " العراق ".

3- دورة " **مقدمات ومبادئ في الرسم العثماني** " من تأطير الدكتور المقرئ : محمد علي عطفاي " المغرب " .

4- دورة : " **مهارات الإتقان الأول لتصحيح تلاوة القرآن** " من تأطير الأستاذة/ أمال إبراهيم كمال مدرسة معتمدة للإقراء " المملكة العربية السعودية ".

- تنظيم أيام دراسية لمناقشة قضايا تهم واقع التعليم القرآني بالولاية وتعزز سبل النهوض به، على شاكلة :

➢ **دور المدارس القرآنية في تنمية الاتجاهات الإيجابية للطفل نحو مجتمعه.**

- مسابقات اختتام الموسم الدراسي لكل الفئات وتكريم المتفوقين فيها خلال حفل بهيج يقام بالمناسبة.

4 ـ : آفاق التعليم القرآني في الولاية :

من أجل الرقي بالتعليم القرآني والوصول به إلى مستوى التطلعات وتخريج جيل قرآني يخدم وطنه وأمته تسعى المدرية مستقبلا لـ :

- فتح وتعميم الأقسام الخاصة بالتعليم القرآني الموجهة لفائدة المتمدرسين : الطور الابتدائي والمتوسط وذلك استكمالا لما تم تحقيقه في المرحلة الأولى (الأقسام القرآنية التحضيرية).
- تأمين المتابعة النفسية إلى جانب المتابعة الصحية لفائدة تلاميذ المدارس القرآنية.
- إنشاء فضاءات مخصصة للألعاب بكل الأقسام القرآنية حتى نلبي احتياجات الطفل الفطرية للتسلية واللعب إلى جانب احتياجاته للعلم والأدب وهذه إن شاء الله ستكون سابقة في التعليم القرآني للصغار .
- تنظيم زيارات لفائدة تلاميذ المدارس القرآنية إلى المتاحف الوطنية .

- تعميم فكرة الدورات الصيفية المكثفة المغلقة في تحفيظ القرآن الكريم.
- فتح أقسام الإجازة بالسند المتصل من خلال مقرأة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس للقراءات .
- فتح أوّل مقرأة إلكترونية جزائرية.
- إعداد منهاج لفئة محو الأمية على غرار فئة الصغار دون 06 سنوات.
- فتح أقسام محو الأمية للرجال.
- إبرام توأمة مع مديريات الشؤون الدينية بالولايات القريبة والمجاورة لتبادل الخبرات والتجارب في مجال المتابعة والإشراف والتأطير .
- تقليص نسبة الاعتماد على التطوع من خلال فتح مناصب مالية كافية من طرف الوزارة لتغطية العجز في التأطير والذي دعا إليه الإقبال المتزايد على الأقسام القرآنية .

رابعا ـ المقررات المقترح تدريسها بالمدارس القرآنية و الزوايا بناء على المنشور الوزاري[503]:

1- البرنامج المسطر وفق التعليم الأصيل

الطور الأول (و مدته سنتان)

السنة الأولى

- حفظ نصف القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

السنة الثانية

- حفظ النصف الآخر من القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

---

[503] بموجب المنشور رقم 03 المؤرخ في 07 مارس 2012م المتضمن ضبط عملية إجراء المسابقة الوطنية لإثبات المستوى لطلاب المدارس القرآنية و الزوايا.

كما تضمن المنشور الوزاري اقتراح برنامجين للمدارس القرآنية على النحو التالي:

1- برنامج مسطر وفق التعليم الأصيل.

2- برنامج مسطر وفق المناهج التربوية الحديثة.

و عليه:

- على القائمين على المدارس القرآنية أن يختاروا برنامجا واحدا من البرنامجين وفق ظروف كل مدرسة و خصائصها و إمكاناتها.

- إشعار الإدارة عن البرنامج المعتمد من طرف كل مدرسة.

- يمثل هذا الاقتراح الحد الأدنى للبرامج في المدارس القرآنية و الزوايا.

- كما يمكن للمجالس التربوية للمدارس القرآنية إضافة ما تراه مناسبا لتحقيق المقاصد و الأهداف المسطرة بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف.

- المدارس التي تعتمد على حفظ المتون و شرحها يمكنها الاستعانة بالطرق الحديثة في تدريسها.

نرجوا منكم الحرص و السهر على تطبيق ما جاء في المنشور السالف الذكر و موافاتنا بأية عراقيل تواجهكم في أداء مهامكم.

الطور الثاني (و مدته سنتان)

السنة الأولى

الحجم الساعي	المواد
6 ساعات	مراجعة القرآن الكريم
10 ساعات / ساعتان كل يوم	العقيدة الفقه و الأخلاق: أسهل المسالك
5 ساعات	أحكام التجويد: الدرر اللوامع
3 ساعات	النحو: متن الآجرومية
1 سا	التاريخ
1 سا	اللغة الأجنبية
26 سا	**المجموع**

السنة الثانية

الحجم الساعي	المواد
6 ساعات	مراجعة القرآن الكريم
10 ساعات / ساعتان كل يوم	الفقه: الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (الثلث الأول)
4 ساعات	النحو: قطر الندى
4 ساعات	السيرة النبوية: الأنوار للثعالبي

1 سا	التاريخ
1 سا	اللغة الأجنبية
26 سا	**المجموع**

الطور الثالث

الحجم الساعي	المواد
6 ساعات	مراجعة القرآن الكريم
10 ساعات / ساعتان كل يوم	الفقه: الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (الثلث الثاني)
4 ساعات	اللغة: الجوهر المكنون للشيخ عبد الرحمن الأخضري
4 ساعات	التفسير: تفسير آيات الأحكام
1 سا	نصوص في الأدب العربي
1 سا	اللغة الأجنبية
26 سا	**المجموع**

الطور الرابع

الحجم الساعي	المواد
6 ساعات	مراجعة القرآن الكريم

10 ساعات / ساعتان كل يوم	الفقه: الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (الثلث الأخير)
4 ساعات	أصول الفقه: مفتاح الوصول للشريف التلمساني
4 ساعات	مصطلح الحديث: معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب لابن زكري التلمساني
1 سا	الرياضيات
1 سا	اللغة الأجنبية
26 سا	**المجموع**

ملاحظة

يتم القبول و الانتقال في الأطوار، إما عن طريق الانتقاء ممن تتوفر فيهم الشروط الموضوعية.

فمثلا الحافظ للقرآن الكريم كله يلحق بالطور الثاني مباشرة، عن طريق الانتقاء بعد اختباره و إثبات حفظه.

و الحافظ لنصف القرآن الكريم يلحق بالسنة الثانية من الطور الأوّل، بعد إثبات حفظه للقرآن الكريم.

2- البرنامج المسطر وفق المناهج التربوية الحديثة

الطور الأول، و مدته سنتان،

المواد المقررة للسنة الأولى

الرقم	المواد	الحجم الساعي
1	حفظ القرآن الكريم	15 + المراجعة
2	العقيدة	02
3	الفقه	02
4	السيرة النبوية	02
5	اللغة العربية	02
6	التاريخ	02
7	اللغة الأجنبية	01
المجموع	**07**	**26**

السنة الثانية

الرقم	المواد	الحجم الساعي
1	حفظ القرآن الكريم	15 + المراجعة
2	الفقه	02
3	علوم القرآن	02
4	أحكام التجويد	02

5	اللغة العربية	02
6	التاريخ	01
7	الرياضيات	01
8	اللغة الأجنبية	01
المجموع	**08**	**26**

الطور الثاني، و مدته سنتان،

المواد المقررة للسنة الأولى

الرقم	المواد	الحجم الساعي
1	حفظ القرآن الكريم	15 + المراجعة
2	الفقه	02
3	أحكام التجويد	02
4	التفسير	01
5	اللغة العربية	02
6	الرياضيات	01
7	التاريخ	02
8	اللغة الأجنبية	01
المجموع	**08**	**26**

السنة الثانية

الرقم	المواد	الحجم الساعي
1	حفظ القرآن الكريم	18 + المراجعة
2	الفقه	02
3	اللغة العربية	02
4	علم الحديث	01
5	تفسير	01
6	تاريخ	02
7	رياضيات	01
8	اللغة الأجنبية	01
المجموع	**08**	**28**

الطور الثالث، و مدّته سنة واحدة،

المواد المقررة

الرقم	المواد	الحجم الساعي
1	حفظ القرآن الكريم	18 + المراجعة
2	الفقه	02
3	اللغة العربية	02
4	الحديث	01

5	أصول الفقه	01
6	تاريخ	02
7	رياضيات	01
8	اللغة الأجنبية	02
المجموع	**08**	**29**

الطور الرابع، و مدّته سنة واحدة،

المواد المقررة

الرقم	المواد	الحجم الساعي
1	حفظ القرآن الكريم	18 + المراجعة
2	فقه المواريث	02
3	اللغة العربية	02
4	أصول الفقه	02
5	الحديث	01
6	رياضيات	01
7	اللغة الأجنبية	02
المجموع	**07**	**28**

فهرس الموضوعات

المقدمة..... 09

الفصل الأول قسنطينة معالم وأعلام..... 11

المبحث الأول: المعالم الكبرى لقسنطينة..... 11

المبحث الثاني: تراجم لبعض أعلام قسنطينة..... 46

الفصل الثاني: قسنطينة في العصر القديم..... 81

المبحث الأول: قسنطينة في عهد النوميديين..... 81

المبحث الثاني: قسنطينة في عهد الرومان..... 87

المبحث الثالث: قسنطينة في العهد الوندالي..... 93

المبحث الرابع: قسنطينة في عهد البيزنطيين..... 96

الفصل الثالث: قسنطينة في العصر الإسلامي..... 100

المبحث الأول: قسنطينة في عهد الفتح الإسلامي..... 100

المبحث الثاني: قسنطينة في عهد الأغالب..... 103

المبحث الثالث: قسنطينة في عهد الفاطميين..... 109

المبحث الرابع: قسنطينة في عهد الزيريين..... 118

المبحث الخامس: قسنطينة في عهد الحماديين..... 123

المبحث السادس: قسنطينة في عهد الموحدين..... 127

المبحث السابع: قسنطينة في العهد الحفصي..... 135

المبحث الثامن: الحملة المرينية على قسنطينة..... 148

الفصل الرابع: قسنطينة في العهدين التركي والفرنسي..... 156
المبحث الأول: قسنطينة في العهد التركي..... 156
المبحث الثاني: قسنطينة في العهد الفرنسي..... 192
الفصل الخامس: المراكز العلمية والثقافية والإعلامية بقسنطينة.. 206
المبحث الأول: المساجد بقسنطينة..... 206
المبحث الثاني: الزوايا بقسنطينة..... 243
المبحث الثالث: المدارس الأثرية بقسنطينة..... 251
المبحث الرابع: النوادي الأثرية بقسنطينة..... 266
المبحث الخامس: الجرائد الصادرة بقسنطينة..... 272
الخاتمة..... 289
قائمة المصادر والمراجع..... 291
الملاحق..... 304
ملحق شعري يؤرخ لقسنطينة من تأليف أ . د : نصر سلمان... 304
ملحق يعرض للبطاقة الفنية لمسجد الأمير عبد القادر..... 340
ملحق عن الشبكة الولائية للمدارس القرآنية بقسنطينة..... 359
ملحق عن المقررات المقترح تدريسها بالمدارس القرآنية و الزوايا.
بناء على المنشور الوزاري..... 375
فهرس الموضوعات..... 383